قراءة في مصادر

السيرة النبوية



دكتور هاني السباعي

قراءة في مصادر السيرة النبوية

د/هاني السباعي

قراءة في مصادر السيرة النبوية

دار هادف للنشر والتوزيع

مقدمة بقلم المؤلف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد:

الحمد لله الذي أحيانا لنساهم بوضع لبنة في الذبّ عن سيرة خير البشرية الرسول الخاتم محمد بن عبد الله ﷺ؛ وقد كان أصل هذا الكتاب مقالات نشرت في مجلة نداء الإسلام من ١٩٩٦م - ٢٠٠١م، وكانت إدارة مجلة نداء الإسلام بأستراليا قد طلبوا مني أن أكتب مقالًا دوريًّا حول السيرة النبوية؛ فاخترت أن أكتب في مصادر السيرة النبوية؛ حيث إن الشانئين لهذا الدين العظيم من المستشرقين ومَن والاهم ونصرهم ممن ينتسبون إلى الإسلام بالولادة، قد اتخذوا -ولا يزالون يتخذون- سيرة رسول الله ﷺ والتاريخ الإسلام غرضًا لبثِّ سمومهم ولاسيما الطعن في مصدر التلقي!.

وقد كانت المشكلة التي واجهتها في ذلك الوقت وأنا في لندن ندرة المراجع التي يحتاجها الباحث، فكنت أذهب إلى مكتبة مدرسة العلوم الشرقية يوميًّا نظرًا لاحتوائها على عدد لا بأس به من مراجع إسلامية متنوعة باللغة العربية.. وكنت أتردد أيضًا على بعض المكتبات العامة ومكتبات بيع الكتب! فكنت أكتب كل مقالة حسب ما يتوافر من مراجع، وهكذا كان دأبي خلال تلكم الأعوام. وبعد أن مرت السنون طلب مني بعض الأفاضل أن أجمع هذه المقالات وأعيد تنقيحها في كتاب مستقل عن مصادر السيرة النبوية؛ فشكرتهم على جليل نصحهم.. وقد توافر لدي بفضل الله مراجع جديدة لم تطبع من قبل أو كان بعضها مطبوعًا لكنه غير محقق؛ فاستعنت بالله وقمت بمراجعة بعض النصوص وحاولت قدر المستطاع اعتماد الطبعات الحديثة المحققة من

أجل إتمام هذا الكتاب المتواضع في صورة قشيبة؛ سائلًا الله تعالى أن ينفع به طلبة العلم وأن يجعله الله خالصًا لوجهه الكريم.

وقد قسَّمت الكتاب إلى الآتي:

أولًا: تقدمة حول المقصود بمصادر السيرة.

ثانيًا: ثم قسمت المصادر حسب قوتها بالترتيب التالي:

المصادر الأصلية:

المصدر الأول: القرآن الكريم.

المصدر الثاني: كتب الحديث.

المصدر الثالث: كتب الشمائل.

المصدر الرابع: كتب الدلائل.

المصدر الخامس: كتب المغازي والسير.

المصدر السادس: كتب التاريخ العام.

المصادر التكميلية:

المصدر السابع: كتب الأدب واللغة وتراجم الصحابة.

ثالثًا: الخاتمة.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أشكر الشيخين العَلَمين العالمين الفاضلين؛ فضيلة الشيخ رفاعي سرور حفظه الله ورعاه، وفضيلة الشيخ الدكتور طارق عبد الحليم حفظه الله ورعاه، على تشريفهما لي بكتابة مقدمة لكتابنا المتواضع.. فجزاهما الله خيرًا وثبتنا الله وإياهما على الحق.

وبعد، لقد اجتهدت قدر استطاعتي في البحث والتنقيب والذب والتفنيد، فإن كنتُ وُفقت فبفضل الله تعالى، وإن كانت الأخرى فأسأل الله العفو والمغفرة.

كتبه د. هاني السباعي

لندن في يوم الثلاثاء

الرابع من ذي الحجة ١٤٣٢هـ

الموافق ٢ من نوفمبر ٢٠١١م

مقدمة بقلم فضيلة الشيخ رفاعي سرور

الحمد لله وحده، والصلاة على من لا نبي بعده وآله وصحبه، وبعد:

فقد تلقيت كتاب الصديق ورفيق الطريق الدكتور هاني السباعي حفظه الله ببالغ السرور؛ لما علمتُ في قلمه من صدق لهجة وثاقب نظر وشجاعة قلب.

وشدني أنه كتب في موضوع هو من الأهمية بمكان لا يجهله أحد، ورغم ذلك فلا تكاد ترى تغطية ملائمة له، ألا وهو موضوع مصادر السيرة النبوية.

والسيرة هي حياة النبي وواقع النبوة المتحقق بعلم الله وحكمته ابتداءً بإرهاصات ما قبل النبوة وحادثة الفيل حيث أراد أبرهة هدم البيت حجرًا حجرًا فهدمه الله جزءًا جزءًا، كما قال الطبري: «فخرجوا يتساقطون بكلّ طريق، ويهلكون على كلّ منهل، فأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم، فسقطت أنامله أنملة أنملة، كلما سقطت أنملة أتبعتها مِدّة تَمُثُّ قيحًا ودمًا».

ثم كانت البداية الفعلية بعد الإرهاصات: فاسمه (محمد) ﷺ.. والمشتق من معنى الحمد والجامع لمعاني احتوتها النبوة وظهرت في ثناياها الرسالة.. حيث كان هذا الاسم «محمد» من أنسب أسماء البشر لمهمة النقل عن الله تعالى بأسمائه الحسنى والتعريف بصفاته العلا، ثم مرحلة الإعداد الفعلي للرسول ﷺ بحادثة شق الصدر الأولى، ثم وزن النبي ﷺ لإثبات الحق والوحي الذي سينزل عليه: عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ عَلِمْتَ أَنَّكَ نَبِيٌّ حَتَّى اسْتَيْقَنْتَ؟ فَقَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ! أَتَانِي مَلَكَانِ وَأَنَا بِبَعْضِ بَطْحَاءِ مَكَّةَ، فَوَقَعَ أَحَدُهُمَا عَلَى الأَرْضِ، وَكَانَ الآخَرُ بَيْنَ السَّمَاءِ**

وَالْأَرْضِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَهُوَ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ! قَالَ: فَزِنْهُ بِرَجُلٍ، فَوُزِنْتُ بِهِ فَوَزَنْتُهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَوْ وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ لَرَجَحَهَا».

والوزن هو الثِّقل، والثِّقل يدل على الحق: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

- ثم يأتي ختم النبي ﷺ بين كتفيه بخاتم النبوة، كختام لحادثة شق الصدر الأولى:

فكان خاتم النبوة بعد اصطفاء معدنه، وطهارة نسبه، وشق صدره، ونزع حظ الشيطان منه، وغسل قلبه بماء زمزم.. ليكون الخاتم إثباتًا ودليلًا جامعًا لكل هذه الحقائق في شخصه الكريم.

والمعنى الكامن في خاتم النبوة هو توثيق الرسالة من قبل مرسلها، حيث إنَّ الختم يكون في أمرين: المعدن (كالذهب)، والرسالة..

ومن بداية السيرة ومقام النبوة تتحقق أقدار الأمة، فمنها قدر الهداية والحرز من الغواية، قال أبو هريرة: **«أُتِيَ رَسُولُ الله ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بِإِيلْيَا بِقَدَحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَلَبَنٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا ثُمَّ أَخَذَ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلْفِطْرَةِ، وَلَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ.. غَوَتْ أُمَّتُكَ».**

ومنها الفتوحات المقدرة للأمة، حيث قال النبي ﷺ: **«إِنَّ الله زَوَى لِي الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا»،**

ومنها قدر نجاة الأمة، حيث قال الله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

ومنها قدر دخول الجنة: قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي فِي يَدِهِ، إِنِّي لأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ، قَالَ: فَحَمِدْنَا الله وَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي فِي يَدِهِ إِنِّي لأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ**».

والسيرة هي كل حركة وسكنة.. وكل كلمة وتصرُّف..وكل حدث وموقف من رسول الله ﷺ، وهي تفسير وجود الأمة بكل مراحلها وامتداداتها وآثارها وفاعليتها، حيث تلتقي في هذا التفسير النصوص الصحيحة بفهم السلف الصالح، مع العاطفة والعقل والواقع، ليكون هذا التصور هو ملتقى اليقين الذي نعلو به فوق الشدائد والآلام، فلا تعمينا هذه الشدائد، ولا تنسينا تلك الآلام حقيقتنا: «نحن قدر الله النافذ في حياة البشر إلى قيام الساعة»، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

ومن هنا تكون دراسة كل أحداث السيرة أمرًا واجبًا يقوم به عن الأمة كل من يُوثِّق لها سيرة نبيها ومنهم الدكتور هاني السباعي، صاحب هذا الكتاب «قراءة في مصادر السيرة النبوية».. حيث أتمها بإلهام من الله وهداه.

رفاعي سرور
يوم عرفة ٩ ذي الحجة ١٤٣٢هـ

مقدمة لفضيلة الشيخ الدكتور طارق عبد الحليم

الحمد لله وحده، والصلاة على من لا نبي بعده وآله وصحبه.

وبعد: فقد رَغب إليّ أخي الشيخ الفاضل الدكتور هاني السباعيّ، في أن أقدم لكتابه القيم الذي بين يدي القارئ «قراءة في مصادر السيرة النبوية»، فأقدمت على ذلك سعيدًا راجيًا. أما سعادتي: فهي لتلك الفرصة السانحة للمشاركة في المنافحة عن سيرة رسول الله ﷺ، والتي طعن الملحدون واللادينيون فيها دون علم ولا هدى ولا كتابٍ منير. وأما الرجاء: فهو في أن أكون موفقًا في التقديم بين يدي هذا العمل القيم، وفي إعطائه حقه في التعريف.

ولن أتوقف كثيرًا للتعريف بالشيخ الدكتور السباعيّ، كما هو دأب الكثير ممن قدموا لكتب أو أعمال أكاديمية؛ ذلك أن الشيخَ المفضال أوسع شهرة وأبعد تأثيرًا في العمل الإسلاميّ من أن يُعرّف به. وهو - حفظه الله- ممن قرن القول بالعمل، فصحّح المنهج اعتقادًا وعملًا، على سنة رسول الله ﷺ، وعلى نهج السّلف الصالح، لا على نهج مدعى السّلفية ومُرَوِّضيها، فكانت له المؤلفات المفيدة، والأحاديث الممتعة، التي يختلط فيها العلم النظري بالواقع العمليّ، فلعل الله سبحانه أن يجزيه الجزاء الأوفى.

والكتاب الذي بين يدي القارئ اليوم، يتناول قضية من أهم وأخطر القضايا التي يجب أن تتمحص فيها الأقوال، وأن تتمحض فيها الحقائق، إذ موضوعها هو سيرة أفضل خلق الله كلهم محمد ﷺ، ومصادرها على وجه التحديد. وقد نهج فيه الشيخ السباعيّ منهجا قويًما، جمع فيه بين النقل والتحليل، وبين السرد والاستدلال، وهذا في

حدّ ذاته دليل على ما يتمتع به الكاتب من قدرة على ربط الأقوال، ورصّها في منهجية متسلسلة تصل إلى غاية محددة سلفًا، وهي مقدرة لا يعرف قيمتها إلا من عانى هذا النمط من البحث.

وصفة أخرى يتميز بها الكتاب، وهي أنه ينتقل بالقارئ في الحديث عن مصدر من مصادر السيرة النبوية، من الحديث حول كتابها إلى كتبها، إلى وصف هذه الأعمال وتحليلها، ثم ترجمة أصحابها، ثم المنافحة عمن تعرض منهم لهجوم مقصود مردود، جامعًا في ذلك بين ما كتب الأولون وما أضاف المتأخرون والمحدثون. فهو بهذا يرفع عن القارئ الملل والإرهاق الذي يصاحب القراءة الطويلة في مثل هذه الموضوعات الأكاديمية البحتة، كما يقدم له وجبة دسمة من المعلومات، بطريقٍ شيّقٍ أخّاذ.

وقد تناول الكاتب سبعة مصادر من مصادر تدوين السيرة، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام، وهي القرآن الكريم، كتب الحديث (الصحاح - السنن - المسانيد - المعاجم)، كتب الشمائل النبوية، كتب دلائل النبوة، كُتب المغازي والسير، كتب التاريخ العام، كتب الأدب واللغة وتراجم الصحابة. وهذه المصادر هي الأساس في تدوين السيرة النبوية. وقد أحسن الشيخ السباعي حين ضمنها المصادر الأدبية وكتب الأدب، وحسن فيها كلامه، خاصة ما نقله عن القيروانيّ في حجية رواية الشعر والاستشهاد به، مما هو في صلب الموضوع.

والكتاب كله ينبئ عن معرفة واسعة وقراءة محيطةٍ بالعلوم التي مسّها موضوعه، كما يقدم مادة شيقة ماتعة، أحسَبها قد سدّت ثغرًا مثلومًا، وصدت هجومًا موتورًا، على

بناء السيرة النبوية، كما رأينا طوال قرونٍ خلت، وإن اشتدت أمواجها في العقود الأخيرة بعد أن خلع الإلحاد برقع الحياء، وانتفض النفاق ليظهر دون رياء.

ثم أخلّي بين الكتاب وبين قارئه، فلا أريد أن أقف حجر عثرة بينه وبين هذا الإمتاع الشرعيّ، الذي هو باب من أبواب الذّكر، ونزهة من نُزَهِ الفكّر.

د.طارق عبد الحليم
٥ ذي الحجة ١٤٣٢هـ
الموافق ١ نوفمبر ٢٠١١م

مصادر السيرة النبويّة

نذكر أهمّ مصادر السيرة على النحو التالي:

مصادر أصلية:

الأول: القرآن الكريم.

الثاني: كتب الحديث (الصحاح - السنن - المسانيد - المعاجم).

الثالث: كتب الشمائل.

الرابع: كتب الدلائل.

الخامس: كتب المغازي والسير.

السادس: كتب التاريخ العام.

مصادر تكميلية:

السابع: كتب الأدب واللغة وتراجم الصحابة.

تقدمة

السيرة النبويّة ليست خيالًا أدبيًّا من صنع الرواة بل هي حقيقة وأنموذج لواقع عايشه خاتم النبيّين محمد بن عبد الله ﷺ من مهده إلى لحده، وقد ترك لنا علماء السلف مادّة غزيرة ومؤلّفات وفيرة في السيرة النبويّة؛ حيث لا يجد الباحث مشقّةً في دراسة السيرة النبويّة. ومن ثمّ لا غرو إن قلنا: إن مائدة السيرة النبويّة غنيّة بأطايب المراجع وبكلّ ما لذّ وطاب من دراسات وأبحاث.

أمّا الكتابة عن مصادر السيرة النبويّة قديمًا وحديثًا فهي نادرة، بالمقارنة مع ما كتب عن السيرة، ولا تكاد تجد كتابًا مستقلا يتكلّم عن مصادر السيرة النبويّة، قبل كتاب الدكتور فاروق حمادة «مصادر السيرة النبويّة وتقويمها» اللهم إلا بعض الأبحاث المبثوثة في بطون الكتب القديمة وهناك قليل من الدراسات الجادة التي تناولت مصادر السيرة النبوية في الآونة الأخيرة.

التعريف اللغوي والاصطلاحي لمصادر السيرة:

عبارة السيرة النبوية تتكون من كلمتين: الأولى: مصادر. والثانية: سيرة.

(أ) تعريف كلمة مصادر:

مصادر: جمع مصدر؛ قال الزبيدي في تاج العروس: «الصدر أعلى مقدم كل شيء وأوله، حتى إنهم ليقولون: صدرُ النهار والليل، وصدر الشتاء والصيف وما أشبه ذلك، ويقولون: أخذ الأمر بصدره، أي بأوله، والأمور بصُدُورها، وهو مجاز. وكل ما

واجهك صدرٌ، ومنه صدر الإنسان»[١].

وقال أيضًا: «والمصدر بالفتح: موضع الصدور، وهو الانصراف، ومنه مصادر الأفعال. وقال الليث: المصدر: أصل الكلمة التي تصدر عنها مصادر الأفعال»[٢].

جاء في تنزيل العزيز الحكيم: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾[القصص: ٢٣]. قال القرطبي: «وقرأ ابن عامر وأبو عمرو: (يَصدُرَ) من صدر، وهو ضد ورد أي: يرجع الرعاء. والباقون (يُصدِرَ) بضم الياء من أصدر؛ أي حتى يصدروا مواشيهم من وردهم»[٣].

وفي الاصطلاح: «هو الأصل الأول للمادة، وبتعبير آخر: هو ذلك الكتاب الذي نجد فيه المعلومات الصحيحة كاملة، والمصادر كتب شاملة مركزة في مداها ومجالها ومعالجتها للموضوع»[٤].

---

(١) الزبيدي: تاج العروس/ تحقيق عبد الستار أحمد فراج / ج١٢ ص٢٩٢.

(٢) الزبيدي: ج١٢ ص٣٠٠.

(٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن تحقيق د.محمد إبراهيم الحفناوي ود محمود حامد عثمان / دار الحديث القاهرة/ ج١٣ ص٢٧٩.

(٤) دكتور محمد ماهر حمادة، المصادر العربية والمعربة، ط٦. سوريا: مؤسسة الرسالة ١٩٨٧: ٢١.

(ب) تعريف كلمة (سيرة):

تعريف كلمة سيرة في اللغة: قال في تاج العروس: «السيرة: الطريقة، يقال: سار الوالي سيرة حسنة، وأحسن السِّيَر، وهذا في سير الأولين. والسِّيرَةُ الهيئةُ وبه فُسر قوله تعالى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٢١]»[١].

في الاصطلاح:

السيرة النبوية: تناول شخصية الرسول محمد بن عبد الله ﷺ في كافة المناحي الحياتية؛ الإرهاصات التي سبقت مولده؛ ميلاده، بعثته، زواجه، أولاده، أصحابه وعلاقته بهم، غزواته وسراياه، قضاياه وأحكامه، أخلاقه وشمائله، ثم وفاته عليه أفضل الصلوات وأتم التسليمات.

هكذا نستطيع أن نعرف مصادر السيرة النبوية: بأنها الكتب والمرويات التي نجد فيها المعلومات الصحيحة عن شخصية الرسول ﷺ في كافة المناحي الحياتية؛ من ميلاده، بعثته، زواجه، أولاده، أصحابه وعلاقته بهم، غزواته وسراياه، قضاياه وأحكامه، أخلاقه وشمائله، ثم وفاته.

أهمية دراسة مصادر السيرة النبوية:

وترجع أهمّية دراسة مصادر السيرة لعدّة أسباب:

(١) لتحديد مرجعيّة الحدث الذي يتناول شخصيّة صاحب السيرة وهو رسول الله

---

(١) الزَبيدي: تاج العروس ج١٢ ص١١٧.

ﷺ. لتناول السيرة شخصيّة الرسول ﷺ منذ ميلاده ومبعثه حتى وفاته.

(٢) تنقية كتب السيرة من المرويّات الواهية والموضوعة التي اتّخذها المغرضون تكأة للنيل من سيرة الرسول ﷺ وتماديهم في الطعن على الإسلام.

يقول الدكتور فاروق حمادة: «فإن عملية تحديد مصادر السيرة النبوية أهم عمل أمام الدارس للسيرة النبوية خصوصًا وللإسلام عمومًا، وتقويم هذه المصادر يعطيه العدة الكافية لتناول السيرة المحمدية نقية من الشوائب، ويطلع على حقيقتها وأبعادها، ثم يستطيع أن يرد على كل الذين يزيفون الحقائق، ويشوهون تاريخ النبي ﷺ، مهما كانت صبغتهم ولغتهم، وإن تقديم صورة كاملة شاملة صحيحة للنبي ﷺ ولصحابته الكرام واجب إسلامي في أعناق المسلمين عامة والباحثين منهم خاصة»[١].

(٣) ظهور كتب ومؤلّفات تتناول السيرة النبويّة في إطار تحليلي، ومن ثمّ لا بدّ أن يكون لهذه الكتابات مستند شرعي من مصادر السيرة النبويّة.

ومصداقًا لذلك نذكر -إجمالًا- عيّنة من الكتب التي تنطبق عليها وجهة نظرنا:

الأول: كتاب «حياة محمد ﷺ» للدكتور محمّد حسين هيكل: حيث أغفل المصادر الأصلية للسيرة النبويّة وأعمل المنهج الديكارتي، وحاول إغفال جانب النبوّة في حياة الرسول ﷺ، وصارت مرجعيّته في الدفاع عن الرسول ﷺ أقوال المستشرقين ومنهجهم الغربي. ومن ثمّ كانت النتيجة استخفافًا بسيرة رسول الله ﷺ، وقدح في صورة مدح.

الثاني: فقه السيرة للشيخ محمّد الغزالي: أعمل المنهج العقلاني على طريقة المعتزلة،

(١) دكتور فاروق حمادة: مصادر السيرة النبوية وتقويمها، دار الثقافة الدار البيضاء/ ط١ / ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٢١، ص٢٢.

بل وأطلق لعقله العنان في الحكم على حوادث ومرويّات السيرة، فصار العقل هو الحكم على أصحّ المصادر؛ فلا أهمّية لما رواه أبو زرعة الرازي أو ما ذكره البخاري في صحيحه، المهمّ أن يقبل العقل هذه الروايات!!

الثالث: فقه السيرة للدكتور البوطي: دوّن وأفرد واستنبط أحكامًا من السيرة، وكان عمدته في ذلك روايات غير صحيحة.

الرابع: المنهج الحركي للسيرة النبويّة لمنير الغضبان: وهو ثالثة الأثافي في كتب فقه السيرة؛ فحاول الاستفادة من طريقة الغزالي في التحليل وطريقة البوطي في فهم عِبَر مرويّات السيرة؛ فكانت النتيجة أن جمع بين مساوئ الطريقتين!! وزاد في تحليلاته الحركيّة التي تكاد تختلط بتحليلات اليسار الإسلامي!!

وخلاصة ذلك: أنّ هذه الكتب المذكورة وغيرها قد أغفلت أهمّية المصدر الصحيح للسيرة النبويّة فوقعت في أخطاء عظيمة؛ ونظرًا لأهمّية هذه الكتب وكثرة تداولها، فلنا وقفة معها في بحث مستقل إن شاء الله.

المصدر الأول: القرآن الكريم[١]

القرآن الكريم هو أصحّ مصدر للسيرة النبويّة، بل هو أنقى معين وأوثق مرجع للسيرة. كيف لا وهو قطعيّ الثبوت!

قال ابن أبي العز الحنفي: «وإن القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولًا، وأنزله على رسوله وحيًا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًّا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر، فقد كفر»[٢].

وفي فتاوى اللجنة الدائمة: «القرآن كلام الله سمعه جبريل عليه السلام من رب العالمين، نزل به على محمد ﷺ، وتلاه عليه»[٣].

فالقرآن الكريم صوّر لنا حياة الرسول وخلجات نفسه ومكائن مشاعره تصويرًا دقيقًا لم نجده في مرجع آخر. وإذا استعرضنا على وجه العجالة ما بين دفّتي المصحف من سور وآيات بيّنات لوجدنا مصدرًا غنيًّا لسيرة رسول الله ﷺ، لدرجة أنّنا نجد أن القرآن ذكر أحوال العرب قبل البعثة، وهي نفس الطريقة التي اقتبسها مؤلّفو كتب السيرة من القرآن أو ما يُسمى بالباب التمهيدي، وهو المتعلّق بأحوال العرب قبل بعثة الرسول ﷺ.

---

(١) يعتبر كتاب: (سيرة الرسول ﷺ صور مقتبسة من القرآن الكريم) للأستاذ محمد عزة دروزة من أوائل الكتب التي تنبهت إلى أهمية القرآن الكريم كمصدر أصيل في استخلاص السيرة النبوية والكتاب مطبوع في جزأين من منشورات المكتبة العصرية/ بيروت/ ١٤٠٠هـ.

(٢) ابن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية/ تحقيق د.عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناءوط/ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ ط٢/ ج١ ص٢٥٤

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: دار المؤيد/ الرياض/ ط٥/ مج٤ ص١١ القتوى رقم ٧٤٨٢.

وقد ذكر لنا القرآن الكريم صورًا من عناد الكفار لرسول الله ﷺ في العهد المكي حيث سخر القرآن منهم كما في سورة الزمر: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾. [الزمر/ ٣٦ – ٤٠]

وقد ذكر المفسرون أن الكفار كانوا يخوفون النبي ﷺ من انتقام آلهتهم أو شركائهم، أو ينتظرون انتقامهم منه، فنزلت الآيات، ومضمونها يتسق مع هذا القول. وفيها ردٌّ لاذع على الكفار وسخرية بشركائهم الذين يخوفونه بهم وإنذار لهم بسوء المصير، وإعلان بأن الله كافيه وكافله، وهي بجملتها ترديد لموقف حجاج وجدل بين النبي ﷺ وبعض الكفار العنيدين المكابرين»[١].

وفي إشارة إلى مؤامرة زعماء كفار قريش لاغتيال النبي ﷺ يقول الأستاذ دروزة: «ومنها آية في سورة الأنفال المدنية جاءت للتذكير وهي: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

---

(١) محمد عزة دروزة: سيرة الرسول ﷺ صور مقتبسة من القرآن الكريم/ منشورات المكتب العصرية/ بيروت/ ص١٩٥.

والآية صريحة بأن الحقد والعداء قد بلغا في زعماء مكة نحو النبي ﷺ مبلغًا جعلهم يأتمرون فيما بينهم في الوسائل التي يقضون بها عليه أو يحولون دون استمراره في الدعوة بعد أن رأوا أن كل ما كان منهم من صدٍّ ومناوأة وأذى لم يجد نفعًا: وبعد ما أملوا في موته وانقضاء أمره كما حكته عنهم بعض آيات سورة الطور: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ [الطور: ٣٠]... فلم يتحقق أملهم على ما ذكرته الآية في ثلاث وسائل وهي: حبسه أو اغتياله أو نفيه»[١].

ونحاول إيجاز ذلك في النقاط التالية:

(١) ذكر القرآن أحوال الأمم السابقة والحضارات التي انهارت مثل قوم نوح وبني إسرائيل والحضارات التي كانت في جزيرة العرب كعاد وثمود: (الأعراف - التوبة - هود - الرعد - فصّلت - العنكبوت - الشعراء.. إلخ).

(٢) ويحدّثنا القرآن عن بعثة الرسول ﷺ: (البقرة: آل عمران- النساء - المائدة - الأنعام - الأعراف - التوبة - المؤمنون - النمل - يس - البيّنة).

(٣) ويحدّثنا القرآن عن الوحي ونزوله كما في سور: (البقرة - آل عمران - النساء - الرعد - الأحزاب - النجم.. إلخ).

(٤) ويحدثنا القرآن عن بدء الوحي بقوله تعالى في سورة العلق: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ [العلق: ١-٣].

(٥) وعن حال الرسول بعد نزول الوحي: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾

(١) محمد عزة دروزة: سيرة الرسول ﷺ صور مقتبسة من القرآن الكريم ص٢٩١.

[المدثر: ٢].

(٦) وعن حاله بعد أن اتهمه كفار قريش بأن ربه قد قلاه: فنزل قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ١-٥].. ومصدر إثبات يتمه ﷺ في قوله تعالى في سورة الضحى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ [الضحى: ٦].

(٧) وعندما عيره الكفار بأنه أبتر لا يعيش له ذكر: انتصر له ربه في سورة الكوثر: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [سورة الكوثر].

(٨) إثبات أن للنبي ﷺ بنات في قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

(٩) حادثة الإفك وبراءة الصديقة بنت الصديق السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

(١٠) تحريم التبني وقصة زيد بن حارثة وهو الصحابي الوحيد الذي ذكر اسمه في القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا

وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٧]

(١١) أمّا الإسراء والمعراج فقد ذكرهما القرآن في سورة باسم الحدث: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

وفي إشارة لنفس الحدث: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ [النجم: ٥-١٨].

(١٢) ويصوّر لنا القرآن الكريم شخصيّة الرسول ﷺ: (آل عمران - الأعراف - التوبة - فُصّلت - الكوثر - القلم..إلخ)، ويجمل القرآن في سورة القلم صفة الرسول الخُلُقية في أروع وأدقّ تعبير بلاغي: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾..

(١٣) ويحدّثنا القرآن عن الهجرة: (البقرة - آل عمران - النساء - الأنفال - التوبة - النحل - الحجّ - الحشر - الممتحنة.. إلخ).

(١٤) أمّا الغزوات والجهاد في سبيل الله وفضح المنافقين وكشف المتخاذلين والثناء الجميل على الجهاد والمجاهدين، نجد أنّ القرآن أفاض في ذلك كما هو واضح في سور: (البقرة - آل عمران - النساء - المائدة - الأنفال - التوبة - الحجّ - العنكبوت - محمّد

- الصفّ.. إلخ).

(١٥) فغزوة بدر أشار لها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤١-٤٢].

(١٦) وعن غزوة بني النضير وخيبر: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢].

(١٧) فالقرآن الكريم مصدر أصيل لغزوة الأحزاب سنة ٥هـ وعن جو المعركة: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠].

(١٨) ولم يغفل القرآن الحديث عن أهل الكتاب من يهود ونصارى وفضائح اليهود وتحذير الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ منهم ونجد ذلك في سورة (البقرة- آل عمران- النساء- المائدة وغيرها).

(١٩) وتكلم القرآن الكريم عن الجبهة الداخلية في المجتمع المسلم وفضح من الجماعات الدخيلة التي تظهر الإسلام وتبطن الكفر كما في سورتي (براءة- والمنافقون).

(٢٠) حتّى مسائل الأحوال الشخصية وما يدور في بيت رسول الله ﷺ صفحة مفتوحة لكل الأجيال ولكل من يريد أن يتعرف على هذا النبي الذي اصطفاه الله واختاره ليكون خاتم النبيين والمرسلين: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [التحريم: ٣].

(٢١) وما أحسن قول القائل في كلامه عن القرآن الكريم كمصدر أوّل للسيرة النبويّة: «والقرآن الكريم قد تفرّد بشيء مهمّ في السيرة النبويّة دون المصادر كلّها، ألا وهو تبيان حالة النبيّ ﷺ النفسيّة، وتصوير خلجات نفسه في كثير من المواطن، ولولا القرآن الكريم لما كدنا نعرف شيئًا عن ذلك وهذا أمر مهمّ جدًّا نوازن بينه وبين مجموع سيرته الظاهرة لنتأكّد من صدقه ونزاهته، وليتمّ الربط بين تصرّفه الظاهر وممارسته للحياة والدعوة، وبين طويّته وسريرته»[1].

(١) فاروق حمادة: مصادر السيرة وتقويمها: ص٢٧، ص٢٨.

صفوة القول:

القرآن الكريم أصحّ مصدر للسيرة النبويّة؛ لا غنى عنه لأيّ باحث أو طالب علم، فالقرآن الكريم ذكر حوادث في سيرة الرسول ﷺ على وجه التفصيل، وفي مواطن أخرى حدّثنا القرآن عن حوادث أخرى من السيرة على وجه الإجمال. إذن القرآن مصدرٌ صاف للسيرة النبويّة مع الاستعانة بالمصادر الأخرى، وخاصّة كتب الصحاح وكتب التفسير(١) بالمأثور حتّى تكتمل الصورة وتتّضح الرؤية. ومن ثمّ نرى أن نعيد دراسة السيرة النبويّة وتصحيح بعض المفاهيم من خلال إعادة وكتابة مصادر السيرة النبويّة لكي نعيد الاعتبار لمرويّات السيرة النبويّة، ومن ثمّ تستقيم المفاهيم والتحليلات، وفي نفس السياق نحذر من استقاء السيرة النبوية من جامعات لندن وباريس وموسكو وواشنطن وبرلين خاصة من المستشرقين -أيًّا كانت درجة حيادهم- فالمصادر والحمد لله متوافرة ولا حاجة لنا في تحليلاتهم المادية التي يهيم بها بعض المتطفلين على موائد التاريخ الإسلامي، تلكم الحفنة التي استخفت بمقام النبوة الشريف مما سهل عليهم النيل من الصحابة الكرام مقلدين المستشرقين تحت مسمى المنهج العلمي، ذلكم المنهج الذي صار معول هدم وطعن في نبي الإسلام ﷺ بل وصار مرتعًا خصبًا لبث سموم الشبهات والتخرصات على القرآن الكريم ذاته.

---

(١) ننصح بالاستعانة بكتب التفسير كتفسير الطبري وابن كثير وابن عطية والقرطبي والماوردي وابن الجوزي والألوسي والقاسمي، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي وغيرها من كتب أهل السنة المعتمدة والمحققة. ومن أراد معرفة مناهج المفسرين فعليه بمقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية في مج١٣ من مجموع فتاوى ابن تيمية، وكتاب التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي.

المصدر الثاني: كتب الحديث

ستكون خطتنا في هذا المصدر على النحو التالي:

أولًا: ما المقصود بكتب الحديث؟

ثانيًا: مناهج المحدثين في تأليفهم.

ثالثًا: ما المقصود بعلم الرجال؟

رابعًا: أهمية علم الرجال في نقل الخبر الشرعي.

خامساً: خطورة تطبيق المنهج الغربي في مرويات السيرة النبوية.

أولا: ما المقصود بكتب الحديث؟

قبل أن نتكلم عن المقصود بكتب الحديث فإننا نلقي الضوء على النقطتين التاليتين:

(أ) منزلة علم الحديث:

إن لعلم الحديث منزلة جليلة في الشريعة الإسلامية؛ قال محقق تحفة الأشراف في مقدمته: «وكيف يترجى الطالب كمال متابعة الرسول بدون علم الحديث! فهو الوسيلة الوحيدة لنيل هذا الغرض؛ فالأحاديث تُبين معاني القرآن، وترشد إلى معرفة تامة بآثار حامل الوحي وأحواله، وبيان شرعه وأحكامه، وتاريخ دينه وأيامه، ووصف أخلاقه وآدابه، وأحوال آله وأصحابه، ولا يمكن الوقوف على شتى نواحي الشرع الإسلامي إلا بدراسة علم الحديث، وما انتهى اجتهاد المجتهدين واستخراج مذاهب المتفقهين إلا إلى نصوصه وألفاظه.

العلم قال الله قال رسوله * قال الصحابة هم أولو العرفان

وقد كفانا مؤنة تبليغه عن الرسول وتدوينه أكابر علماء السلف من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان وحفظ وإتقان. ولعل من أعظم مناقب أصحاب محمد ﷺ قيامهم بحمل جميع ما رأوا وسمعوا من آثار الرسول القولية والفعلية والتقريرية عنه، ثم تبليغها إلى من تبعهم بدقة وأمانة لا نظير لهما في تاريخ البشر. وهذا هو الحجر الأساسي لبناء علم الحديث.

ثم انتقل هذا التراث النبوي من جيل إلى جيل بالرواية المتقنة والحفظ التام لم يُعهد مثلهما في أمة من الأمم غيرها. وقد كمل وانتهى تدوينه في خلال القرون الثلاثة الإسلامية

وظهر في صورة الصحاح الستة. وقد نشأ بسبب تدوين هذا العلم علوم شتى عن بكرتها مثل علم تاريخ أسماء الرجال، وعلم الجرح والتعديل، وعلم مصطلح الحديث، وغيرها. وهكذا نشأت أمة قد أحيت آثار نبيها قولًا وفعلًا وحالًا وتبليغًا إلى غيرهم.

فقد اجتمع خلاصة الأحاديث النبوية في الكتب الصحاح الستة التي ألفها مصنفوها المشتهرون من محدثي القرن الثالث؛ وهم من كبار أئمة الحديث وأهله الجادين في سبيل تنقيح الأحاديث وجمعها وإيصالها إلينا سلفًا وفرطًا وذخرًا. وهم حقيقةً من أهل النبي المعنون بقول الشاعر:

أهل الحديث همو أهلُ النبيّ وإن * لم يصحبوا نفسَه أنفاسَه صَحِبُوا

ولا غرو أن الله تعالى رزق لتصانيفهم الصحاح قبولًا تامًّا عند عامة الأمة الإسلامية»[١].

وقال في مفتاح السعادة: «علم رواية الحديث: وهو علم يبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول عليه الصلاة والسلام، من حيث أحوال رواته ضبطًا وعدالة، ومن حيث كيفية السند اتصالًا وانقطاعًا، وغير ذلك من الأحوال التي يعرفها نقاد الأحاديث. وموضوعه: ألفاظ الرسول عليه الصلاة والسلام، من حيث صحة صدورها عنه ﷺ وضعفه، إلى غير ذلك. وفي هذا الفن منفع بينة وغاية عظيمة، بل هو

(١) راجع: مقدمة محقق تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف/ للحافظ أبي الحجاج جمال الدين يوسف بن الزكي المزي المتوفى ٧٤٢هـ/ تحقيق عبد الصمد شرف الدين/ المكتب الإسلامي/ بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/ ج١ ص١٠، ص١١.

أحد أركان الدين»[١].

(ب) تعريف الحديث النبوي:

في اللغة: «الحديث نقيض القديم. والحديث (الخبر)، فهما مترادفان، يأتي على القليل والكثير»[٢].

وفي اصطلاح المحدثين: «هو أقوال النبي ﷺ، وأفعاله، وتقريراته، وصفاته الخِلقية والخُلُقية، مثل كونه أبيض اللون مشربًا بحمرة، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير إلى غير ذلك من الصفات. ومثل كونه أشجع الناس وأشدهم حياء وتواضعًا وجودًا، وعطفًا على الفقراء والمساكين والأرامل واليتامى، وأعفاهم عند المقدرة، إلى غير ذلك من غرر الأخلاق. ويدخل في ذلك سيرته وغزواته ﷺ»[٣].

وقد عرف ابن تيمية الحديث النبوي بقوله: «الحديث النبوي هو عند الإطلاق ينصرف إلى ما حُدّث به عنه بعد النبوة: من قوله وفعله وإقراره، فإن سنته ثبتت من هذه الوجوه الثلاثة. فما قاله إن كان خبرًا وجب تصديقه به، وإن كان تشريعًا إيجابًا أو تحريمًا أو إباحة وجب اتباعه فيه، فإن الآيات الدالة على نبوة الأنبياء دلت على أنهم معصومون فيما يخبرون به عن الله ، فلا يكون خبرهم إلا حقًّا، وهذا معنى النبوة،

---

(١) أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ـ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م ج٢ ص٥٢.

(٢) الفيومي: القاموس المحيط/ تحقيق مصطفى حجازي/ دار الهداية للطباعة والنشر/ ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م/ ج٥ ص٢٠٥، ص٢٠٨ بتصرف

(٣) أبو شهبة: د. محمد أبو شهبة: الوسيط في علوم ومصطلح الحديث/ عالم المعرفة/ مصر/ ١٤٠٢هـ/ ص١٥.

وهو يتضمن أن الله ينبئه بالغيب وأنه ينبئ الناس بالغيب، والرسول مأمور بدعوة الخلق وتبليغ رسالات ربه»[١].

ومعنى التقرير:«أن يفعل أحد من الصحابة فعلًا أو يقول قولًا أمام النبي ﷺ ولا ينكره عليه، أو لا يكون أمامه ولكن يلغه ويسكت عنه. فعدم إمكانه وسكوته تقرير له؛ لأنه ﷺ لا يقر أمرًا غير مشروع»[٢].

أمثلة على إقرار الرسول ﷺ لأصحابه: «ومما يدخل في مسمى حديثه: ما كان يقرهم عليه، مثل إقراره على المضاربة التي كانوا يعتادونها، وإقراره لعائشة على اللعب بالبنات، وإقراره في الأعياد على غناء مثل الجاريتين، ومثل لعب الحبشة بالحراب في المسجد ونحو ذلك، وإقراره لهم على أكل الضب على مائدته، وإن كان قد صح عنه أنه ليس بحرام. إلى أمثال ذلك فهذا يدخل في مسمى الحديث، وهو المقصود بعلم الحديث؛ فإنما يطلب ما يستدل به على الدين، وذلك إنما يكون بقوله أو فعله أو إقراره[٣].

وهل يعتبر بعض أخباره قبل النبوة من الحديث أيضًا؟ يجيب ابن تيمية: «وقد يدخل فيها بعض أخباره وبعض سيرته قبل النبوة: مثل: تحنُّثه بغار حراء، ومثل حسن سيرته؛ لأن الحال يستفاد منه ما كان عليه قبل النبوة: من كرائم الأخلاق ومحاسن الأفعال، كقول خديجة له: كلا والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل

(١) ابن تيمية: مجموعة الفتاوى/ تحقيق عامر الجزار، وأنور الباز/ دار الوفاء/ المنصورة/ مصر / ط٢/ ١٤٢١هـ/ مج٩(ج١٨) ص٨.

(٢) أبو شهبة: الوسيط ص١٥، وص١٦.

(٣) ابن تيمية: مجموعة الفتاوى مج٩ (ج١٨) ص٩.

الكَلَّ، وتقْري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق. ومثل: المعرفة فإنه كان أميًّا لا يكتب ولا يقرأ، وأمثال ذلك مما يستدل به على أحواله التي تنفع في المعرفة بنبوته وصدقه، فهذه الأمور ينتفع بها في دلائل النبوة كثيرًا؛ ولهذا يذكر مثل ذلك من كتب سيرته، كما يذكر فيها نسبه وأقاربه وغير ذلك بما يعلم أحواله؛ وهذا أيضًا قد يدخل في مسمى الحديث. والكتب التي فيها أخباره منها كتب التفسير، ومنها كتب السيرة والمغازي، ومنها الحديث. وكتب الحديث هي ما كان بعد النبوة أخص، وإن كان فيها أمور جرت قبل النبوة، فإن تلك لا تذكر لتؤخذ وتشرع فعله قبل النبوة، بل قد أجمع المسلمون على أن الذي فرض على عباده الإيمان به والعمل هو ما جاء به بعد النبوة»[(١)].

على ضوء ما سبق نستطيع أن نعرف كتب الحديث بالتالي: هي الكتب التي تتناول بصفة عامة أقوال وأفعال وتقريرات الرسول ﷺ؛ ويدخل فيها ما كان من أخباره قبل النبوة؛ وهي بهذا المفهوم موسوعة شاملة لسيرة الرسول محمد ﷺ من مهده ثم بدء بعثته مرورًا بغزواته وصفاته وأخلاقه ومعاملاته مع أصحابه وأهل بيته وأحكامه وقضاياه ورسائله إلى ملوك زمانه ثم وفاته ﷺ.

ولما كانت كتب الحديث كثيرة وعلى درجات متفاوتة من صحة السند والمتن وطريقة التأليف فإن العلماء قسموا كتب الحديث على النحو التالي:

(١) ابن تيمية: مجموعة الفتاوى مج٩ (ج١٨) ص٩، ص١٠،

الأولى: كتب الصحاح[١]:

وهي الكتب التي التزم مصنفوها جمع الأحاديث الصحيحة؛ «ويدخل في هذا النوع (المستدركات): جمع مستدرك؛ والمستدرك هو كل كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث التي استدركها على كتاب آخر مما فاته على شرطه؛ كالمستدرك على الصحيحين للحاكم، وذكره ضمن كتب الصحاح من باب التساهل»[٢].

(١) الموطأ لأبي عبد الله مالك بن أنس (٩٣هـ - ١٧٩هـ)[٣]. قال ابن الصلاح: «أما

---

(١) ننصح بقراءة الكتب التي تعنى بمصطلح الحديث وعلومه وليبدأ الطالب المبتدئ بدراسة الكتب بالتدريج وهي على سبيل المثال: كتاب تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان. مباحث في علوم الحديث لمناع القطان. الوسيط في علوم ومصطلح الحديث للدكتور محمد أبي شهبة. أصول الحديث: علومه ومصطلحه للدكتور محمد عجاج الخطيب/ طبعة دار المعارف ١٤٠٨هـ. كتاب علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحي الصالح. وكتاب علوم الحديث الموسوم بالباعث الحثيث لابن كثير ت٧٧٤ هـ. تحقيق الشيخ أحمد شاكر. كتاب نزهة النظر في شرح نخبة الفكر لابن حجر العسقلاني ت٨٥٢ هـ. كتاب الموقظة في مصطلح الحديث للذهبي ٧٤٨ هـ تحقيق كامل عويضة. المنظومة البيقونية للنبهاني شرح الشيخ ابن عثيمين. قواعد التحديث لجمال الدين القاسمي ت١٣٣٢هـ. تدريب الراوي للسيوطي ت٩١١ هـ. توجيه النظر في علوم الأثر للشيخ طاهر الجزائري المتوفى ١٣٣٨ هـ. مقدمة شرح صحيح مسلم للنووي. مقدمة تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري. هدي الساري لا بن حجر العسقلاني. كتاب الإلماع في معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضي عياض ت٥٤٤هـ تحقيق السيد أحمد صقر. الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي/ تحقيق للدكتور أحمد عمر هاشم/ دار الكتاب العربي/ بيروت ١٤٠٦هـ وهناك طبعة حديثة بتحقيق أبي إسحاق آل بحبح الدمياطي / مكتبة ابن عباس بمصر ١٤٢٢هـ. معرفة علوم الحديث للحاكم المتوفى ٤٠٥هـ تحقيق أحمد بن فارس السلوم دار ابن حزم ـ بيروت طبعة أولى ١٤٢٣هـ....إلخ.

(٢) أحمد مختار رمزي: سير أعلام المحدثين/ دار البشائر الإسلامية/ بيروت/ ١٤٢٦هـ ص٢٧.

(٣) قال الكتاني: «موطأ نجم الهدى، إمام الأئمة، عالم المدينة، أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، نسبة إلى أصبح من ملوك اليمن، المدني، المتوفى بها سنة تسع وسبعين ومائة، وهو في الرتبة بعد مسلم على ما هو الأصح، ويذكر أن جميع مسائلها ثلاثة آلاف مسألة، وأحاديثها سبعمائة حديث، وعن مؤلفها فيها روايات كثيرة، أشهرها وأحسنها رواية يحيى بن يحيى بن كثير الليثي الأندلسي، وإذا أطلق في هذه الأعصار موطأ مالك فإنما ينصرف لها، وأكبرها رواية عبد الله بن مسلمة القعنبي، ومن أكبرها وأكثرها زيادات رواية أبي مصعب أحمد بن أبي بكر القرشي الزهري، قاضي المدينة، ومن جملتها رواية محمد بن الحسن الشيباني، صاحب أبي حنيفة، وفي موطئه أحاديث يسيرة عن غير مالك، وأخرى زائدة على الروايات المشهورة، وهي أيضاً خالية عن عدة أحاديث ثابتة في =

رويناه عن الشافعي من أنه قال: ما أعلم في الأرض كتابًا أكثر صوابًا من كتاب مالك، وفي لفظ عنه: ما بعد كتاب الله أصح من موطأ مالك، فذلك قبل وجود الكتابين»[١] يقصد كتابي البخاري ومسلم. قال القاضي عياض في ترتيب المدارك: «لم يعتنَ بكتاب من كتب الحديث والعلم اعتناء الناس بالموطأ»[٢] فقد شرحه الحافظ أبو عمر بن عبد البر ت٤٦٣هـ في (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) فرتبه على أسماء شيوخ مالك على حروف المعجم، وله كتاب آخر (الاستذكار لمذهب علماء الأمصار لما تضمنه الموطأ من المعاني والآثار)، والقاضي أبو الوليد الباجي ت٤٩٤هـ له كتاب (الاستيفاء في شرح الموطأ)، ثم اختصره في كتابه الشهير (المنتقى)، والقاضي أبو بكر بن العربي ت٥٤٦هـ في كتاب (القبس شرح موطأ مالك بن أنس)، والحافظ أبو الفضل جلال الدين السيوطي ت٩١١هـ؛ صنف (كشف المغطى عن الموطأ)، ثم اختصره في (تنوير الحوالك على موطأ مالك)، وله أيضًا (تجريد أحاديث الموطأ) جرد فيه أحاديثه، وله كتاب (إسعاف المبطا برجال الموطأ)، وهناك شروح كثيرة ذكرها القاضي عياض في ترتيب المدارك، والقاضي إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون المالكي ت٧٩٩هـ في (الديباج المذهب في أعيان المذهب)، وذكرها أيضًا بالتفصيل علامة الحديث في الهند الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي في كتابه (أوجز المسالك إلى موطأ مالك) وهو من أفضل الشروح المعاصرة.

=

سائر الروايات» اهـ الكتاني: الرسالة المستطرفة ص١٣، ص١٤.

(١) السيوطي: تدريب الراوي/ تحقيق محمد أيمن الشبراوي/ دار الحديث القاهرة/ ط ١٤٢٣هـ/ ص٦٧.

(٢) القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك/ تحقيق محمد سالم هاشم/ دار الكتب العلمية بيروت/ ١٤١٨هـ/ ج١ ص١٠٥.

(٢) الجامع المسند الصحيح من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه. المعروف بـ (صحيح البخاري) لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤هـ- ٢٥٦هـ)[(١)].

قال ابن كثير في مختصره: «أول من اعتنى بجمع الصحيح: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وتلميذه أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، فهما أصح كتب الحديث، والبخاري أرجح؛ لأنه اشترط في إخراجه الحديث في كتابه هذا: أن يكون الراوي قد عاصر شيخه، وثبت عنده سماعه منه، ولم يشترط مسلم الثاني، بل اكتفى بمجرد المعاصرة، ومن هنا ينفصل لك النزاع في ترجيح تصحيح البخاري على مسلم، كما هو قول الجمهور، خلافًا لأبي علي النيسابوري شيخ الحاكم، وطائفة من علماء المغرب، ثم إن البخاري ومسلمًا لم يتلزما بإخراج جميع ما يحكم بصحته من الأحاديث، فإنهما قد صححا أحاديث ليست في كتابيهما، كما ينقل الترمذي وغيره عن البخاري تصحيح أحاديث ليست عنده، بل في السنن وغيرها»[(٢)].

وقد اعتنى العلماء قديمًا وحديثًا بصحيح البخاري، فعلى سبيل المثال: فقد شرحه الحافظ أبو سليمان الخطابي ت٣٠٨هـ سماه (أعلام السنن)، والعلامة أبو الحسن علي

(١) قال الكتاني في الرسالة المستطرفة: «صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة بن بردزبه البخاري نسبة إلى بخارى بالقصر أعظم مدينة وراء النهر، بينها وبين سمرقند مسافة ثمانية أيام، الجعفي ولاء لأن جده المغيرة أسلم على يد اليمان بن أخنس الجعفي والي بخارى، الفارسي نسبًا من أبناء فارس، المتوفى بخرتنك، قرية بظاهر سمرقند على ثلاث فراسخ منها، وقيل على فرسخين، توفي سنة ست وخمسين ومائتين، وهو أصح كتاب بين أظهرنا بعد كتاب الله». الكتاني: الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة / تحقيق محمد المنتصر بن محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني / دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ الطبعة الخامسة لسنة ١٤١٤هـ الموافق ١٩٩٣م ص ١٠، ص١١.

(٢) ابن كثير: الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث/ تحقيق أحمد محمد شاكر/ دار الآثار بالقاهرة/ ط١/ ١٤٢٣هـ/ ﷺ ٢٣، ص ٢٤

بن خلف بن عبد الملك بن بطال ت٤٤٩هـ في كتابه (شرح صحيح البخاري)، وهناك شرح مختصر صحيح البخاري المسمى «جمع النهاية في بدء الخير والغاية» للعلامة المحدث أبي محمد عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي المتوفى ٦٩٩هـ والكتاب مطبوع في ٤ أجزاء بمجلدين باسم «بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها» دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية لسنة ٢٠٠٧م، وشرحه العلامة شمس الدين محمد بن يوسف الكرماني ت٧٨٦هـ في كتابه (الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري)، وشرح العلامة برهان الدين إبراهيم بن محمد الحلبي المعروف بسبط ابن العجمي ت٨٤١هـ (التلقيح لفهم قارئ الصحيح)، والحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ت٧٩٥هـ (فتح الباري شرح صحيح البخاري) لكنه مات رحمه الله ولم يكمله، والحافظ علاء الدين مغلطاي ت٧٩٢هـ (التلويح)، والحافظ السيوطي ت٩١١هـ (التوشيح على الجامع الصحيح)، وهناك شرح العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني ت٩٢٢هـ (إرشاد الساري إلى صحيح البخاري). وهناك شرح قيم طبع حديثًا في ٣٦ مجلدًا باسم (التوضيح لشرح الجامع الصحيح) للحافظ سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملقن المتوفى ٨٠٤هـ تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ الموافق ٢٠٠٨م.

لكن أهم شرحين هما: الأول: للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ (فتح الباري بشرح صحيح البخاري). الثاني: للحافظ بدر الدين أبي محمود بن أحمد العيني الحنفي ت٨٥٥هـ (عمدة القاري في شرح صحيح البخاري). قال

النووي في مقدمة شرح صحيح مسلم: «اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان: البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة. وقد صح أن مسلمًا كان ممن يستفيد من البخاري، ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث، وهذا الذي ذكرناه من ترجيح كتاب البخاري هو المذهب المختار الذي قاله الجماهير وأهل الإتقان، والحذق، والغوص على أسرار الحديث»[١].

(٣) المسند الصحيح المختصر من السنن، بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ المعروف بـ (صحيح مسلم)[٢] لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (٢٠٦-٢٦١هـ)[٣]. شرح القاضي عياض ت٥٤٤هـ في (إكمال المعلم بفوائد مسلم)، والكتاب مطبوع قام بتحقيقه الدكتور يحيى إسماعيل طبعته دار الوفاء بالمنصورة بمصر في تسعة أجزاء طبعة أولى سنة ١٤١٤هـ والطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ مع العلم أن القاضي عياض سمى كتابه الإكمال وهو إكمال عمل الحافظ المازري ت٥٣٦هـ في شرحه لصحيح مسلم وتهذيب ما تم منه في كتابه الموسوم (المعلم بفوائد شرح مسلم). والمازَرِيُّ هو محمد بن عمر بن محمد التميمي المازري، أول من أبرز علم أصول الفقه بتونس. أصله

(١) النووي: صحيح مسلم بشرح النووي/ مكتبة العلم/ القاهرة/ ١٤٢٢هـ ج١ص٢٤، ص٢٥.

(٢) راجع: كتاب هدي الساري مقدمة فتح الباري لابن حجر العسقلاني عن أهم الفروق بين صحيحي البخاري ومسلم فهو في غاية الحسن والإفادة والإجادة. الكتاب مطبوع ضمن كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري هناك عدة طبعات منها طبعة دار الفكر ببيروت لسنة ١٤١٤هـ.

(٣) قال الكتاني: «وصحيح أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، نسبة إلى بني قشير، قبيلة معروفة من قبائل العرب، النيسابوري، نسبة إلى نيسابور مدينة مشهورة بخراسان من أحسن مدنها وأجمعها للعلم والخير، المتوفى بها سنة إحدى وستين ومائتين». الكتاني: الرسالة المستطرفة ص١١.

من (مازر) بالفتح والكسر بجزيرة صقلية على ساحل البحر المتوسط، وقد ولد بالمهدية بتونس، مات بها في ربيع الأول سنة ثلاث وستين وخمسمائة وله ثلاث وثمانون سنة، وكان رحمه الله أفقه المالكية في عصره. وهناك شرح قيم للحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ت٦٥٦هـ (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم)، وهناك الشرح ذائع الصيت (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج) للحافظ محيي الدين النووي ت٦٧٦هـ؛ الذي استفاد من شروح من سبقه وزاد وأجاد، و(الديباج على صحيح مسلم) للحافظ السيوطي ت٩١١هـ، وهناك شرح معاصر للشيخ الدكتور موسى شاهين لاشين الموسوم بـ (فتح المنعم شرح صحيح مسلم).

قال في تحفة الأحوذي في شأن صحيحي البخاري ومسلم: «وأما الصحيحان فقد اتفق المحدثون على أن جميع ما فيهما من المتصل المرفوع صحيح بالقطع، وأنهما متواتران إلى مصنفيهما، وأن كل من يهوِّن أمرهما فهو مبتدعٌ متبعٌ غيرَ سبيل المؤمن»[١].

قال النووي: «وقد انفرد مسلم بفائدة حسنة وهي كونه أسهل متناولًا من حيث إنه جعل لكل حديث موضعًا واحدًا يليق به، جمع فيه طرقه التي ارتضاها واختار ذكرها وأورد فيه أسانيده المتعددة وألفاظه المختلفة، فيسهل على الطالب النظر في وجوهه واستثمارها، ويحصل له الثقة بجميع ما أورده مسلم من طرقه، بخلاف البخاري فإنه يذكر تلك الوجوه المختلفة في أبواب متفرقة متباعدة، وكثير منها يذكره في غير بابه الذي

(١) المباركفوري المتوفى ١٣٥٣ هـ: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي/ خرج أحاديثه عصام الصبابطي/ دار الحديث القاهرة/ ١٤٢١هـ/ المقدمة ص٤٤.

يسبق إلى الفهم إنه أولى به، وذلك لدقيقة يفهمها البخاري منه، فيصعب على الطالب جمع طرقه وحصول الثقة بجميع ما ذكره البخاري من طرق هذا الحديث»[١].

المسند الصحيح المتصل بنقل العدل عن العدل من غير قطع في السند ولا جرح في النقلة، المعروف بـ (صحيح ابن خزيمة) لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (٢٢٣-٣١١هـ)(٢)، وقد حققه الدكتور محمد مصطفى الأعظمي من مطبوعات المكتب الإسلامي ببيروت لعام ١٣٩٠هـ الموافق ١٩٧٠م في أربعة أجزاء، قسم ابن خزيمة كتابه على الأبواب الفقهية ويبلغ عدد الأحاديث ٢٨٨٦ حديثًا وأحاديثه أغلبها صحيح وحسن أما الضعيف فقليل جدًّا؛ لذلك فهو أقل رتبة من صحيحي البخاري ومسلم.

(٤) المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها، المعروف بـ (صحيح ابن حبان)[٣] لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد

(١) النووي: صحيح مسلم / طبعة دار المعرف بيروت ١٤٢٩هـ الطبعة ١٥ / ج١ ص ص١٢٩.

(٢) هناك دراسة قيمة حول منهج ابن خزيمة حصل مؤلفها على درجة (العالمية) الدكتوراة من جامعة بغداد عام ١٩٩٦م وطبعت عام ١٤٢٢هـ والكتاب موسوم بـ (الإمام ابن خزيمة ومنهجه في كتابه الصحيح) للدكتور عبد العزيز شاكر حمدان الفياض الكبيسي/ دار ابن حزم/ بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. لابن خزيمة ترجمة في طبقات المحدثين لابن عبد الهادي بتحقيق أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق مطبوعات مؤسسة الرسالة ببيروت الطبعة ٢ لسنة ١٤١٧هـ/ مج٢ص٤٤١ وما بعدها وفي سير أعلام النبلاء للذهبي وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي والبداية والنهاية لابن كثير والمنتظم لابن الجوزي والنجوم الزاهرة لا بن تغري بردي وغيرهم. قال الكتاني: «منها صحيح أبي عبد الله وأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة السلمي النيسابوري الشافعي، شيخ ابن حبان، المتوفى سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، ويعرف عند المحدثين بإمام الأئمة» الكتاني: الرسالة المستطرفة ص٢٠.

(٣) قال الكتاني: «وصحيح أبي حاتم (ابن حبان) بن أحمد بن معاذ التميمي الدارمي البستي، بضم الموحدة وإسكان السين وفوقية، نسبة إلى بست، بلد كبير من بلاد الغور بطرف خراسان، الشافعي، أحد الحفاظ الكبار، صاحب التصانيف العديدة، المتوفى ببست سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، وهو المسمى بالتقاسيم والأنواع، في خمس مجلدات، وترتيبه مخترع، ليس على الأبواب =

بن حبان البَستي (٢٧٢- ٣٥٦هـ). وقد قام بترتيبه الأمير علاء الدين علي ابن بلبان المتوفى ٧٣٩هـ وسماه (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان)، وهناك طبعتان لصحيح ابن حبان؛ الأولى: (صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان) تحقيق الشيخ شعيب الأرناءوط والكتاب مطبوع في ١٨ مجلدًا. الثاني: ثم قام بالتعليق عليه وتخريج أحاديثه محدث الديار الشامية الشيخ محمد ناصر الدين الألباني المتوفى ١٤٢٠هـ في كتابه الموسوم (التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان)، وهناك مقدمة قيمة ماتعة لمحدث الديار المصرية الشيخ أحمد شاكر المتوفى ١٣٧٧هـ مثبتة في المجلد الأول من التعليقات الحسان، والكتاب مطبوع في اثني عشر مجلدًا.

(٥) المستدرك على الصحيحين في الحديث، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه النيسابوري، المعروف بـ «ابن البيع»، الملقب بـ«الحاكم»(٣٢١-٤٠٥هـ)[١]، والكتاب حققه مصطفى عبد القادر عطا، نشرته دار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٩٩٠م. وهناك نسخة أخرى في خمسة أجزاء بتحقيق محمود مطرجي طبعة دار الفكر ٢٠٠١م. وهناك طبعة جيدة محققة للشيخ أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي؛ وهذه الطبعة متضمنة انتقادات الحافظ شمس الدين الذهبي ت٧٤٨هـ على مستدرك الحاكم،

=

ولا على المسانيد، والكشف منه عسر جداً» أهـ الكتاني: الرسالة المستطرفة ص٢٠.

(١) قال الكتاني: «وصحيح أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه (الحاكم) الضبي الطهماني النيسابوري، المعروف بابن البيع، بوزن قيم، صاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها، ككتاب الإكليل، وكتاب المدخل إليه، وتاريخ نيسابور، وفضائل الشافعي وغير ذلك، المتوفى بنيسابور سنة خمس وأربعمائة، وهو المعروف بالمستدرك على كتاب الصحيحين مما لم يذكراه وهو على شرطهما أو شرط أحدهما أو لا على شرط واحد منهما، وهو متساهل في التصحيح، واتفق الحفاظ على أن تلميذه البيهقي أشد تحرياً منه». اهـ. الرسالة المستطرفة ص٢١.

وبذيله تتبع أوهام الحاكم التي سكت عليها الذهبي للشيخ مقبل الوادعي، الطبعة الأولى للكتاب ١٤١٧هـ، والكتاب مطبوع في ٥ مجلدات.

الثانية: كتب السنن:

(أ) سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ). وقد قام بشرحه العلامة أبو محمد شمس الحق العظيم آبادي في كتابه الموسوم بـ (عون المعبود شرح سنن أبي داود) مع تعليقات الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية، وهناك عدة طبعات مختلفة كطبعة دار الفكر بلبنان بإشراف صدقي محمد جميل العطار لسنة ١٤٢٣هـ. وقام بتخريج أحاديث سنن أبي داود بدون شرح الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

(ب) سنن الترمذي: (الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل)، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي (٢٠٩- ٢٧٩هـ). والكتاب خرج أحاديثه الشيخ ناصر الدين الألباني. وقام بشرح سنن الترمذي العلامة محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري في كتابه الموسوم بـ (تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي) وهناك عدة طبعات منها طبعة حديثة اعتنى بها عصام الصبابطي طبعة دار الحديث بالقاهرة لسنة ١٤٢١هـ.

(ج) سنن النسائي: لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر النسائي (٢١٥-٣٠٣هـ). توجد طبعة حديثة تجمع بين شرحي الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى ٩١١هـ، والعلامة محمد بن عبد الهادي الحنفي المشهور بالسندي المتوفى سنة

١١٣٨هـ، وهما أقرب إلى التعليق من الشرح المطول والكتاب موسوم بـ (سنن النسائي بشرح الإمامين السيوطي والسندي) تحقيق الدكتور السيد محمد سيد والأستاذ سيد عمران طبعة دار الحديث بالقاهرة لسنة ١٤٢٠هـ.

(د) سنن ابن ماجه: لأبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني (٢٠٩-٢٧٣هـ). قام بتخريج أحاديثه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. وأول من عد سنن ابن ماجه سادس الكتب الستة الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي المتوفى سنة ٥٠٧هـ في كتابه (أطراف الكتب الستة)، ورسالته (شروط الأئمة الستة)، ثم الحافظ عبد الغني المقدسي المتوفى سنة ٦٠٠هـ في كتابه (الإكمال في أسماء الرجال) وتابعهما كثير من الحفاظ؛ كالمزي، والمجد ابن تيمية، وابن حجر، والسيوطي وغيرهم.

(هـ) سنن الدارمي: لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي السمرقندي الدارمي (١٨١- ٢٥٥هـ). مع التنبيه أحيانًا بعض العلماء يطلقون عليه المسند وهو ليس كذلك كما قال السيوطي في تدريب الراوي: وقد حققه وخرج أحاديثه الشيخ السيد عبد الله هاشم يماني المدني.

(و) سنن سعيد بن منصور: لأبي عثمان بن سعيد بن منصور الخراساني، النيسابوري (١٣٧-٢٢٧هـ). وقد حقق كتابه الدكتور سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد.

(ز) شرح معاني الآثار ومشكل الآثار: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة المصري الطحاوي (٢٣٩- ٣٢١هـ). ويعتبر شرح معاني الآثار أول تصانيف الطحاوي وهناك عدة شروح على شرح معاني الآثار فقد شرحه قديمًا الحافظ عبد القادر القرشي المتوفى

سنة ٧٧٥هـ صاحب (الحاوي في تخريج أحاديث معاني الآثار للطحاوي)، وممن شرحه أيضًا العلامة بدر الدين العيني (مباني الأخيار في شرح معاني الآثار). أما شرح مشكل الآثار فقد ألفه في أواخر عمره. وقام بتحقيقه الشيخ شعيب الأرناءوط.

(ح) سنن البيهقي: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي النيسابوري (٣٨٤هـ - ٤٥٨هـ). وقام بتحقيقه (سنن البيهقي الكبرى) حديثًا محمد عبد القادر عطا طبعة مكتبة الباز بمكة المكرمة لسنة ١٤١٤هـ.

(ط) سنن الدارقطني: لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان الدارقطني البغدادي (٣٠٦- ٣٨٥هـ). وكتاب سنن الدارقطني قام بتحقيقه السيد عبد الله هاشم يماني المدني طبعة دار المعرفة بيروت لسنة ١٣٨٦هـ.

الثالثة: كتب المسانيد:

المقصود بكتب المسانيد: «هي الكتب الحديثية التي صنفها مؤلفوها على ترتيب الصحابة رضي الله عنهم، بمعنى أنهم جمعوا أحاديث كل صحابي على حدة. وأما ترتيب أسماء الصحابة داخل المسند، فقد يكون على نسق حروف المعجم، وقد يكون على السابقة في الإسلام: فتقدم أحاديث العشرة المبشرين بالجنة، ثم أهل بدر، ثم أهل الحديبية، ثم من أسلم وهاجر بين الحديبية والفتح، ثم من أسلم يوم الفتح، ثم أصاغر الصحابة سنًّا، ثم أحاديث النسوة الصحابيات.

وقد يكون على القبائل والأنساب، فيقدم بنو هاشم، ثم الأقرب فالأقرب إلى رسول

الله ﷺ في النسب. ولكن الترتيب على المعجم أسهل تناولًا»[١].

أيهما أعلى رتبة: كتب المسانيد أم كتب السنن؟

كتب المسانيد دون كتب السنن في الرتبة؛ «إذ جرت عادة مصنفيها أن يجمعوا في مسند كل صحابي ما يقع لهم من حديثه، صحيحًا كان أو سقيمًا، ولذلك لا يسوغ الاحتجاج بما ورد فيها مطلقًا، واستثنى بعض المحدثين منها مسند الإمام أحمد بن حنبل»[٢].

(١) مسند أبي حنيفة: لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن النعمان (٨٠ -١٥٠هـ). «المسانيد التي رويت عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله خمسة عشر مسندًا، بعضها مطبوعة وبعضها لم يتم العثور عليها إلى الآن، وقد جمعها الإمام أبو المؤيد محمد بن محمود الخوارزمي في كتاب سماه (جامع المسانيد) رتبها على الأبواب وحذف المكرر، ثم أورد الحديث، وذكر وجوه هذه المسانيد، ومن أي طريق روى عنهم»[٣].. وهناك مسند للإمام أبي حنيفة قام بترتيبه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني المتوفى ٤٣٠هـ تحقيق نظر محمد الفاريابي من إصدارات مكتبة الكوثر بالرياض الطبعة الأولى لسنة ١٤١٥هـ.

(٢) مسند الشافعي: لأبي عبد الله محمد بن إدريس بن شافع المطلبي (١٥٠-٢٠٤هـ). ومسند الإمام الشافعي بترتيب العلامة الأمير سنجر الجاولي المتوفى ٧٤٥هـ وقد كان مخطوطًا وطبع حديثًا لأول مرة ١٤٢٥هـ ويشمل ١٨١٩ حديثًا من إصدارات شركة

---

(١) أحمد مختار رمزي: سير أعلام المحدثين/ دار البشائر الإسلامية / بيروت / ط١ / ١٤٢٦هـ/ ص٥٩٣.

(٢) سير أعلام المحدثين ص٥٩٣.

(٣) أبو نعيم الأصبهاني: مسند الإمام أبي حنيفة/ تحقيق نظر محمد الفاريابي / مكتبة الكوثر/ الرياض الطبعة الأولى لسنة ١٤١٥هـ المقدمة ص١١.

غراس للنشر والتوزيع بالكويت في ٤ أجزاء؛ حققه الدكتور ماهر ياسين الفحل. وقد قام بشرح مسند الشافعي العلامة أبي القاسم الرافعي القزويني المتوفى ٦٢٣هـ والكتاب حققه أبو بكر وائل محمد بكر زهران بدار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث في ٤ مجلدات من إصدارات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر الطبعة الأولى لسنة ١٤٢٨هـ.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (١٦٤-٢٤١هـ). له عدة تحقيقات حيث قام الشيخ أحمد شاكر بتخريج أحاديثه والتعليق عليها ولكنه لم يكمله. وهناك طبعة للمسند محققة كاملة أشرف على تحقيقها الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وقام بتحقيقها وتخريجها والتعليق على الأحاديث جماعة من العلماء بإشراف الشيخ شعيب الأرناءوط ونشرته مؤسسة الرسالة ببيروت سنة ١٤١٦هـ.

(٤) مسند أبي داود الطيالسي: لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود (١٣١-٢٠٣هـ). قام بتحقيقه الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي.

(٥) مسند البزار (المسند المعلل) المسمى أيضًا البحر الزخار: لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي، البصري (نيف عشرة ومائتين – ٢٩٢هـ).

(٦) مسند أبي يعلى: لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي (٢١٠-٣٠٧هـ).

الرابعة: كتب المعاجم:

والمعجم في اصطلاح المحدثين: «ما تذكر فيه الأحاديث على ترتيب الشيوخ سواء

يعتبر تقدم وفاة الشيخ أم توافق حروف التهجي أو الفضيلة أو التقدم في العلم والتقوى، ولكن الغالب هو الترتيب على حروف الهجاء»[(١)] ومن هذا النوع:

(أ) معاجم الطبراني الثلاثة: (الكبير والأوسط والصغير). والطبراني هو أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني المولود بمدينة عكا بفلسطين سنة ٢٦٠هـ المتوفى ٣٦٠هـ. والمعجم الكبير نشرته وزارة الأوقاف العراقية ١٩٧٨-١٩٨٣م تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي. أما المعجم الأوسط نشرته مكتبة المعارف بالرياض ١٩٨٥-١٩٩٥م تحقيق الدكتور محمد الطحان. وأما المعجم الصغير نشرته مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت سنة ١٩٨٦م تحقيق كمال يوسف الحوت.

(ب) الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير: لأبي بكر جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ). وقد قام بتحقيقه وتخريج أحاديثه الشيخ الألباني (صحيح الجامع الصغير) و(ضعيف الجامع الصغير)، وقديمًا اعتنى به جماعة من العلماء فقد جمع أحاديثه الشيخ علي بن حسام الدين المتقي الهندي المتوفى ٩٧٥هـ وسمى كتابه (كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال) ثم اختصره في كتابه (منتخب كنز العمال). ثم قام بشرحه الشيخ محمد عبد الرءوف المناوي المتوفى ١٠٣١هـ وسمى كتابه (فيض القدير بشرح الجامع الصغير) والكتاب مطبوع في ستة مجلدات. وللمناوي شارح الجامع الصغير معجمان (الجامع الأزهر من حديث النبي الأنور ﷺ)، والثاني (كنوز الحقائق من كنوز خير الخلائق ﷺ).

---

(١) المباركفوري: تحفة الأحوذي المقدمة ص٤٩.

الخامسة: المصنفات:

والمصنف هو ما ذكرت فيه أحاديث الأحكام فقط كالسنن، بحيث يكون ترتيبه على الأبواب الفقهية، لكنه يختلف عن كتب السنن في أنه يشتمل على الحديث المرفوع والموقوف وأقوال التابعين. مثاله:

(أ) مصنف عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (١٢٦-٢١١هـ). قام بتحقيق نصوصه وتخريج أحاديثه الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ويقع في أحد عشر جزءًا وخصص الجزء الثاني عشر للفهارس ونشرت المجلس العلمي بالهند في الهند سنة ١٣٩٠هـ.

(ب) ومصنف ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن أبي شيبة ت٢٣٥هـ. وهو من أقران أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين. وقد نشرته الدار السلفية في بومباي بالهند بتحقيق عبد الخالق الأفغاني وآخرين.

ثانيًا: مناهج المحدثين في تأليفهم:

هناك عدة طرق لتصنيف الحديث وجمعه نذكرها على النحو التالي:

(١) التصنيف على الأبواب الفقهية:

وهذه الطريقة أيسر لأهل العلم وطلبته على غرار ما صنفه الفقهاء في كتب الفقه كما في الموطأ للإمام مالك فقد صنفه على الأبواب الفقهية لدرجة أن أحد المعاصرين (الدكتور علي حسن عبد القادر) في كتابه (نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي) اعتبر كتاب (الموطأ) كتاب فقه وليس كتاب حديث، وزعم أن الإمام مالك لم يكن محدثًا!! ثم رد على هذه الشبهة الدكتور مصطفى السباعي قائلًا: «أما إن مالكًا لم يكن محدثًا فهذا تجنٍّ على الحق ومخالفة لما يعرفه العلماء جميعًا، فقد كان مالك من كبار المحدثين في عصره، وكانت مجالسه للتحديث معروفة مشهورة، وكانوا يقصدونه من مختلف البقاع لأخذ حديثه ولا ينازع في هذا إلا مكابر. ولقد كان مع حديثه وإمامته في الحديث فقيهًا من أئمة الفقهاء، فلم يكن ممن يجلس للتحديث فقط دون أن يتكلم في فقه الحديث أو تكون له آراء في المسائل الاجتهادية»[١].

فهذه الطريقة على الأبواب الفقهية تعين طالب العلم على الوصول إلى الحديث بسهولة «وأصحاب هذه الطريقة منهم من اقتصر على تخريج الصحيح؛ كالشيخين: البخاري ومسلم، ومن سار على طريقتهما، ومنهم من لم يتقيد بالصحيح؛ كأصحاب

(١) د. مصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي/ دار الوراق/ القاهرة/ ط١ لسنة ١٤٢١هـ/ ص٤٧٤، ص٤٧٥.

السنن الأربعة: أبي داود، والنسائي، وابن ماجه»[١].

(٢) التصنيف على المسانيد:

والتصنيف على المسانيد: «هو أن يجمع في ترجمة كل صحابي ما روى عنه من حديثه، من غير تقيد بوحدة الموضوع، فحديث في الصلاة، بجانب حديث في النكاح، بجانب حديث في البيوع، وهكذا، ولم يلتزم مصنفوها فيها الصحة، بل يخرجون الصحيح والحسن والضعيف، وأهل هذه الطريقة اختلفوا في الترتيب:

(أ) فمنهم من رتب الصحابة على حسب السبق في الإسلام، فقدم العشرة المبشرين بالجنة، ثم أهل بدر، ثم أهل الحديبية، ثم من أسلم وهاجر بين الحديبية وبالفتح، ثم من أسلم يوم الفتح، ثم أصاغر الصحابة سنًّا؛ كما فعل الإمام أحمد رحمه الله تعالى في مسنده.

(ب) ومنهم من يرتبهم على القبائل، فيقدم بني هاشم، ثم الأقرب فالأقرب إلى رسول الله في النسب.

(ج) ومنهم من يرتبهم على نسق حروف المعجم أي حروف الهجاء؛ كالطبراني في المعجم الكبير، وهذا أسهل تناولًا»[٢].

(٣) وهناك طريقة سلكها ابن حبان في صحيحه، فقد رتبه على خمسة أقسام: الأوامر والنواهي، والأخبار، والإباحات وأفعال النبي ﷺ، ونوّع كل واحد من هذه الأقسام

(١) أحمد مختار رمزي: سير أعلام المحدثين/ دار البشائر الإسلامية/ ط١ لسنة ١٤٢٦هـ/ ص٢٢.

(٢) سير أعلام المحدثين ص٢٢، ص٢٣.

الخمسة إلى أنواع»[١]. قال السيوطي: «صحيح ابن حبان ترتيبه مخترع ليس على الأبواب ولا على المسانيد، ولهذا سماه: التقاسيم والأنواع، وسببه أنه كان عارفًا بالكلام والنحو، والفلسفة، ولهذا تُكُلم فيه ونُسب إلى الزندقة، وكادوا يحكمون بقتله، ثم نُفي من سجستان إلى سمرقند، والكشف من كتابه عسر جدًّا»[٢].

(٤) العلل:

قال ابن الصلاح: «اعلم أن معرفة علل الحديث من أجل علوم الحديث وأدقها وأشرفها، وإنما يضطلع بذلك أهل الحفظ والخبرة والفهم الثاقب»[٣].

تعريف العلة: يعرفها أهل الحديث بأنها: «عبارة عن أسباب خفية غامضة قادحة فيه. فالحديث المعلول: هو الحديث الذي اطّلع فيه على علة تقدح في صحته مع أن ظاهره السلامة منه»[٤].

ومن أعلى المراتب في تصنيف الحديث تصنيفه معللًا: «بأن يجمع في كل حديث طرقه، واختلاف الرواة فيه، فإن معرفة العلل أجل أنواع علم الحديث، وبها يظهر إرسال بعض ما عُدَّ متصلًا، أو وقف ما ظُنَّ مرفوعًا، وغير ذلك من الأمور المهمة.

---

(١) سير أعلام المحدثين ص٢٣.

(٢) السيوطي: تدريب الراوي ص٨١.

(٣) ابن الصلاح: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري ت٦٤٣هـ: علوم الحديث/ تحقيق نور الدين تعر/ دار الفكر المعاصر/ بيروت/ ط١٢/ ١٤٢٧هـ/ ص٩٠.

(٤) علوم الحديث/ تحقيق نور الدين تعر/ / دار الفكر المعاصر/ ص٩٠.

والذين صنفوا في العلل، منهم: من رتب كتابه على الأبواب؛ كابن أبي حاتم، وهو أحسن؛ لسهولة تناوله، ومنهم من رتب كتابه على المسانيد؛ كالحافظ الكبير يعقوب بن شيبة البصري (المتوفى سنة ٢٦٢هـ)؛ فإنه مسندًا معللًا، غير أنه لم يتم»[١].

وكتاب (العلل)[٢] للحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي المتوفى ٣٢٧هـ حققه فريق من الباحثين بإشراف دكتور سعد بن عبد الله الحميد ودكتور خالد بن عبد الرحمن الجريسي طبعة فهرسة الملك فهد الوطنية لعام ١٤٢٧هـ في سبعة أجزاء رتبه على الأبواب الفقهية. وقد طبع هذا الكتاب أول مرة في سنة ١٣٤٣هـ بتحقيق الأستاذ محب الدين الخطيب رحمه الله تعالى في المطبعة السلفية التي أنشأها.

وهناك شرح قديم للحافظ ابن عبد الهادي لكتاب العلل لابن أبي حاتم والكتاب مطبوع بعنوان (شرح علل ابن أبي حاتم) تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن عبد الهادي الدمشقي الصالحي المتوفى ٧٤٤هـ بتحقيق مصطفى أبي الغيط وإبراهيم فهمي من منشورات الفاروق الحديثة للطباعة والنشر بالقاهرة لسنة ١٤٢٢هـ.

أما الكتاب الثاني المصنف في علل الحديث (العلل الواردة في الأحاديث النبوية) للحافظ أبي الحسن علي بن عمر بن أبي أحمد بن مهدي الدارقطني المتوفى ٣٨٥هـ بتحقيق دكتور محفوظ الرحمن زين الله السلفي من منشورات دار طيبة بالرياض لسنة

---

(١) سير أعلام المحدثين ص٢٣.

(٢) لمعرفة المزيد عن الكتب التي ألفت في العلل راجع مقدمة كتاب: العلل الواردة في الأحاديث النبوية الدارقطني/ وكتاب العلل لابن أبي حاتم الرازي وهناك كتب كثيرة ألفت في العلل تراجع في الكتب التي تعنى بعلوم الحديث.

١٤٠٥هـ في أحد عشر مجلدًا.

«وأصل كتاب العلل للدار قطني مكون من أسئلة غير منتظمة وجهت إلى الدارقطني حول أحاديث فيها علة أو أكثر كان الدارقطني يجيب عنها بما يفتح الله به عليه، ويطيل النفس أحيانًا ويقصر أحيانًا، كل ذلك خاضع لما يقتضيه المقام من إيضاح. وقد صدرت هذه الأحاديث بـ (سُئل) ثم يسرد الحديث المتضمن للسؤال يتلوه الجواب مباشرة مصدرًا بـ (فقال)»[١]. قال عنه الحافظ ابن كثير: (هو أجل كتاب، بل أجل ما رأيناه وضع في هذا الفن لم يسبق إليه مثله، وقد أعجز من يريد أن يأتي بعده).

(٥) التصنيف على حروف المعجم:

وممن قام بذلك السيوطي في الجامع الصغير؛ فيبدأ على سبيل المثال بحرف الهمزة كحديث (**إنما الأعمال بالنيات**)، (**إذا صلى أحدكم للناس فليخفف**)، وحرف الباء مثل حديث: (**برئت الذمة ممن أقام مع المشركين في ديارهم**)، (**بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبدَ الله تعالى وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجُعل الذُلُّ والصغارُّ على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم**)[٢]، وهكذا.

(٦) التصنيف على الأطراف:

الأطراف جمع طرف، وطرف الحديث: الجزء الدال على الحديث، أو العبارة الدالة

---

(١) الدراقطني: العلل الواردة في الأحاديث النبوية/ ج١ من مقدمة المحقق ص٨٩.

(٢) الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته/ المكتب الإسلامي/ بيروت/ ط٣ لسنة ١٤٠٨ هـ/ ص٥٤٦، ص٥٤٧.

عليه، مثل حديث الأعمال بالنيات: «وذلك بأن يذكر طرفًا من الحديث يدل عليه، ثم يجمع أسانيده، إما مع عدم التقيد بكتب مخصوصة، أو مع التقيد بها.

وذلك مثلما فعل أبو العباس أحمد بن ثابت العراقي في (أطراف الكتب الخمسة)، والحافظ إبراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي في (أطراف الصحيحين)، والحافظ ابن حجر في كتابه (إتحاف المهرة بأطراف العشرة)»[١].

وكتب الأطراف: «كتب يقتصر مؤلفوها على ذكر طرف الحديث الدال عليه، ثم ذكر أسانيده في المراجع التي ترويه بإسنادها، وبعضهم يذكر الإسناد كاملًا، وبعضهم يقتصر على جزء من الإسناد. لكنها لا تذكر متن الحديث كاملًا، كما أنها لا تلتزم أن يكون الطرف المذكور من نص الحديث حرفيًا»[٢].

فوائد هذه الطريقة:

لخص هذه الفوائد الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة كما جاء في مقدمة (تحفة الأشراف):

«١- طرق الحديث عند أصحاب الكتب الستة، فتعرف إن كان غريبًا، أو عزيزًا، أو مشهورًا.

٢-رجال الإسناد لك حديث، ويُظهر مبهماته، كـ (سفيان)، هل هو (الثوري)، أو (ابن عُيينة)، و(حماد)، هل هو (ابن زيد)، أو (ابن سلمة) مثلًا.

٣- تصحيح ما يقع من الأخطاء المطبعية، أو القلمية، في أسانيد كتب السنة الستة، وما

---

(١) سير أعلام المحدثين ص٢٤.

(٢) دكتور نور الدين عتر: منهج النقد في علوم الحديث: دار الفكر بدمشق/ ١٤٢٨هـ/ ص٢٠١.

أكثرها! خصوصًا عندما قام بنشر كتب السنة من لا علم له بها من التجار، بدون عناية بالتصحيح.

٤- معرفة من أخرج الحديث من أصحاب الدواوين المشهورة، أو بعضهم، وموضع تخريجه عند من أخرجه منهم.

٥- فوائد سلبية: وهي معرفة أن الحديث ليس عند واحد من أهل الكتب المذكورة، فإذا رأيت حديثًا من مسند أحمد، أو غيره مثلًا، وأردت أن تعرف هل أخرجه (خ) أو (م) أو (د) مثلًا، مررت في كتاب الأطراف على ترجمة ذلك الصحابي، (أو الراوي عنه)؛ فإذا لم تجد فيها هذا الحديث عرفت أنه ليس في الكتب الستة، إلخ.

٦- اختلاف نسخ الكتب الستة، فكثيرًا ما تختلف نسخ البخاري، وأبي داود، بذكر بعض الأحاديث وحذفها، والتعليق عليها. فتستفيد من كتاب (الأطراف) للمزي أن هذا الحديث في نسخة فلان وفلان من أصحاب نسخ البخاري، أو أبي داود رحمهم الله تعالى. وامتازت أطراف المزي على أطراف ابن عساكر بذكر نسخ أبي داود، والنسائي، وما بين تلك النسخ من اختلاف، بخلاف ابن عساكر إذ اقتصر على نسخة اللؤلؤي لأبي داود»[١].

ومن أشهر كتب الأطراف:

الأول: كتاب تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف: وهو من تصنيف الحافظ أبي حجاج

---

(١) المزي: الحافظ أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن: تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف/ تحقيق عبد الصمد شرف الدين/ المكتب الإسلامي/ بيروت/ ط٢/ ١٤٠٣هـ/ ج١ ص٢١، ص٢٢.

يوسف بن عبد الرحمن المزي المتوفى سنة ٧٤٢هـ قال في خطبة كتابه: «أما بعد، فإني قد عزمت على أن أجمع في هذا الكتاب -إن شاء الله- أطراف الكتب الستة التي هي عمدة أهل الإسلام، وعليها مدار عامة الأحكام. وهي:

١- صحيح محمد بن إسماعيل البخاري.

٢- وصحيح مسلم بن الحجاج النيسابوري.

٣- وسنن أبي داود السجستاني.

٤- وجامع أبي عيسى الترمذي.

٥- وسنن أبي عبد الرحمن النسائي.

٦- وسنن أبي عبد الله بن ماجه القزويني.

وما يجري مجراها من:

٧- مقدمة كتاب مسلم.

٨- وكتاب المراسيل أبي داود.

٩- وكتاب العلل للترمذي، وهو الذي في آخر كتاب الجامع له.

١٠- وكتاب الشمائل له.

١١- وكتاب عمل اليوم والليلة للنسائي. معتمدًا في عامة ذلك على كتاب أبي مسعود الدمشقي، وكتاب خلف الواسطي، في أحاديث الصحيحين، وعلى كتاب أبي القاسم بن عساكر في كتب السنن وما تقدم ذكره معها»[١].

ورمز لكل من هذه الكتب في مقدمة الكتاب «(فصل في شرح الرقوم المذكورة في

---

(١) المزي: تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف/ ج١ ص٣، ص٤.

هذا الكتاب: علامة ما اتفق عليه الجماعة (ع)، وعلامة ما أخرجه البخاري (خ)، وعلامة ما استشهد به تعليقًا (خت)، وعلامة ما أخرجه مسلم (م)، وعلامة ما أخرجه أبو داود (د)، وعلامة ما أخرجه الترمذي في الجامع (ت)، وعلامة ما أخرجه في الشمائل (تم)، وعلامة ما أخرجه النسائي في السنن (س)، وعلامة ما أخرجه في كتاب عمل يوم وليلة (سي)، وعلامة ما أخرجه ابن ماجه القزويني (ق). وما في أوله (ز) من الكلام على الأحاديث فهو مما زدتُه أنا. وما قبالته (كـ) فهو مما استدركته على الحافظ أبي القاسم ابن عساكر رحمة الله عليهم أجمعين»[١].

الكتاب رتّبه المزي على تراجم الصحابة بحسب ترتيب الألف باء، فبدأ بمسند الصحابي: أبيض بن حَمّال الحميري المأربي. وكتاب تحفة الأشراف مطبوع في أربعة عشر جزءًا ومعه في نفس الطبعة كتاب النكت الظراف على الأطراف تعليقات الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢هـ بتحقيق عبد الصمد شرف الدين طبعة المكتب الإسلامي بيروت سنة ١٤٠٣هـ.

الثاني: كتاب (ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث): تصنيف الشيخ عبد الغني النابلسي المتوفى سنة ١١٤٣هـ. مواضع الأحاديث في الكتب الستة، صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود السجستاني، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه وموطأ مالك على طريقة الأطراف، ولكنه أوردها حسب مسانيد الرواة حيث يأتي بالصحابي الراوي ويذكر أوائل الأحاديث التي رواها، ورتب

(١) تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف/ ج١ ص٦.

الرواة ترتيبًا هجائيًّا. وقسم كتابه على سبعة أبواب، كل منها على حروف المعجم. والكتاب مطبوع في ثلاثة أجزاء بتحقيق عبد الله محمود محمد عمر، طبعة دار الكتب العلمية سنة ١٤١٧هـ.

وجاء في مقدمة إتحاف المهرة: «غير أن العلامة النابلسي (ت ١١٤٣هـ) في كتابه (ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث) لم يورد جميع رجال الإسناد، بل اكتفى بالراوي الأول من كل إسناد، ولم يلتزم بطريقة الأطراف من إيراد رجال الإسناد كاملة مرتبة، وجمع طرق الحديث كلها في موضع واحد مع التخريج - بذكر الكتاب فقط- وهذا مما يُقرِّبه للمستفيد، لكن لا يكتفي بهذا الكتاب، بل الرجوع إلى الأصول التي أحال عليها، ليرى الطالب رجال الأسانيد فيها كلها»[(١)].

(٧) التصنيف على باب معين في الفقه، أو شيوخ مخصوصين، أو التراجم أو جمع طرق بعض الحديث:

«أما الأبواب، فمثل باب (رفع اليدين في الصلاة)، أفرده البخاري بالتصنيف، وباب (القضاء بالشاهد واليمين) للدارقطني. وأما الشيوخ: فقد جمع بعض العلماء حديث شيوخ مخصوصين، كل واحد منهم على انفراد، مثل جمع الإسماعيلي حديث الأعمش، وجمع النسائي حديث الفضل بن عياض، بسند واحد، وأما التراجم: فقد جمعوا ما جاء (بترجمة واحد) من الحديث؛ كمالك عن نافع عن ابن عمر، وكسهيل بن

(١) ابن حجر: إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة/ تحقيق دكتور زهير بن ناصر الناصر/ طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف/ المدينة المنورة/ ١٤١٥هـ/ ج١ ص٢٧.

أبي صالح عن أبيه، عن أبي هريرة، وأما الطرق: فقد جمعوا طرق بعض الأحاديث؛ (من كذب عليَّ متعمدًا)، جمع طرقه الطبراني، وحديث: قبض العلم، جمع طرقه الطوسي، وغير ذلك»[١]

(٨) مصنفات الزوائد:

وهي مصنفات تجمع الأحاديث الزائدة في بعض كتب الحديث على أحاديث كتب أخرى، دون الأحاديث المشتركة بين المجموعتين.

وهناك أنموذجان على هذا النوع من التأليف:

الكتاب الأول: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: هذا الكتاب «للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧هـ) جمع فيه ما زاد على الكتب الستة من ستة مراجع مهمة، وهي: مسند أحمد، ومسند أبي يعلى الموصلي ومسند البزار، والمعاجم الثلاثي للطبراني.

---

(١) سير أعلام المحدثين ص٢٤. وللاستزادة ننصح بقراءة الكتب التالية: كتاب (أعلام المحدثين) للدكتور محمد بن أبي شهبة، وكتاب (مفتاح السنة) لمحمد عبد العزيز الخولي. وكتاب (الحديث والمحدثون)، للشيخ محمد أبي زهرة. كتاب (الصناعة الحديثية في السنن الكبرى) للبيهقي تأليف الدكتور نجم عبد الرحمن خلف. ومن الكتب القديمة كتاب (شروط الأئمة الخمسة) لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي المتوفى ٥٨٤هـ، وكتاب (شروط الأئمة السنة) لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي المتوفى ٥٠٧هـ، كتاب (شروط الأئمة) لابن منده المتوفى ٣٠٥هـ. مقدمات الشروح التي كتبت على كتب الحديث، مثل: (هدى الساري مقدمة فتح الباري) للحافظ ابن حجر العسقلاني، ومقدمة (فتح الملهم شرح صحيح مسلم) للشيخ شبير أحمد العثماني، ومقدمة (تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي) للمباركفوري، وهي مقدمات فياضة. الكتابة عن خصائص بعض الكتب وختمها، ككتاب(خصائص المسند) للحافظ أبي موسى المديني (٥٨١هـ) وكتاب (المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام أحمد) للإمام الجزري(٨٣٢ هـ) وكتاب (عمدة القارئ والسامع في ختم الصحيح الجامع) للسخاوي (٩٠٢هـ) وكتاب (بغية الراغب المتمنى في ختم النسائي رواية ابن السني) للسخاوي أيضا.وكتاب (الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة) للشيخ محمد بن جعفر الكتاني المتوفى ١٣٤٥هـ تحقيق محمد المنتصر الزمزمي، دار الفكر، دمشق ط٣/ ١٣٨٣هـ وكتب ودراسات أخرى كثيرة.

وعني ببيانات حال الأحاديث صحة وضعفًا، واتصالًا وانقطاعًا، وأفاد غاية الفائدة»[١].

الكتاب الثاني: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية: هذا الكتاب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢هـ: «جمع فيه الزائد على الكتب الستة من ثمانية مسانيد: وهي لأبي داود الطيالسي، والحميدي، وابن أبي عمر، ومسدد، وأحمد بن منيع، وأبي بكر بن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والحارث بن أبي أسامة. وأضاف زيادات من مسند أبي يعلى، ومسند إسحاق بن راهويه، ليست في مجمع الزوائد»[٢].

(٩) مختلف الحديث:

هذا التصنيف أحيانًا يطلق عليه المحدثون (مشكل الحديث) وهو ما يتعارض ظاهره مع نص قرآني أو حديث نبوي آخر فأوهم معنى باطلًا.

جاء في التدريب: «هذا فنٌّ من أهم الأنواع، ويُضطر إلى معرفته جميعُ العلماء من الطوائف، وهو أن يأتي حديثان متضادان في المعنى ظاهرًا، فيُوَفِّقُ بينهما أو يرجح أحدهما وإنما يكمل له الأئمةُ الجامعون بين الحديث والفقه والأصوليون الغواصون على المعاني»[٣].

«وهو من أهم ما يحتاج إليه العالم والفقيه، ليقف على حقيقة المراد من الأحاديث

(١) منهج النقد في علوم الحديث ص٢٠٦، ص٢٠٧.

(٢) منهج النقد في علوم الحديث ص٢٠٧.

(٣) السيوطي: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي/ دار الحديث/ القاهرة/ ١٤٢٣هـ/ ص٤٧٦.

النبوية، لا يمهر فيه إلا الإمام الثاقب النظر. وقد تهجم طائفة من أهل البدع على السنة وأهل الحديث بسبب زيغهم في فهم الأحاديث على وجهها حتى اتهموا المحدثين بحمل الكذب ورواية المتناقض ونسبته إلى رسول الله ﷺ، ثم تبعهم في عصرنا المستشرقون ومقلدوهم ممن اغتر بالمادة واحتجرها على عقله، وغلف بحواجزها مشاعره. وإن كان بعضهم يتذرع باسم التحرر في فهم الدين، أو فتح باب الاجتهاد!!. وهذا الصنف من الناس يوازي في ضرره أولئك الجهلة المتزهدين الذين سوغوا الوضع والكذب في الحديث للترغيب والترهيب، فإن كلًا من الفريقين استباح لنفسه التحكم في متن الحديث، فاختلق فيه أناس بجهلهم، وجحد الآخرون صحيحه بغرورهم»[١].

مثال ذلك: حديث لطم موسى ملك الموت: روى البخاري في صحيحه بسنده في كتاب الجنائز: «عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ «**أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى – عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ– فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِى إِلَى عَبْدٍ لاَ يُرِيدُ الْمَوْتَ. فَرَدَّ الله عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِكُلِّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ. قَالَ: أي رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ. قَالَ: فَالآنَ. فَسَأَلَ الله أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ**». قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ**»[٢].

---

(١) منهج النقد في علوم الحديث ص٣٣٧، ص٣٣٨.

(٢) البخاري: الحديث رقم ١٣٣٩. ورواه البخاري أيضاً في كتاب أحاديث الأنبياء برقم ٣٤٠٧، وفي صحيح مسلم برقم ٦٢٧٩ في كتاب الفضائل. والنسائي في كتاب الجنائز برقم ٢١٠١، وفي مسند أحمد ٧٨٦١.

علق بعض الملاحدة على هذا الحديث كما ذكر ابن قتيبة: فإن كان يجوز على ملك الموت العور، جاز عليه. ولعل عيسى ابن مريم عليه السلام قد لطم الأخرى فأعماه؛ لأن عيسى عليه السلام كان أشد للموت كراهية من موسى عليه السلام»[١].

فأجاب ابن قتيبة: «والذي نذهب إليه فيه أن ملائكة الله تعالى روحانيون، والروحاني منسوب إلى الروح، نسبة الخلقة؛ فكأنهم أرواح لا جثث لهم، فتلحقها الأبصار، ولا عيون لها كعيوننا، ولا أبشار كأبشارنا. وقد جعل الله سبحانه للملائكة من الاستطاعة، أن تتمثل في صور مختلفة. وأتى رسول الله ﷺ جبريلُ عليه السلام في صورة دحية الكلبي، وفي صورة أعرابي، ورآه مرة قد سد ما بين الأفقين. ولما تمثل ملك الموت لموسى عليه السلام، وهذا ملك الله، وهذا نبي الله، وجاذبه، ولطمه لطمةً أذهبت العين التي هي تخييل وتمثيل، وليست حقيقة، وعاد ملك الموت عليه السلام إلى حقيقة خلقته الروحانية كما كان، لم ينتقص منه شيء»[٢].

وفي الفتح ردًّا على رأي ابن قتيبة: «وقيل: على ظاهره، ورد الله إلى ملك الموت عينه البشرية ليرجع إلى موسى على كمال الصورة فيكون ذلك أقوى في اعتباره، وهذا هو المعتمد. وجوز ابن عقيل أن يكون موسى أذن له أن يفعل ذلك بملك الموت وأمر ملك الموت بالصبر على ذلك كما أمر موسى بالصبر على ما يصنع الخضر»[٣].

---

(١) ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم ت٢٧٦هـ: تأويل مختلف الحديث/ تحقيق محمد محيي الدين الأصفر/ المكتب الإسلامي/ بيروت/ ط٢/ ١٤١٩هـ ص٤٠٠.

(٢) تأويل مختلف الحديث/ ص٤٠٠، ص٤٠١، ص٤٠٢ بتصرف.

(٣) ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري/ دار الفكر بيروت/ ١٤١٤هـ/ ج٧ ص١٠٥.

ويفسر لنا ابن حجر الحديث قائلًا: «قال ابن خزيمة: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وقالوا: إن كان موسى عرفه فقد استخف به، وإن كان لم يعرفه فكيف لم يقتص له من فقوء عينه؟

والجواب أن الله لم يبعث ملك الموت لموسى وهو يريد قبض روحه حينئذ، وإنما بعثه إليه اختبارًا، وإنما لطم موسى ملك الموت لأنه رأى آدميًّا دخل داره بغير إذنه ولم يعلم أنه ملك الموت، وقد أباح الشارع فقوء عين الناظر في دار المسلم بغير إذن، وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط في صورة آدميين فلم يعرفاهم ابتداء، ولو عرفهم إبراهيم لما قدم لهم المأكول، ولو عرفهم لوط لما خاف عليهم من قومه. وعلى تقدير أن يكون عرفه فمن أين لهذا المبتدع مشروعية القصاص بين الملائكة والبشر؟ ثم من أين له أن ملك الموت طلب القصاص من موسى فلم يقتص له؟

ولخص الخطابي كلام ابن خزيمة وزاد فيه أن موسى دفعه عن نفسه لما ركب فيه من الحدة، وأن الله رد عين ملك الموت ليعلم موسى أنه جاءه من عند الله؛ فلهذا استسلم حينئذ. وقال النووي: لا يمتنع أن يأذن الله لموسى في هذه اللطمة امتحانًا للملطوم»[١].

وقد اعتنى العلماء بدراسة هذه الأحاديث التي ظاهرها التناقض وأفردوا هذا النوع العلمي بالدراسة في كتب خاصة منها:

(١) كتاب تأويل مختلف الحديث: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى ٣٧٦هـ.

(٢) كتاب مشكل الآثار: لأبي جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي المتوفى ٣٢١هـ وهو من

---

(١) ابن حجر: فتح الباري ج٧ ص١٠٤.

أفضل وأوسع وأحفل كتب هذا التصنيف إفادة لابن قتيبة، كان يرد على المعتزلة وبعض أهل البدع في مسائل العقائد بصفة خاصة، أما الطحاوي فإنه جامع وشامل.

(٣) مشكل الحديث: لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك المتوفى ٤٠٦هـ.

(١٠) ناسخ الحديث ومنسوخه:

وناسخ الحديث ومنسوخه فنٌّ مهم وصعب: «فقد مر على عليٍّ رضي الله عنه قاصٌّ، فقال: تعرف الناسخ من المنسوخ؟ فقال: لا، فقال: هلكت وأهلكت. أسنده الحازمي في كتابه، وأسند نحوه عن ابن عباس. وأسند عن حذيفة أنه سئل عن شيء، فقال: إنما يفتي من عرف الناسخ والمنسوخ، قالوا: ومن يعرف ذلك؟ قال: عمر رضي الله عنه »[(١)].

تعريف النسخ: يعرف النسخ بأنه: «رفعُ الشارعِ حكمًا منه متقدِّمًا بحكم منه متأخرٍ»[(٢)]. شرح السيوطي التعريف السابق قائلًا: «فالمراد برفع الحكم: قطع تعلقه عن المكلفين، واحترز به عن بيان المجمل، وبإضافته للشارع عن إخبار بعض من شاهد النسخ من الصحابة، فإنه لا يكون نسخًا، وإن لم يحصل التكليف به لمن لم يبلغه قبل ذلك إلا بإخباره. وبالحكم عن رفع الإباحة الأصلية، فإنه لا يسمى نسخًا. وبالتقدم عن التخصيص المتصل بالتكليف، كالاستثناء ونحوه. وبقولنا بحكم منه متأخر عن رفع الحكم بموت المكلف، أو زوال تكليفه بجنون ونحوه، وعن انتهائه بانتهاء الوقت،

(١) تدريب الراوي ص٤٦١.

(٢) تدريب الراوي ص٤٦١.

كقوله ﷺ: **(إنكم ملاقو العدو غدًا، والفطر أقوى لكم فأفطروا)** فالصوم بعد ذلك ليس نسخًا»[١]. وذكر الحافظ الحاكم في كتابه أمثلة على بعض الأحاديث الناسخة والمنسوخة[٢].

أهم كتب ناسخ الحديث ومنسوخه:

(أ) كتاب ناسخ الحديث ومنسوخه: للحافظ أبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان المعروف بابن شاهين المتوفى ٣٨٥هـ تحقيق الدكتورة كريمة بنت علي، من منشورات درا الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى صدرت ١٤٢٠هـ ويعتبر من أفضل الكتب التي تكلمت عن ناسخ الحديث ومنسوخه. والكتاب صنفه ابن شاهين على الأبواب الفقهية بدأ بكتاب الطهارة وانتهى بكتاب جامع قسمه إلى أبواب بدأ بباب في نكاح المتعة وانتهى بباب في الشرب قائمًا.

(ب) كتاب الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار: للحافظ أبي بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الحازمي الهمداني المتوفى ٥٨٤هـ وهو من أجل ما صنف في هذا الفن وقد صنفه على الأبواب الفقهية وقدم له بتقدمة عن علم الناسخ والمنسوخ وشرائطه وأماراته، وساق الأحاديث المنسوخة بأسانيدها أولًا ثم أعقبها بالأحاديث الناسخة، وضمنه أقوال الفقهاء وأصحاب المذاهب الفقهية.

(١) تدريب الراوي ص٤٦١.

(٢) الحاكم: معرفة علوم الحديث تحقيق أحمد فارس السلوم (النوع الحادي والعشرين) من ص ٢٨٨ إلى ص٢٩٤.

(ج) ناسخ الحديث ومنسوخه: للحافظ أبي بكر أحمد بن محمد بن هانئ الأثرم المتوفى ٢٦٠هـ تقريبًا. وهو من أجل تلاميذ الإمام أحمد بن حنبل. الكتاب مطبوع قام بتحقيقه الأستاذ عبد الله بن حمد المنصور طبعة أولى ١٤٢٠هـ بالرياض. صنفه الأثرم على أبواب فقهية بدأ بباب (فيمن نسي صلاة أو نام عنها فاستيقظ في وقت لا يصلى فيه) وختمه بباب (الكفارة قبل الحنث).

ثالثًا: ما المقصود بعلم الرجال؟

إنه العلم الذي صان الحديث النبوي من عبث الوضاعين، وحفظه من أقلام الأفاكين؛ علم جليل شريف حفظ لنا سيرة الرسول ﷺ من خيالات الوضاعين وصناع الأساطير؛ إنه ميزان الرجال والرواة والمتون؛ بموجبه يميز العالم بين الصحيح والسقيم.

ساق الإمام مسلم بسنده في مقدمة صحيحه: «قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَانَ بْنَ عُثْمَانَ يَقُولُ: سَمِعْتُ عَبْدَ الله بْنَ الْمُبَارَكِ يَقُولُ: الإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ، وَلَوْلاَ الإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ»[(١)].

ولقد: «اقتضت ضرورة العلم بأسانيد الأحاديث والعلم بعدالة الرواة وضبطهم البحث في تواريخ الرواة والتنقيب عن أحوالهم لإثبات عدالتهم وضبطهم من عدمه، وأصبح علم الرجال بذلك مكونًا من شقين:

(١) علم تاريخ الرواة: وهو العلم الذي يبحث في مواليد الرواة، ووفياتهم، ومواطنهم، وبدء طلبهم للعلم، ورحلتهم في طلبه، وشيوخهم وتلاميذهم وغير ذلك. ويستفاد من هذا العلم: معرفة اتصال السند وإمكان اللقاء بين الرواة من عدمه، وهذا أحد شروط صحة الحديث، كما يستفاد منه التمييز بين المتفق والمفترق من أسماء الرواة، وبهذا العلم يكتشف الكذب والتدليس والانقطاع في الأحاديث. كما يكتشف المزيد في متصل الأسانيد وغير ذلك من الفوائد.

---

(١) النووي: صحيح مسلم طبعة دار المعارف بيروت ج١ ص ٤٦، ص٤٧.

(٢) علم الجرح والتعديل: وهو العلم الذي يبحث في أحوال الرواة من حيث القبول والرد، وذلك بالبحث في عدالتهم وضبطهم، وهما شروط صحة الحديث»[١].

نحاول أن نلقي الضوء في عجالة حول عدالة الرواة وجرحهم:

أولًا: بالنسبة لعدالة الرواة:

قال الخطيب في الكفاية: «كل حديث اتصل إسناده بين من رواه وبين النبي ﷺ لم يلزم العمل به إلا بعد ثبوت عدالة رجاله، ويجب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى رسول الله ﷺ، لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن»[٢].

تعريف العدالة[٣]:

قال الجرجاني: «العدالة في اللغة: الاستقامة، وفي الشريعة: عبارة عن الاستقامة على

(١) عبد القادر بن عبد العزيز: الجامع في طلب العلم الشريف/ ط٢/ ١٤١٥هـ/ ج٢ ص٧٠٠. وللمزيد راجع (المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل) للدكتور فاروق حمادة. ومن القدماء (كتاب الجرح والتعديل) لابن أبي حاتم الرازي المتوفى ٣٢٧هـ وكذلك كتابه علل الحديث. كتاب (فتح المغيث شرح ألفية الحديث) للسخاوي المتوفى ٩٠٢هـ.

(٢) الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي: الكفاية في معرفة أصول علم الرواية/ تحقيق أبي إسحاق إبراهيم آل بحبح الدمياطي/ مكتبة ابن عباس/ سمنود/ مصر/ ج١ ص١٨٠.

(٣) راجع تعريف العدالة والمروءة بالتفصيل في كتابنا (إثبات جريمة القتل العمد دراسة في الفقه الجنائي المقارن) مركز المقريزي للدراسات ط١/ ١٤٢٧هـ من ص١٦٧ إلى ص١٨٤.

طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور دينًا»[١].

والعدل في الشرع: «المرضي في أحكامه ودينه ومروءته، فالعدل في الأحكام: أن يكون بالغًا عاقلًا حرًّا، والعدل في الدين: أن يكون مسلمًا مجتنبًا للكبائر غير مصرٍّ على الصغائر، والعدل في المروءة: أن يجتنب الأمور الدنية التي تسقط مروءته»[٢].

وقال أصحاب الحديث في تعريف العدل: «أن يكون مسلمًا بالغًا عاقلًا سليمًا من أسباب الفسق وخوارم المروءة». لكنه ليس معنى العدالة خلو الرجل من الذنوب كافة ظاهرًا وباطنًا، لأن هذا أمر لا يمكن تحقيقه لغير المعصوم ولا يمكن التحقيق منه، «بل معنى العدالة: أن تكون الطاعة غالبة ولا يكون مطعونًا في ظاهره؛ لأن الإنسان لا يملك الحكم على الباطن بل يبنى الحكم في الدنيا على الظاهر»[٣].

ملخص القول: «العدل هو الرجل المرضي في دينه وسلوكه في المجتمع الإسلامي السوي، وقد فسره المحدثون والأصوليون وعرفوه بتعريفات شتى لكنها في جوهرها لا تخرج عن هذا»[٤]. وقد لخص لنا السيوطي في ألفيته من تُقبل روايته ومن تُرد:

لِنَاقِلِ الأَخْبَارِ شَرْطَانِ هُمَا * عَدْلٌ وَضَبْطٌ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمَا

---

(١) الجرجاني: علي بن محمد: التعريفات/ تحقيق إبراهيم الإبياري/ دار الكتاب العربي/ بيروت/ ط١.

راجع أيضا: كتاب ظفر الأماني بشرح مختصر السيد الشريف الجرجاني في مصطلح الحديث/ للشيخ أبي الحسنات اللكنوي الهندي المتوفى ١٣٠٤هـ/ تحقيق عبد الفتاح أبي غدة/ مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب.

(٢) المطيعي: محمد نجيب: المجموع شرح المهذب/ مكتبة الإرشاد/ جدة/ ج٢٣/ ص١٩.

(٣) د. محمد مصطفى الأعظمي: منهج النقد عن المحدثين/ مكتبة الكوثر / الرياض / ط٣/ ١٤١٠هـ ص٢٥.

(٤) الأعظمي: منهج النقد عن المحدثين/ ص٢٩.

مُكَلَّفًا لَمْ يَرْتَكِبْ فِسْقًا ولا * خَرْمَ مُرُوءَةٍ وَلا مُغَفَّلا
يَحْفَظُ إِنْ يُمْلِ كِتَابًا يَضْبُطُ * إِنْ يَرْوِ مِنْهُ عَالِمًا مَا يُسْقِطُ

أما الجرح: قال يحيى بن معين: «آلة الحديث الصدق، والشهرة بطلبه، وترك البدع واجتناب الكبائر»[١].

الجرح والتعديل إذا اجتمعا:

قال في الكفاية: «اتفق أهل العلم: أن من جرحه الواحد والاثنان وعدله مثل عدد من جرحه فإن الجرح به أولى، والعلة في ذلك: أن الجارح يخبر عن أمر باطن قد علمه، ويصدق المعدل، ويقول له: قد علمت من حاله الظاهرة ما علمتها، وتفردتُ بعلم لم تعلمه من اختبار أمره، وإخبار المعدل عن العدالة الظاهرة لا ينفي صدق قول الجارح فيما أخبر به؛ فوجب لذلك أن يكون الجرح أولى من التعديل»[٢].

قال أبو الحسنات اللكنوي الهندي: «إذا تعارض الجرح والتعديل في راوٍ، فجرحه بعضهم، وعدّله بعضهم، ففيه ثلاثة أقوال:

أحدهما: أن الجرح مقدم مطلقًا، ولو كان المعدّلون أكثر. نقله الخطيب عن جمهور العلماء، وصححه ابن الصلاح والإمام فخر الدين الرازي والآمدي، وغيرهما من الأصوليين، لأن مع الجارح زيادة علم لم يطلع عليها المعدِّل، ولأن الجارح مصدِّقٌ للمعدِّل فيما أخبر به عن ظاهر حاله، إلا أنه يخبر عن أمر باطني خفي عن المعدل.

(١) الخطيب البغدادي:: الكفاية في معرفة أصول علم الروايةج١ ص٣١٧.

(٢) الخطيب البغدادي:: الكفاية في معرفة أصول علم الروايةج١ ص٣٣٣.

وثانيها: إن كان عدد المعدلين أكثر قدم التعديل. حكاه الخطيب في الكفاية وصاحب المحصول. فإن كثرة المعدلين تقوّي حالهم، وقلة الجارحين تُضعف خبرهم. قال الخطيب: وهذا خطأ ممن توهمه، لأن المعدلين وإن كثروا ليسوا يخبرون عن عدم ما أخبر به الخارحون، ولو أخبروا بذلك لكانت شهادة باطلةً على نفي.

وثالثها: أنه يتعارض الجرح والتعديل، فلا يترجح أحدهما إلا بمرجح. كذا حكاه ابن الحاجب. كذا فصله العراقي في شرح ألفيته، والسيوطي في التدريب»[١].

أقول: إن قاعدة الجرح مقدم على التعديل مطلقًا قاعدة غير دقيقة ولا بد أن تقيد بجرح مفسر، وفي هذه الحالة يقدم الجرح على التعديل إما إذا كان الجرح مبهمًا فلا يقدح فيمن ثبتت عدالته، يقبل ويقدم العدل على الجرح في هذه الحالة.

هناك مسألة: ذكرها الخطيب في الكفاية حول المحدث المشهور بالعدالة فهل يحتاج إلى تزكية معدل؟ أجاب الخطيب: «مثال ذلك: أن مالك بن أنس وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وشعبة بن الحجاج وأبا عمرو الأوزاعي والليث بن سعد وحماد بن زيد وعبد الله بن المبارك ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي ووكيع بن الجراح ويزيد بن هارون وعفان بن مسلم وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني ويحيى بن معين ومن جرى مجراهم في نباهة الذكر، واستقامة الأمر، والاشتهار بالصدق والبصيرة والفهم لا يُسأل عن عدالة من كان في عداد المجهولين، أو أشكل أمره على

---

(١) اللكنوي: أبو الحسنات محمد عبد الحي ت١٣٠٤هـ: الرفع والتكميل في الجرح والتعديل/ تحقيق عبد الفتاح أبي غدة/ مكتبة دار البشائر الإسلامية/ بيروت/ ط٨/ ١٤٢٥هـ/ ص١١٥: ص١١٧.

الطالبين»[١].

مسألة: مراتب الجرح والتعديل:

قال في لسان الميزان: «فأعلى العبارات في الرواة المقبولين:

(١) ثبتٌ حجةٌ، وثبتٌ حافظٌ، وثقةٌ متقنٌ، وثقةٌ ثقة.

(٢) ثم ثقة.

(٣) ثم صدوق، ولا بأس به، وليس عليه بأس.

(٤) ثم محلُّه الصدق، وجيّد الحديث، وصالحُ الحديث، وشيخٌ وسَطٌ، وشيخٌ، وحسنُ الحديث، وصدوقٌ إن شاء الله، وصُويلح، ونحو ذلك»[٢].

وقد جمعها السيوطي في ألفيته:

وَأَرْفَعُ الأَلْفَاظِ فِي التَّعْدِيلِ * مَا جَاءَ فِيهِ أَفْعَلُ التَّفْضِيلِ

كَـ«أَوْثَقِ النَّاسِ» وَمَا أَشْبَهَهَا * أَوْ نَحْوُهُ نَحْوُ «إِلَيْهِ المُنْتَهَى»

ثُمَّ الَّذِي كُرِّرَ مِمَّا يُفْرَدُ * بَعْدُ بِلَفْظٍ أَوْ بِمَعْنًى يُورَدُ

يَلِيهِ«ثَبْتٌ» «مُتْقِنٌ» أو «ثِقَةٌ» * أَوْ«حَافِظٌ»«أَوْ» ضَابِطٌ»أَوْ«حُجَّةٌ»

ثُمَّ«صَدُوقٌ»أَوْفَـ«مَأْمُونٌ» وَ«لا * بَأْسَ بِهِ» كَذَا «خِيَارٌ» وَتَلا

«مَحَلُّهُ الصِّدْقَ»«رَوَوْا عَنْهُ»«وَسَطْ» * «شَيْخٌ» مُكَرَّرَيْنِ أَوْ فَرْدًا فَقَطْ

وَ«جَيِّدُ الحَدِيثِ» أَوْ «يُقَارِبُهْ» * «حَسَنُهُ» «صَالِحُهُ» «مُقَارِبُهْ»

---

(١) الخطيب البغدادي:: الكفاية في معرفة أصول علم الروايةج١ ص٢٨٦.

(٢) ابن حجر العسقلاني ت٨٥٢ هـ: لسان الميزان/تحقيق عبد الفتاح أبي غدة/دار البشائر الإسلامية/ بيروت/ ط١/ ١٤٢٣هـ/ ج١ص١٩٩.

أما أردأ درجات الجرح: قال ابن حجر: «وأردى عبارات الجرح:

(١) دجّال، كذاب، أو وضّاع، يضعُ الحديث.

(٢) ثم متهم بالكذب، ومتَّفَقٌ على تركه.

(٣) ثم متروك، وليس بثقة، وسكتوا عنه، وذاهب الحديث، وفيه نظر، هالك وساقط.

(٤) ثم واهٍ بمَرَة، وليس بشيء، وضعيف جدًّا، وضعفوه، ضعيف، واهٍ، منكر الحديث، ونحو ذلك.

(٥) ثم يُضعَّفُ، وفيه ضعف، قد ضُعِّف، ليس بالقوي، غير حجة، ليس بحجة، ليس بذاك، تعرف وتُنكر، فيه مقال، تُكلم فيه، لينٌ، سيئ الحفظ، لا يُحتج به، اختُلف فيه، صدوق لكنه مبتدع. ونحو ذلك من العبارات التي تدل بوضعها على اطّراح الراوي بالأصالة، أو على ضعفه، أو على التوقف فيه، أو على جواز أن يُحتج به مع لين فيه»[١].

وقد ذكرها السيوطي شعرًا:

وَأَسْوَأُ التَّجْرِيحِ مَا قَدْ وُصِفَا * «بِكَذِبٍ» وَ«الْوَضْعِ» كَيْفَ صُرِّفَا

ثُمَّ بِذَيْنِ «اتَّهَمُوا» «فِيهِ نَظَرْ» * وَ«سَاقِطٌ» وَ«هَالِكٌ» «لا يُعْتَبَرْ»

وَ«ذَاهِبٌ» وَ«سَكَتُوا عَنْهُ» تُرِكْ * وَ«لَيْسَ بِالثِّقَةِ» بَعْدَهُ سُلِكْ

«أَلْقَوْا حَدِيثَهُ» «ضَعِيفٌ جِدًّا» * «إِرْمِ بِهِ» «وَاهٍ بِمَرَّهْ» «رُدَّا»

«لَيْسَ بِشَيءٍ» ثَمَّ «لا يُحْتَجَّ بِهْ» * كَـ«مُنْكِرِ الحَدِيثِ»أَوْ«مُضْطَرِ بِهْ»

«وَاهٍ» «ضَعِيفٌ» «ضَعَّفُوا» يَلِيهِ * «ضُعِّفَ» أَوْ «ضُعفٌ»«مَقَالٌ فِيهِ»

---

(١) ابن حجر العسقلاني ت٨٥٢ هـ: لسان الميزان/ ج١ص٢٠٠.

«يُنْكِر وَيُعْرِفْ»«فِيهِ * «تَكَلَّمُوا» «سَيئُ حِفْظٍ» «لَيِّنُ»
«لَيْسَ بِحُجَّةٍ» أَوْ «الْقَوِيِّ» * «بِعُمْدَةٍ» «بِذَاكَ» «بِالْمَرْضِيِّ»

هكذا نستطيع أن نقول: «إن أهمية الإسناد في نقل الرواية التاريخية مهما كان شأنها، عظيمة لا ينكرها إلا غرٌّ جاهل، فلولاه لما تميز قول الأفاك الأثيم من قول الصادق المستقيم، وإذا كان الإسناد عبارة عن مجموعة من الرجال، والرجال يعتريهم الوهم والنسيان والغلط، وأحيانًا تعمد الكذب والاختلاق والزور، فإن علم الجرح والتعديل قد عرض لك ما يخطر بالبال من هذه الأمور التي يمكن أن تؤثر أو تقدح في نصاعة الحقيقة التاريخية المنقولة، فكما اشترطوا شروطًا في الرجال لقبول أخبارهم ومروياتهم، وضعوا شروطًا في النصوص ومتون هذه الروايات يجب أن تتوفر فيها وإلا سقطت من الاعتبار ولو كان الإسناد صحيحًا، وهذا الذي يسمونه في ذلك المنهج بنقد المتن ساحة واسعة جدًّا ومن يتشدق بأن الإسناد لا قيمة له وقد تكون المتون غير صحيحة لم يدرك معنى ما يقول ويغالط نفسه، ويضلل آخرين. إن الإسناد الصحيح وموازينه الدقيقة أهم مرتكز لتصحيح التاريخ والخبر وليس هناك خبر جاء بإسناد صحيح غير معلول، لا يقبله العقل أو يرفضه الواقع، اللهم إلا عقول أولئك الذين أقفلوها ووضعوا مفاتحها في صناديق آخرين»[١].

(١) دكتور فاروق حمادة: مصادر السيرة النبوية/ ص٣٦، ص٣٧.

أنموذج عملي لبيان قيمة علم الرجال:

ولكي تكتمل الصورة لدينا نعرض أنموذجًا على سبيل المثال لا الحصر يبين لنا قيمة علم الرجال بشقيه في كشف الزور وصيانة الحقوق والمواريث التاريخية كما وضحها الحافظ شمس الدين السخاوي في قصة تزوير اليهود بزعم أن الرسول ﷺ أسقط عنهم الجرية: «وطالما - أي علم الرجال - كان طريقًا للاطلاع على التزوير في المكاتيب ونحوها بأن يعلم أن الحاكم الذي نسب إليه الثبوت أو الشاهد أو غيرهما من أسبابه أو نحو ذلك مات قبل تاريخ المكتوب ومن ثم لما أظهر بعض اليهود كتابًا وادّعى أنه كتاب رسول الله ﷺ بإسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه شهادة الصحابة ڤ وذكروا خط علي رضي الله عنه فيه، وحمل الكتاب في سبع وأربعين وأربعمائة إلى رئيس الرؤساء أبي القاسم علي وزير القائم، عرضه على الحافظ الحجة أبي بكر الخطيب، فتأمله ثم قال: هذا مزور. فقيل له: من أين لك هذا؟ قال: فيه شهادة معاوية رضي الله عنه ، وهو إنما أسلم عام الفتح، وفتح خيبر كان في سنة سبع، وفيه شهادة سعد بن معاذ وهو قد مات يوم بني قريظة قبل فتح خيبر بسنتين، فاستحسن ذلك منه واعتمده وأمضاه، ولم يجر اليهود على ما في الكتاب لظهور تزويره»[١].

لذلك ساوى السخاوي بين علم التاريخ وتدوين الحديث في معرض ثنائه على الإمام البخاري: «ولو لم يكن من شرف هذا الفن (أي علم تاريخ الرجال) إلا أن البخاري -رحمه الله- صنف تاريخه في المدينة المنورة عند قبر النبي ﷺ وكان يكتبه في الليالي المقمرة وسوى بينه وبين صحيحه حيث حول تراجمه بين القبر النبوي والمنبر

(١) السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ/ دار الكتاب العربي/ بيروت/ ١٤٠٣هـ/ ص١٠.

الشريف وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين. قلت (أي السخاوي): واستواؤهما ظاهر فإنه لا يتوصل للحكم على الحديث إلا به»[١].

هكذا كان الإمام البخاري مهتمًّا بتاريخ الرجال وتراجمهم، رحم الله هذا العالم الجليل الذي ألف كتابه (التاريخ الكبير) الذي جمع فيه أربعين ألفًا بين رجل وامرأة، وشرع في تأليفه وهو ابن ثمان عشرة سنة. ولقد صدق من قال فيه: «لو أن رجلًا كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن كتاب التاريخ تصنيف محمد بن إسماعيل البخاري، فقد ألفه في جو من الصفاء التام والعبادة المعطاءة، والقرب من الرسول الكريم ﷺ الذي يمنح الذهن ما لا يمنحه مكان آخر في هذا الجو الغامر، كل ذلك إضافة إلى ما أُعطي الإمام البخاري رضي الله عنه من علم وحفظ ومزايا»[٢].

ويحدثنا البخاري عن نفسه: «ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججت رجع أخي بها، وتخلّفت في طلب الحديث، فلما طعنت في ثمان عشرة جعلت أصنّف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم وذلك أيام عبيد الله بن موسى. وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر الرسول ﷺ في الليالي المقمرة»[٣].

هكذا استبانت لنا قيمة علم الرجال ومدى أهميته في تقويم وتمحيص الروايات التاريخية، ورغم دقة هذا المنهج العلمي ووضوحه؛ إلا أنه ضاق به فريق من المتأسلمين

---

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص٤٥.

(٢) البخاري: التاريخ الكبير/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ من المقدمة ص٧.

(٣) البخاري: التاريخ الكبير من المقدمة

المتأثرين بالعقلانية الاعتزالية فضرب بهذا المنهج عرض الحائط واتخذه زنادقة الإسلام وأهل الردة غرضًا! وطفقوا يعربدون بسيرة الرسول ﷺ وتاريخ الإسلام، فباسم الإسلام رجموا الإسلام، فهذا نصر حامد أبو زيد يكتب مقالة في مجلة يابانية ذكرها في كتابه (مفهوم النص دراسة في علم القرآن) الذي يعتبر السنة النبوية نتاجًا شعبيًّا حيث وسم مقالته بعنوان (السيرة النبوية سيرة شعبية) مجلة جامعة أوساكا للدراسات الأجنبية، اليابان، العدد رقم ٨٧١/ ١٩٨٦م.

معنى ذلك: أن السيرة النبوية حسب رأي حامد أبي زيد من صنع الرواة، أي أقرب إلى قصص الأساطير وحكاية (سيرة الزير سالم) و(عنترة)، و(سيرة بني هلال والزناتي خليفة). ولما كانت السيرة نتاجًا شعبيًّا أي بطولة من صنع التاريخ فما الرسول ﷺ وسيرته إلا ضرب من الخيال الشعبي - حاشا رسول الله ﷺ ذلك.

إذن، لماذا تتعبونا بعلم الرجال وهذه الاصطلاحات؟ فليس المهم اسم الراوي وتاريخه وجرحه وتعديله، المهم أن الرواية مذكورة في الكتب القديمة!! وما دام عقلي وهواي يقبلها أو يرفضها فلا أهمية لما رواه البخاري أو غيره!!

هذا باختصار حقيقة دعواهم وتميزهم غيظًا من علم الرجال، فمقولتهم باختصار (دين بالهوى والمزاج)!!

لذلك لا عجب أن يتعمد هؤلاء الكتاب ذكر روايات بعينها في السيرة النبوية رغم تكذيب أئمة الحديث لها؛ بغية تهوين الدين في نفوس الأمة، وتحطيم العقيدة في صدور الشباب، إذ لن يجد المسلم إلا روايات مكذوبة وأقاويل شاذة سواء في السيرة النبوية أو

التاريخ الإسلامي! فماذا بقي من الدين كي يحافظ المسلم عليه؟! ولماذا يستمسك بدينه والرواية تقول: إن الصحابة فعلوا كذا في حياة الرسول ﷺ؟! ولماذا يعتصم بدينه، ودينه بهذه الصورة المشينة والعياذ بالله؟!

ولقد كان أئمة الحديث وعلماء الإسلام يشددون على من يروون بعض الروايات بغية التزلف للسلطان على طريقة إذا كان بعض السلف قد استخف ببعض الأحكام الشرعية، فلمَ لا يستخف الخلف مثلهم!

وذكر السخاوي تعليقًا على هذا الموضوع: «مما وقع لكثير من جهال المؤرخين الذين معواهم غالبًا على الناقلين عن كتب الأولين كمبتدأ وهب بن منبه القائل في مصنفه: قرأت ثلاثين كتابًا نزلت على ثلاثين نبيًّا! وإن كلًّا من عبد الله بن سلام ثم كعب الأحبار أعلم أهل زمانه وأنه جمع علمهما! وكذا غيره من الأخبار التي تجري مجرى الخرافات حيث أورده بالجزم من غير بيان لبطلانه ولا أنه مما نقل عن كتب الأوائل سيما المضاف لسير الأنبياء والمحكي عما شجر بين الصحابة من الإخباريين إذ الغالب عليهم الإكثار والتخليط وكذا ما يستهجن ذكره عند أرباب العقول من حوادث لا معنى لها ولا فائدة، وذكر أناس من الملوك والأكابر يضاف إليهم شرب الخمر وفعل الفواحش مما تصحيحيه عنهم عزيز؛ هو متردد بين إشاعة الفاحشة إن صح أو القذف إن لم يصح سيما ويتضمن التهوين على أبناء جنسهم فيما هم فيه من الزلل، على أن الأخبار لا تسلم من بعض هذا ومن أعظم خطأ السلاطين والأمراء نظرهم في سياسات متقدميهم وعملهم بمقتضاها من غير نظر فيما ورد به الشرع سياسة؛ فإن الشرع هو السياسة لا عمل السلطان بهواه ورأيه، ووجه خطتهم في هذا أن مضمون

قولهم يقتضي أن الشرع لم يرد بما يكفي في السياسة، فاحتجنا إلى تتمة فيما رأيناه، فهم يقتلون من لا يجوز قتله ويفعلون ما لا يحل فعله، ويسمون ذلك سياسة، وهذا تعاطٍ على الشريعة يشبه المراغمة وهو قريب من ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣]»[١] وتصداقًا لما ذكره الحافظ السخاوي ما نراه من كتب محشوة أكاذيب وسموم بغية الجرأة على عقيدة الإسلام والحض على اقتراف الكبائر والمحرمات. وأفضل مثال لهذه الكتب التي أغفلت منهج الجرح والتعديل (كتاب الأغاني) لأبي فرج الأصفهاني المتوفى ٣٥٦هـ.

وقفة مع كتاب الأغاني:

قبل الشروع في التعليق على كتاب الأغاني وصاحبه الأصفهاني سنتكلم بإيجاز عن البيئة السياسية التي ظهر فيها هذا الكتاب على النحو التالي:

البيئة السياسية التي ظهر فيها كتاب الأغاني[٢]:

لقد ظهر كتاب الأغاني في عهد دولة بني بويه (320هـ إلى 477هـ)؛ هذه الدّولة الخبيثة تحتاج إلى إعادة تقويم لما جرّته من ويلات على تاريخ المسلمين، وقد تولّت هذه الدّولة كبر حملة تشويه الصّدر الأوّل من الإسلام.. فلأول مرّة تظهر الكتابات الشُّعوبيّة التّي تطعن على جنس العرب بل وتُشكّك في الإسلام، وتُعظّم الفرس.. أمّا عن نشأة هذه الدّولة المنحرفة: «وظهر بنو بُويه في عالم التّاريخ الإسلاميّ في أوائل

(١) السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ/ ص٤٨.

(٢) مقال لنا بعنوان إعادة النظر في كتابة التاريخ الإسلامي/ مجلة المنهاج/ صفر ١٤١٧هـ/ من ص٦٨ إلى ص٧٤.

القرن الرّابع الهجريّ من خلال ذلك الغموض الذي اكتنف تاريخهم قبل ذلك (..) وإن نسب هذه الأسرة مسألة يحوطها الشكّ، الملوك والأمراء الذّين تظهر عظمتهم مرة واحدة»[١] لذلك لا غرو أن نجد تاريخ الإسلام مشوّهًا إلى بداية عهد بني بُوية 320هـ.. وسبب ذلك أنّ هذه الدّولة البُويهيّة كانت مكروهة لدى عامة المسلمين وخاصّتهم.. وكان النّاس يحتجّون عليهم بسيرة السّلف الصالح، وضاق بنو بُوية ذرعًا من هذا الاحتجاج.. فظهر شعراء وكتّاب شعوبيّون حاقدون على جنس العرب، بل وعلى أهل الإسلام، وذلك بإيعاز من السلّطة الحاكمة لأنّ الخليفة العبّاسيّ لم يكن له إلا الاسم فقط؛ فقد ذكر ابن خلدون في تاريخه حالة الضّنك والخراب الذي عمّ المسلمين في عهد بني بُويه.. فليراجع (تاريخ بن خلدون الجزء الرّابع).. «إنّ آل بُويه قد اشتروا ضمائر أهل الطّمع، والانتفاع الشّخصيّ، من ضعفاء النّفوس، فراحوا يكيلون لهم المديح جزافًا حتى جاوزوا المقدار. هذا أبو هلال الصّابي، يضع كتاب (التّاجي) وهو سجين، وقد مرّ به بعض أصحابه فسأله فقال: (أباطيل أُنمّقها وأكاذيب أُلفّقها في تاريخ آل بُويه»[٢] حتى علماء النّحو تقرّبوا إليهم مثل أبو عليّ الفارسيّ عالم اللّغة والنّحو «ففي سنة 341هـ جاء إلى حلب، إلى بلاط سيف الدّولة استدعاه إلى شيراز ليؤدّب أبناء أخيه خُسْرِوَهْ (كسرى) فنال حظوة عند عضد الدّولة وألّف له الإيضاح والتّكملة»[٣].

---

(١) دكتور حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي/ دار الجيل / بيروت/ ج٤ ص٤٣.

(٢) وليد الأعظمي: السيف اليماني في نحر الأصفهاني/ دار الوفاء/ مصر/ ص٦٥.

(٣) دكتور عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي/ دار العلم للملايين/ بيروت/ ج٢ ص٥٣٧.

وهذا أبو الفرج الأصفهاني (ت 356هـ) يؤّلف كتابه الضّخم (الأغاني) للوزير أبي الحسن محمّد بن الحسن المهلّبي.. ورغم أنّه كتاب أدب وشعر وليس كتاب تاريخ بالمعنى الاصطلاحيّ.. إلاّ أنّ هذا الكتاب كان تكأة المستشرقين والعلمانيّين وضعاف النّفوس في النّيل من تاريخ الإسلام وأهله.. وصار عمدة في تقييم التّاريخ الإسلاميّ.. وجلّ حجّتهم البالغة هذه القصص والحكايات التي ذكرها الأصفهاني عن المغنّيين وأهل الطّرب والمجون، حيث صار تاريخ السّلف الصالح إلى سنة 289هـ عبارة عن مجموعة من المتآمرين سفاكي الدماء.. ومجموعة من الحمقى همّهم القصف واللهو.. هذا هو تاريخ الإسلام الذي قدّمه الأصفهاني للتاريخ لينال حُظوة آل بُويه.. ورغم أنّ أعلام المسلمين وأهل الحديث الموثوق في أمانتهم العلميّة قد فضحوا هذا الكتاب وحذّروا منه.. إلاّ أنّ هناك إصرارًا عجيبًا من قبل الدّارسين في هذا الزّمن من علمانيّين ومن على أشكالهم على الاعتماد عليه في كثير من تحليلاتهم المهترئة.

قال عنه الحافظ أبو الفرج بن الجوزي: في ذكر من توفي في سنة ٣٥٦هـ قال: «علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان، أبو الفرج الأصبهاني وكان يتشيّع ومثله لا يوثق بروايته، فإنّه يصرّح في كتبه بما يوجب عليه الفسق، وتهّون شرب الخمر وربّما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمّل كتاب الأغاني رأى كل قبيح ومنكر»[١] وليس هذا رأي ابن الجوزي فقط بل جمهرة علماء الأمّة كالخطيب البغدادي وابن كثير وابن تيمية وغيرهم.. «وعلى كل حال فإنّ كتاب الأغاني كُتب في عهد آل

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم/ تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطع/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ ج١٤ ص ١٨٥.

بُويه، وتناول الغناء وما يتعلّق به مع أخبار شائنة منذ الجاهليّة إلى عهد الخليفة المعتضد بالله المتوفّى سنة 289 هجرية، وسكت عمّا بعد ذلك فهل انقطع الغناء؟ أم أنّه أراد أن يسكت قبل مجيء العهد البُويهي، لئلا يضطر إلى ذكر أشياء قبيحة لا يحسن ذكرها؟ لذلك نال الكتاب رضا آل بُويه، واتّفق مع رغبتهم وهواهم في تشويه تاريخنا، والدسّ والافتراء والكذاب على آل البيت النّبوي الشّريف، وعلى الأمويّين، وعلى أعلام أمّتنا؛ ولذلك كان عضد الدّولة البُويهي لا يفارق كتاب الأغاني»[١].

كان أبو الفرج الأصفهاني مع كونه من صميم بني أمية، متشيعًا فقد قال عنه التنوخي: «ومن المتشيعين الذي شاهدناهم أبو الفرج الأصبهاني، كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار المسندة والنسب ما لم أر قط من يحفظ مثله»[٢]. وقال عنه ابن الأثير وهو يعدد الذين ماتوا في سنة ٣٥٦هـ: «وفيها توفي أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد الأصبهاني الأموي، وهو من ولد محمد بن مروان بن الحكم الأموي، وكان شيعيًا، وهذا من العجب»[٣]. وقال ابن شاكر في عيون التواريخ: «إنه ظاهر التشيع»[٤]. وقال محققا كتاب الأغاني: «يجمع كل الذين تحدثوا عن النواحي الخلقية لدى أبي الفرج على أنه لم يكن له عناية بنظافة جسمه وثيابه فقد كان وسخًا قذرًا في ثوبه وفعله وكان الناس يحذرون لسانه ويتقون هجاءه، ويصبرون في مجالسته ومعاشرته

---

(١) وليد الأعظمي: السيف اليماني ص٧٠.

(٢) الأصفهاني: أبو الفرج: الأغاني: تحقيق عبد الأمير علي مهنا وسمير جابر/ دار الفكر بيروت/ ط١/ ١٤٠٧هـ/ ج١ من المقدمة ص (د).

(٣) الأغاني: ج١ من المقدمة ص (د).

(٤) الأغاني: ج١ من المقدمة ص (د).

ومشاربته، وكان أكولًا نهمًا، وكان إذا ثقل الطعام في معدته تناول خمسة دراهم فلفلًا مدقوقًا ولا يؤذيه ولا تدمع عيناه»[١].

أما عن الرواة الذين اعتمد عليهم الأصفهاني في سرد مروياته فهم طبقًا لمنهج الجرح والتعديل كذابون مجروحون ولنأخذ عينة من هؤلاء:

الأول: محمد بن السائب الكلبي: قال عنه الجوزجاني: «الكلبي محمد بن السائب: كذاب ساقط. حُدثتُ عن المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: كان بالكوفة كذابان، فمات أحدهما، والسُدِّيُّ والكلبيُّ. حُدثتُ عن علي بن الحسين بن واقد حدثني أبي قال: قدمتُ الكوفةَ ومُنْيَتي لقيُّ السدي، فأتيتُه فسألتُه عن تفسير سبعين آيةٍ من كتاب الله تعالى فحدثني بها، فلم أقم من مجلسي حتى سمعته يشتم أبا بكر وعمر ﭭ فلم أعد إليه. وأما الكلبي فالأمر فيه أطمُّ وأعظمُ. سمعت سليمان بن معبد يقول: حدثنا الأصمعي قال: سمعتُ قُرَّةَ بن خالدٍ يقول: كانوا يرون أنَّ الكلبي يُذرِفُ. قلتُ للأصمعي: وما التذريف؟ قال: الزيادةُ»[٢].

قال عنه الحافظ ابن حجر: «متهم بالكذب، ورمي بالرفض. قال ابن حبان: كان الكلبي سبئيًّا من أولئك الذين يقولون: إن عليًّا لم يمت وأنه يحتاج إلى الإغراق في وصفه. قال ابن معين: ليس بثقة. وقال الدارقطني: متروك»[٣].

---

(١) الأغاني: ج١ من المقدمة ص (هـ).

(٢) الجوزجاني: أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب المتوفى ٢٥٩هـ: أحوال الرجال/ تحقيق السيد صبحي البدري السامرائي/ الرسالة/ ط١/ ١٤٠٥هـ/ ص٥٤.

(٣) الجوزجاني: أحوال الرجال/ منقول عن المحقق هامش ص٥٤.

الثاني: محمد بن أحمد بن مزيد ابن أبي الأزهر البوشنجي: قال عنه الحافظ ابن حجر: «فيه ضعف، وقد تُرك، واتُهم في لقائه أبا كريب ولُينا. مات سنة خمس وعشرين وثلاثمائة. وقيل: بل هو متهم بالكذب فقط. روى المعافى بن زكريا، عن ابن أبي الأزهر محمد بن مزيد حديثًا موضوعًا في فضل الحسين رضي الله عنه . قال حدثنا علي بن مسلم الطوسي، حدثنا سعيد بن عامر، عن قابوس بن أبي ظَبيان، عن أبيه، عن جده عبد الله، وقال مرة: عن أبيه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (رأيت رسول الله ﷺ وهو يفحِّج ما بين فخذي الحسين، ويقبل زُبَيْبَتَه ويقول: لعن الله قاتلك، قلت: ومن هو؟ قال: رجل من أمتي يُبغض عِترتي، لا تناله شفاعتي، كأني به بين أطباق النيران). قال الخطيب: وما يبعُد أن يكون ابن أبي الأزهر وضعه، فقد وضع أحاديث، ويروي عنه الدارقطني، انتهى. وقال الخطيب: غير ثقة، يضع الأحاديث على الثقات. وقال الدارقطني: كان ضعيفًا فيما يرويه، كتبت عنه أحاديث منكرة. وقال الحسن بن علي البصري: ليس بالمرضي. وقال المرزباني: كذَّبه أصحاب الحديث، وأنا أقول: كان كذابًا، قبيح الكذب، ظاهرَهُ»[1].

الثالث: الهيثم بن عدي الطائي توفي ٢٠٦هـ: «قال البخاري: ليس بثقة، كان يكذب. وروى عباس، عن يحيى: ليس بثقة، كان يكذب. وقال أبو داود: كذاب. وقال النسائي وغيره: متروك الحديث. قلت: وكان إخباريًّا. قال عباس الدوري: كان مولاي يقوم عامة الليل يصلي، فإذا أصبح جلس يكذب؟! قال النسائي: الهيثم منكر الحديث.

(١) ابن حجر: لسان الميزان/ تحقيق عبد الفتاح أبو غدة/ دار البشائر الإسلامية/ بيروت/ ط١/ ١٤٢٣هـ/ مج٣ ج٧ ص٥٠٠، ص٥٠١.

وقال أبو حاتم: متروك الحديث، محله محل الواقدي. وقال أبو زرعة: ليس بشيء. وقال العجلي: كذاب، وقد رأيته. وقال يعقوب بن شيبة: كانت له به معرفة بأمور الناس وأخبارهم، ولم يكن في الحديث بالقوي، ولا كانت له به معرفة، وبعض الناس يحمل عليه في صدقه. وقال الساجي: سكن مكة، وكان يكذب. وقال الإمام أحمد: كان صاحب أخبار وتدليس. وقال الحاكم والنقاش: حدث عن الثقات بأحاديث منكرة، زاد الحاكم: وذلك مع علمه ومحله. وذكره ابن السكن وابن الجارود، والدارقطني في الضعفاء. وقال ابن يونس في تاريخ مصر: الهيثم غير موثق. وقال محمود بن غيلان: أسقطه أحمد، وابن معين، وأبو خيثمة. وقال أبو نعيم: يوجد في حديثه المناكير»[1].

الرابع: أبو توبة القاص: «شيخ بصري، ضعفه الدارقطني. وقال الساجي: بصري كذاب»[2].

الخامس: عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب: قال خلف الأحمر: «كان يضع الحديث. وقال البخاري وغيره: منكر الحديث. وقال أبو حاتم: منكر الحديث. وقال عبد الواحد بن علي في مراتب النحويين: كان يضع الشعر وأحاديث السمر، كلامًا ينسبه للعرب، فسقط علمه، وجُفيت روايتُه، وكان شاعرًا وعلمه بالأخبار أكثر. وقال الآجُرّي عن أبي داود: سمعت أبا حاتم عن الأصمعي قال: قال لي خلف الأحمر: آفتُنا بين المشرق والمغرب: ابن دأب يضع الحديث بالمدينة، وابن شَوْكَر يضع الحديث

(١) ابن حجر: لسان الميزان/ مج٣ ج٨ ص٣٥٩: ص٣٦٣ بتصرف.

(٢) ابن حجر: لسان الميزان/ مج٣ ج٩ ص بتصرف٣٤.

بالسِّند»[١].

وبعد: «فهذه طائفة من الرواة الذين اشتهروا بالكذب، وعُرفوا بالوضع، والدجل، يعتمد عليهم أبو الفرج، ويروي عنهم الروايات الكثيرة، التي تسيء إلى تاريخنا، وأدبنا، ورجالنا، وأعلامنا.. وإذا كان هؤلاء الرواة يتجرءون على رسول الله ﷺ بالكذب، فهم أشد جرأة في الكذب على سائر الناس. ورب سائل يقول: إن أخبار الأدب والغناء والسمر، لا تُشْتَرَطُ فيها شروط التوثيق الواردة في الحديث الشريف والسيرة النبوية الكريمة، وإن علماءنا كانوا يتساهلون في الرواية لغير أحاديث الأحكام والعقائد؟ فنقول: ذلك صحيح، عندما يكون الرواة من المعروفين بالعدالة والثقة، وأما الرواة المجروحون والمطعون عليهم، فكان العلماء يجتنبون الرواية عنهم في كل شيء، لأنهم غير مأمونين. ومع ذلك فقد يتساهلون في رواية أو روايتين، أما أن تبلغ الروايات عنهم عدة مئات، وتمتلئ صفحات الكتاب بأسمائهم البغيضة، فهذا ما لم نعهده عند الحريصين على تاريخنا وأدبنا وقيمنا... وإنما نجد ذلك عند الهدامين، والشعوبيين، والدجالين، والمشعبذين والمستشرقين، والحاقدين، الذين أعماهم الحقد على هذه الأمة المجيدة، وتاريخها المشرق الوضاء، وأدبها الكريم، وطبعها السليم، فأكل قلوبهم الحسد... فتحروا الأخبار الواهنة ليملئوا بها صفحات سوداء مظلمة، تسيء الصديق وترضي العدو»[٢].

---

(١) ابن حجر: لسان الميزان/ مج٢ ج٦ ص٢٨٧، ص٢٨٨ بتصرف..

(٢) الأعظمي: وليد: السيف اليماني في نحر الأصفهاني/ ص٤٢، ص٤٣.

هكذا استبان لنا كتاب الأغاني على حقيقته؛ رواة كذابون، ومؤلف مستهتر يصرح عن نفسه باقتراف المحرمات. ورغم ذلك يصر طه حسن وحسن مروة، وشفيق جبري، وأحمد علبي وبقية الطابور العلماني في العالم الإسلامي يصرون على أن كتاب الأغاني هو الصورة الحقيقية للمجتمع الإسلامي في خير القرون خاصة القرنين الأول والثاني الهجري! فالمجتمع الإسلامي في هذه القرنين وما بعدهما إلى سنة ٢٨٩هـ طبقًا لكتاب الأغاني: عصر المتناقضات: فقه + أصحاب شك + مجون وخلاعة + إلحاد وزندقة + شعوبية + مغنى وطرب + عشق للنساء والغلماء = الدين الإسلامي في صورته الحقيقية!! هكذا يصورون لنا ديننا!! فديننا الحنيف صار يؤخذ من كتاب الأغاني وغيره من الكتب التي تنتسب إلى علم الأدب! فديننا يؤخذ من المصدر الأول للتشريع (القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة)، يؤخذ من كتب الصحاح والسير الموثوقة!! لكنهم لا يزالون يمجون في كتاب الأغاني! والعجيب! أنهم في الوقت الذي يوثقون روايات صاحب الأغاني! نجدهم يشككون في كتب الصحاح التي تلقتها الأمة بالقبول!

فهؤلاء القوم لديهم جرأة غريبة على عقائد الإسلام، فالسيرة النبوية على حد زعمهم مشكوك فيها وحتى لو كانت في البخاري!! والقرآن منتج ثقافي! والوحي خيال فلسفي والنبوة أشبه بالكهانة! سبحانك هذا بهتان عظيم! فمعاولهم في هدم بنية الإسلام ولحمته لم تفتر ولم تكل سواعدهم ولم تخف بعد أمداد أقلامهم ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢].

وعلى نفس الوتيرة الحاقدة يعزف المستشار سعيد العشماوي من خلال مجموعة من الكتب والمقالات، فلا تجد مرجعية ولا ضابطًا علميًّا يوقف هذا القاضي عن شطحاته وتأويلاته، فالعشماوي مفسر ومحدث وفقيه ومؤرخ وعالم لغة!! فالرجل هيئة علمية ومجمع علمي وغير شرعي!! فالعشماوي يرد حديث رسول الله ﷺ ولو رواه البخاري نفسه مثل رده حديث مقتل كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق..إلخ وإذا قبل الحديث فإنه يؤوله تأويلًا يفوق تأويلات الباطنية! ولم يسلم القرآن الكريم من تأويلاته! فهذا الرجل له جرأة عجيبة على القرآن وصحيح السنة النبوية! وكل كتبه محشوة بهذا الهراء الذي يسميه فكرًا مستنيرًا!! إذ لا يهم العشماوي تعديل الراوي أو تجريحه، فعلم الرجال لدى هؤلاء قيد وحكر للإبداع الفكري والتقييد العلمي!! ونختار أنموذجًا من ترهات العشماوي لتوضيح الصورة:

يقول العشماوي: «فبعض الفقهاء -الذين أثروا على العقل الإسلامي- قالوا: (أو يقولون) إن الصلة بين الإسلام وغيره من الدول أو المجتمعات هي الحرب دائمًا، وأن السلم ليس إلا هدنة مؤقتة ريثما يتهيأ المسلمون للحرب. وزاد البعض فرأى أو (يرى) أنه من غير الجائز لإمام المسلمين (أو الرئيس أو ملك لهم) أن يتعاقد على سلم دائم مع بلد من بلاد الحرب (أي البلاد غير المسلمة التي تقع خارج الديار الإسلامية أو العالم الإسلامي، أو دار السلام) لأن في مثل هذا السلم إلغاء لفرضية الجهاد»[1]، ويستطرد العشماوي: «وهم يركنون في ذلك إلى آية قرآنية وإلى حديثين: فالآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) العشماوي: محمد سعيد: الإسلام السياسي/ سيناء للنشر/ القاهرة/ ط٢ لسنة ١٩٨٩/ ص١٠٣.

ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ ﴾[التوبة:١٢٣]. أما الحديثان: فأولهما: ما قاله النبي ﷺ لبعض القرشيين عندما استثاروه: **(أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح)**. أما ثانيهما فهو: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**»[١] - فماذا كان رد المفسر الكبير سعيد العشماوي؟!

يقول: «والواقع أن الآية القرآنية -السالف بيانها- لا تقصد قتال الكفار أي غير المسلمين الذين لم يؤمنوا بمحمد وبرسالته، على ظهر الأرض أو في كل الديار غير الإسلامية باعتبارها -في رأي الفقهاء- دار حرب، في حين أن الديار الإسلامية دار سلام أو دار إسلام، وإنما تعني الآية محاربة الكفار (أي الذين كفروا برسالة محمد) ممن كانوا يجاورون المسلمين يلونهم في المكان. فالآية بذلك أدنى إلى التنظيم الحربي الذي يأمر بتطهير الأماكن المجاورة للمجتمع حتى يأمن هذا المجتمع كل تهديد ويتقي شر أي إيذاء، وحينذاك ينتهي الأمر ولا يكون ثم مبرر ولا واجب لأي قتال»[٢].

أما تعليق العشماوي على الحديثين: «أما قول النبي ﷺ لبعض القرشيين: (أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح).. هذا القول ليس من الأحاديث الصحيحة، وإذا كان صحيحًا -وهو غير صحيح- فإنما هو خطاب من

(١) الإسلام السياسي ص١٥١.

(٢) الإسلام السياسي ص١٠٢.

النبي وحده لبعض بني قريش بالذات دون غيرهم، وهو قول في لحظة إثارة وليس وحيًا معصومًا»[١].

سبحانك هذا بهتان عظيم! أخطر ما في مقولة هذا الرجل قوله: (وهو في لحظة إثارة وليس وحيًا معصومًا)!! فالعشماوي يصور الرسول ﷺ في حالة غضب فيتوعد كفار قريش (جئتكم بالذبح).. أي أنها مجرد كلمة لحظة غضب وليس وحيًا منزلًا!! وهل يوقف هذا العشماوي قول الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣].. وهل سيرد العشماوي عن غيه وضلالاته حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ؓ: «قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد أن أحفظه، فنهتني قريش فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يتكلم في الغضب ويتكلم في الرضا، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: (**اكتب! فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق**)»[٢] إن رسول الله ﷺ كان بحق يغضب ويحمر وجهه كأنه قد فقئ فيه حب الرومان، ولكن إذا انتهكت المحارم ورأى منكرًا، كان يغضب ولا يقول إلا حقًّا، فرسول الله ﷺ كان يعي ما يقول جيدًا، وكان أملك لنفسه فلم لا.. وهو مؤيد بروح القدس؟! لم لا والوحي يتنزل عليه؟! فكلامه في الرضا والسخط حق وتشريع لأمته: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

---

(١) الإسلام السياسي ص١٠٣.

(٢) الخطيب البغدادي: تقييد العلم/ تحقيق يوسف العش/ دار إحياء السنة النبوية ط٢/ ١٩٧٤م ص٨٠، ص٨١. الحديث ذكره الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح برقم ٦٦٦٦ ورقم ٦٩٧٧. وفي سنن أبي داود في كتاب العلم الحديث رقم ٣٦٤٨.

أما قول العشماوي: إن حديث (جئتكم بالذبح) غير صحيح! فلا يلتفت إلى قوله، فالعشماوي يضعف ويصحح ما يوافق مزاجه النفسي حسب نوع الكتاب وطبقًا لمنهجه العلمي الذي كرس حياته لخدمته. ولن نطيل في الرد عليه في تصحيح الحديث المذكور. ولكن نشير في عجالة إلى أصل الحديث كما في المسند:

«عن يَحْيَى بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ عُرْوَةَ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِي قَالَ: قُلْتُ لَهُ: مَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتَ قُرَيْشًا أَصَابَتْ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ فِيمَا كَانَتْ تُظْهِرُ مِنْ عَدَاوَتِهِ؟ قَالَ: حَضَرْتُهُمْ وَقَدِ اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ يَوْمًا فِي الحِجْرِ فَذَكَرُوا رَسُولَ الله ﷺ فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ؛ سَفَّهَ أَحْلاَمَنَا وَشَتَمَ آبَاءَنَا وَعَابَ دِينَنَا وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا وَسَبَّ آلِهَتَنَا، لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ. أَوْ كَمَا قَالُوا. قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله ﷺ فَأَقْبَلَ يَمْشِي حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طَائِفًا بِالْبَيْتِ، فَلَمَّا أَنْ مَرَّ بِهِمْ غَمَزُوهُ بِبَعْضِ مَا يَقُولُ. قَالَ: فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ مَضَى فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ الثَّانِيَةَ غَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ مَضَى ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ الثَّالِثَةَ فَغَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا فَقَالَ: «**تَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَمَا والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ**»[1].

وهكذا تكمن القوة الذاتية لهذا الدين العظيم الذي يسري في عروق الأمة جيلًا إثر جيل؛ يحفظون سيرة نبيهم، لا ينسون مولده ولا مبعثه، ويعيشون مغازيه وجهاده، ويعتبرون برسائله إلى الملوك والأمراء، لا ينسون استعلاءه بإيمانه على الكفر وملته، يعلمون عدد أزواجه وأولاده وأحفاده، يحبون أصحابه ولا ينسون أسماءهم وبلاءهم

(١) مسند أحمد الحديث رقم ٧٢٣٣. وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر.

في نصرة هذا الدين! وهذا ما يغيظ أعداء الإسلام فهم يريدون محو ذاكرتنا! ولن يحقق الله كيدهم! فعلم الرجال في نحورهم!!

رابعًا: أهمية علم الرجال في نقل الخبر الشرعي:

قد يسأل سائل عن جدوى ما نكتب عن علم الرجال، وأنه لا فائدة من علم الجرح والتعديل أو الإسناد إذا لم يقبله العقل كما ذكر ابن خلدون في مقدمته: «ولا يرجع إلى تعديل الرواة حتى يُعلم أن ذلك الخبر في نفسه ممكنٌ أو ممتنعٌ وأما إذا كان مستحيلًا فلا فائدة للنظر في التعديل والتجريح، ولقد عدَّ أهل النظر من المطاعن في الخبر استحالة مدلول اللفظ وتأويله بما لا يقبله العقل»[١].

ويعلل ابن خلدون ذلك قائلًا: «وإنما كان التعديل والتجريحُ هو المعتبر في صحة الأخبار الشرعية لأن معظمها تكاليف إنشائية أوجب الشارع العمل بها حتى حصل الظن بصدقها، وسبيل صحة الظن الثقة بالرواة بالعدالة والضبط. وأما الأخبار عن الواقعات فلا بد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة فلذلك وجب أن ينظر في إمكان وقوعه، وصار فيها ذلك أهم من التعديل ومقدمًا عليه إذ فائدة الإنشاء مقتبسة منه فقط وفائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة، وإذا كان ذلك فالقانون في تمييز الحق من الباطل في الأخبار بالإمكان والاستحالة أن ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران ونميز ما يلحقه من الأحوال لذاته وبمقتضى طبعه وما يكون عارضًا لا يعتد به وما لا يمكن أن يعرض له، وإذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانونًا في تمييز الحق من

(١) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت/ ج١ ص٣٧.

الباطل في الأخبار والصدق من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه، وحينئذ فإذا سمعنا عن شيء من الأحوال الواقعة في العمران علمنا ما نحكم بقبوله مما نحكم بتزييفه وكان ذلك لنا معيارًا صحيحًا يتحرى به المؤرخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه»[١].

هكذا استقام سياق النقل عن ابن خلدون الذي يقسم الخبر إلى قسمين: خبر شرعي، وخبر عام. فالتجريح والتعديل هو المعتبر في الخبر الشرعي لأنها تكاليف أوجب الشرع العمل بها حتى حصل الظن بصدقها.. لكن كيف نحصل على هذا الظن؟ بالطبع بالثقة بعدالة الرواة وضبطهم أي الاهتمام بعلم الإسناد.. لكن لماذا الإسناد؟ لأن الإسناد شهادة شرعية مأمونة من رواة ثقات شهدوا جميعًا من طبقة إلى أخرى حتى طبقة الصحابة؛ شهدوا جميعًا أن هذا الخبر أو ذاك قاله أو فعله أو قرره رسول الله ﷺ. وهذا الذي نهتم به ونحن بصدد حديثنا عن مصادر سيرة نبينا محمد ﷺ باعتبارها كخبر شرعي؛ وهذا ما قصده ابن خلدون في تقسيمه المذكور! ولكن القوم خلطوا ودلسوا كلام ابن خلدون حيث جاءوا بجملة مبتسرة ليخوفونا!! اتخذوا جملة من كلام ابن خلدون تكأة ليتمادوا في جرأتهم على الخبر الشرعي بصفة خاصة والتاريخ الإسلامي بصفة عامة.

لذلك «إن منهج الإسناد وهو يلجأ إلى التعديل والتجريح ليؤول في نهاية الأمر إلى فحص شهادة، فهو إذن يستند على مقياس أخلاقي – ديني. فالشهادة إذن أساس منهج

(١) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت/ ج١ ص٣٧، ص٣٨.

الإسناد، وهكذا فإن النبي هو الشاهد الأول على صحة القرآن، أي صحة نسبته إلى أصل، أي أنه كلام الله. والذين عرفوا النبي من أهل جيله هم الشهود على ما قاله أو فعله أو أقره أو نهى عنه (أي السنة). ويتسلل نقل هذا كله خلال أجيال من الناقلين (الطبقات). وهكذا يكون الإسناد في نفس الوقت وسيلة لإتمام هذا النقل ومراقبة صحة تسلسله وأمانته للأصل». اهـ[(١)].

لذلك نجد فريقًا من الباحثين وطلبة العلم وقَّافين عن الإسناد يردعهم ويحترمونه ديانة وأمانة للخبر الشرعي وحتى الخبر العام، تمامًا كما كان يحترم سلفنا هذا العلم ويبذلون قصارى جهدهم ويستفرغون وسعهم في تمحيص وتحقيق الرواية. وإذا صح لدى العالم حديث فإنه لزام عليه أن يغير رأيه الذي أسسه على خبر ضعيف أو رواية واهية، ويستمسك بالرواية الصحيحة التي شهد له الإسناد أنها صحيحة. أما ما ورد في كتبهم ولاسيما في كتب السيرة من روايات ضعيفة فإننا نحسن الظن بهم أنهم بذلوا قصارى جهدهم في التمحيص أو سردوها على طريقة الطبري أي سرد كل ما قيل في الواقعة من صحيح وضعيف وأهل الإسناد أدرى بالتمحيص وكشف الغثِّ من السمين.

لكن هناك فريقٌ من الباحثين خاصة المعاصرين لا يردعهم الإسناد ولا أصح الروايات. فالحاكم على الخبر الشرعي وغيره هو أدمغتهم! بل إنهم يرفضون أصح الروايات طالما لم تقبلها عقولهم أو لم تستسغها أهواؤهم! وقد كان المعتزلة أول من فتح هذا الباب الخطير على مصراعيه؛ فقدموا العقل على النقل! وطعنوا في بعض الصحابة

---

(١) علي أومليل: الخطاب التاريخي/ دار التنوير/ بيروت/ ط٣ ص٤٣.

كما هو ثابت في كتبهم وكتب الفرق والعقائد! ومن ثم اتخذ المحدثون العصرانيون! مقولة المعتزلة تكأة لبث سمومهم وتحقيق مآربهم الخبيثة فصار العقل ربًّا جديدًا ومعبودًا لدى هذه الفرق على اختلاف مشاربهم! صار العقل حكمًا ليس على السيرة النبوية فحسب بل على الدين كله أصوله وفروعه!!

فإذن فلن يهتم هؤلاء العصرانيون بعلم الإسناد! ولن يوقفهم قبول الخبر الشرعي من عدمه! فعلى سبيل المثال: يقول أحمد أمين في فجر الإسلام: «حتى نرى البخاري على جليل قدره ودقيق بحثه يثبت أحاديث دلّت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنها غير صحيحة لاقتصاره على نقد الرجال، كحديث (لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة)، وحديث (من اصطبح كل يوم سبع تمرات من عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل)». اهـ[(١)].

بالطبع هناك أحاديث أخرى في صحيح البخاري لا يقبلها أصحاب هذه المدرسة التجريبية، فالعبادة عند فريق من هؤلاء معقولة المعنى فقط! أما العبادة غير معقولة المعنى فلا يعترفون بها! فالخبر الشرعي لا ينفك عن الوحي المنزل على رسول الله ﷺ؛ فالرواة العدول أصحاب الدين الموثوق في أمانتهم شهدوا شهادة موصولة أن الرسول ﷺ قال: **(لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة)**.. الحديث، وشهدوا كذلك أنه قال حديث التمرات، فلماذا نرفض النص إذن؟! ولِمَ الهوى والعناد؟!

وهناك نفر من العصرانيين ذهبوا بعيدًا جدًّا وضربوا بالإسناد وبكل ما هو راسخ

(١) أحمد أمين: فجر الإسلام/ دار الكتاب العربي/ بيروت/ الطبعة ١١، ١٩٧٥م ص٢١٨.

ومقدس عرض الحائط. وزعموا أن هناك طريقًا ومنهجًا جديدًا يوصل إلى الحقيقة.. ألا وهو الشك في كل الثوابت المقدسة؛ الشك في الدين كله حتى نصل إلى الحقيقة.. وبشر صاحب هذه المقالة الأمة بالمنهج الجديد.. وهو المذهب الديكارتي.. إنه طه حسين في كتابه في الشعر الجاهلي الذي ظهر سنة ١٩٢٦م وصودر وقتها ثم طبعه العلمانيون حديثًا. يقول في المقدمة: «أريد أن أصطنع في الأدب هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه (ديكارت) للبحث عن حقائق الأشياء في أول هذا العصر الحديث.

والناس جميعًا يعلمون أن القاعدة الأساسية لهذا المنهج هي أن يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل، وأن يستقبل موضوع بحثه خالي الذهن مما قيل فيه خلوًّا تامًّا (..) لنجتهد في أن ندرِّس الأدب العربي غير حافلين بتمجيد العرب أو الغض منهم، ولا مكترثين بنصر الإسلام أو النعي عليه، ولا معنيين بالملاءمة بينه وبين نتائج البحث العلمي والأدبي، ولا وجلين حين ينتهي بنا هذا البحث إلى ما تأباه القومية أو تنفر منه الأهواء السياسية أو تكرهه العاطفة الدينية (..) فأنت ترى أن منهج ديكارت هذا ليس خصبًا في العلم والفلسفة والأدب فحسب وإنما هو خصب في الأخلاق والحياة والاجتماعية أيضًا، وأنت ترى أن الأخذ بهذا المنهج ليس حتمًا على الذين يدرسون العلم ويكتبون فيه وحدهم، بل هو حتم على الذين يقرءون أيضًا». اهـ[١].

فماذا كانت النتيجة؟! أي نتيجة وثمرة الأخذ بمنهج ديكارت هو زندقة طه حسين.. ألم يوصله منهج ديكارت إلى هذه المقولة: «للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم

(١) طه حسين: في الشعر الجاهلي/ مطبعة دار الكتب المصرية، ص١٣، ص١٤.

وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضًا، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلًا عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة نوعًا من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى». اهـ[١].

هكذا وصل طه حسين بمنهج ديكارت إلى أن قصة سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام حيلة تاريخية.. لا أساس لهذين الاسمين من الصحة ولا قصتهم في القرآن بل هي حيلة تاريخية!! فهل طه حسين وتلامذته يردعهم الإسناد.! فماذا بعد.. القرآن الكريم؟!!

وهناك فريق من الباحثين العصرانيين يأتي بالرواية ويفسرها حسب خياله بدون أية ضوابط ونضرب لهذا الفريق مثلًا:

كتاب (أحوال المرأة في الإسلام) تأليف منصور فهمي:

وهذا الكتاب عبارة عن رسالة دكتوراة نوقشت في جامعة السوربون في فرنسا عام ١٩١٣م وهذه الرسالة التي احتفى بها العلمانيون عبارة عن منشور (زندقة) وافتراء!! فالكتاب عبارة عن تدليس وتزوير وطعن في الإسلام وفي شخص رسول الله ﷺ.

فمن هو منصور فهمي وماذا قال في كتابه المذكور؟

(١) طه حسين: في الشعر الجاهلي/ ص٢٦.

بطاقة تعريف: الدكتور منصور فهمي مصري ولد سنة ١٨٨٦م في محافظة الدقهلية وتوفي عام (١٩٥٩م) أتم دراسته الثانوية سنة ١٩٠٦م وفاز ببعثة الجامعة المصرية عام ١٩٠٨م لمدة خمس سنوات، لدراسة الفلسفة في جامعة السوربون بباريس، ثم تقدم لنيل درجة الدكتوراه، وكان موضوع رسالته (حالة المرأة في التقاليد الإسلامية وتطوراتها)، ثم نشر الكتاب لأول مرة في باريس عام ١٩١٣م بعنوان (وضع المرأة في الإسلام) ثم نشر في طبعة حديثة عام ١٩٩٧م في كولونيا بألمانيا بعنوان (أحوال المرأة في الإسلام). وقد انتقده العلماء والكتاب وردوا عليه بشدة وبينوا جهله وافتراءه على الإسلام ورسول الإسلام ﷺ. ولقد نشرت جريدة المؤيد بتاريخ ٢٨/ ١٢/ ١٩١٤م ردًّا قويًّا للأستاذ محمد لطفي جمعة حيث اتهم منصور فهمي بعدم الفهم واعتماده على أحاديث ضعيفة وموضوعة.

نماذج من مزاعم منصور فهمي في كتابه:

يقول منصور فهمي في الفصل الأول من كتابه: «محمد والمرأة»[(١)] ثم يذكر في عنوان لأول فقرة في الفصل الأول: «شرَّع محمد القوانين للجميع واستثنى نفسه»[(٢)]. ويفصِّل: «فبينما يقدِّم الدين المسيحيُّ بطله يسوع في إطار مقدس. طبيعة فوقيّة عن البشر، فإنّ الإسلام يقدّم نبيه في شكل مختلف. فهو إنسان بكلّ ما في الكلمة من معنى: رجل حسَّاس طيِّب. رجل ذو نزوات وعواطف ورجل اجتماعي من الطراز الأوّل.

---

(١) منصور فهمي: أحوال المرأة في الإسلام/ ترجمة رفيدة مقدادي/ منشورات الجمل/ كولونيا/ ألمانيا/ ١٩٩٧م ص٢١.

(٢) منصور فهمي: ص٢١.

لكن محمد، الرجل الذي سنَّ القوانين ليخضع نفسه والآخرين لها منح لشخصه بعض الامتيازات. ففي اللحظة التي كان يسترجع وعيه فيها أدرك محمد أنّه من الصعب عليه أنْ يُلزم نفسه بالقوانين الصادرة عن الله ومع هذا كان عازمًا كرسول أنْ يفرض هذه القوانين على الأمّة التي أراد تأسيسها، وبسرعة وجد حلا للمعضلة: احتفظ للرجال المبشرين برسالة سماوية: حق التمتع بامتيازات لا تتمتّع بها عامّة الناس»[١].

ويطعن في رسول الله ﷺ أنه يميز نفسه عن سائر الصحابة إذ يفتري عليه قائلًا: «وبعبارة أخرى فإنّ محمدًا سيد وقته وأملاكه يستطيع أنْ يقسّم وقته وما يملك بالعدل بين زوجاته بينما القلوب هي ملك الله فلا يستطيع إذن أن يسيطر على عواطفه، فهو الذي حدد تعدد الزوجات للآخرين استثنى نفسه من ذلك. فالرجل المسلم لا يحقّ له أنْ يتزوّج أكثر من أربع زوجات. وكل زواج يجب أنْ يعقد بوجود شهود ودفع المهر للزوجة. وأما محمد فإنّه تزوّج أكثر من أربع وأعفى نفسه من الشهود والمهر»[٢].

أقول: نلاحظ أن منصور فهمي يذكر (محمدًا) هكذا مجردًا بدون ﷺ! ثم نجده من أول فصل يطعن في أنبياء الله حيث إنهم يميزون أنفسهم عن سائر الناس! وأنهم يسنون لأنفسهم قوانين للتمتع بامتيازات لا تتمتع بها عامة الناس!! وأن رسول الله ﷺ يشرع للناس ويحظر عليهم أشياء يجيزها لنفسه (فالرجل المسلم لا يحق له أن يزوج أكثر من أربع زوجات بشرط وجود عقد وشهود ومهر! أما محمد (ﷺ) فإنه يتزوج أكثر من أربع وأعفى نفسه من الشهود

---

(١) منصور فهمي: ص٢١.

(٢) السابق: ص٢٣.

والمهر!! فإن لم تكن عبارة منصور فهمي كفر وزندقة!! فما الزندقة إذن؟!

وفي فقرة تقطر خبثًا وعدوانًا على بيت النبوة يقول منصور فهمي: «**فمحمد، مُشرِّع القوانين الكبير، كان ينقاد لنزوات وتقلبات عائشة، فكان يعمل جهده** ليرضيها فينزل إلى مستواها الطفولي، يركض ويلعب معها، والمثل الآتي يكفي للإشارة إلى مدى تأثيرها على القوانين القرآنيّة. كانت عائشة برفقة زوجها النبي في طريق عودتهما من غزوة عسكرية، وكانت الطريق التي عبروها ممرًّا قاحلا جافًّا وهناك تفقد عائشة قلادتها ويبدأ مرافقو النبي بالبحث عنها لأن عائشة أصرَّت على إيجاد القلادة. وطال البحث وأخذ المؤمنون يشعرون بالقلق بسبب قرب موعد الصلاة وتواجدهم في مكان لا ماء فيه، وهنا يبادر محمد يطمئن مرافقيه المؤمنين بعد أنْ طلب الإذن من الله أنْ يسمح لمرافقيه بالصلاة دون الوضوء. كل هذا لخاطر عائشة وهذه الحادثة هي أصل القاعدة القرآنيّة التي يعمل بها في الظروف حيث يتواجد المؤمنون في مكان لا ماء فيه»[(١)].

ويقول منصور فهمي: «وعائشة – في نظر السنة – لها مكانة خاصة تميزها عن بقية زوجات محمد والسبب أنّ حضورها برفقة محمد ما كان يمنع أو يضايق الملاك جبريل من الظهور على النبي. ومحمد الرجل غاو النساء والعطور كان غالبًا يستقبل الوحي السماوي في عزلته مع ابنة أبي بكر: «وكان ينزل عيه الوحي وهو معي»»[(٢)].

أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم! يصف هذا الزنديق الرسول ﷺ (مشرع القوانين

(١) منصور فهمي: ص٢٩، وص٣٠.

(٢) السابق: ص٣٠.

الذي ينقاد لنزوات وتقلبات عائشة)!! ويقول في شأن التيمم!! (كل هذا لخاطر عائشة)! معنى ذلك أن القرآن منتج بشري وأن الرسول يزعم أنه من عند الله!! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولن إلا كذبًا!

وينقل لنا منصور فهمي بخياله المريض ومراجعه الواهية: «في السنة الرابعة للهجرة يعقد النبي زواجه الخامس عل الأرملة الجميلة أم سلامة. وبعكس حفصة فإنّ أم سلامة تهم موضوعنا كثيرًا. إذ هي كانت زوجة مؤمن صالح ومن أشجع جنود النبي. كانت تحبّ زوجها كثيرّا لدرجة أنّها هاجرت معه إلى الحبشة عندما كان أتباع الدين الجديد مضطهدين. أحبّت أم سلامة زوجها لدرجة أنّها عاهدت نفسها بألا تتزوّج رجلًا آخر من بعده فتعال أعاهدك ألا تتزوج بعدى ولا أتزوج بعدك. ولكن أبو سلامة الجندي الشجاع مصاب بجروح قاتلة في معركة أحد وينضم إلى قافلة الشهداء في الجنة. يذهب محمد إلى أم سلامة معزيًا ويطوّل زيارته» إن رسول الله دخل على أم سلامة حين توفّي أبو سلم فذكر ما أعطاه الله وما قسّم له وما فضّله فما زال يذكر إلخ..».[١] ، «أُخذ محمد بجمال أمّ سلامة وقال لها وهو يغادر بيتها أنْ تطلب من الله تعالى في صلاتها أنْ يخفف من مصابها وأن يجازيها خيرًا وهنا تصرخ أم سلامة وتقول ما هي المكافأة التي تجعلني أنْ أنسى أبا سلامة؟ «اللهم أجرني في مصيبتي واعقبني خيرًا منها»[٢].

أقول: نلاحظ أن المترجمة رفيدة مقدادي التي ترجمت الكتاب من الفرنسية إلى

---

(١) السابق: ص٣١.

(٢) السابق:ص٣١، ص٣٢.

العربية لم تستطع أن تفرق بين (أم سلمة) و(أم سلامة)!! فالسيدة أم سلمة رضي الله عنها أم المؤمنين وإحدى زوجات النبي الكريم ﷺ! يتحدث عنها منصور فهمي كأنه يتحدث عن ماري أنطوانيت!! وعن المخازي التي تشهدها القصور الحاكمة في الدول الغربية وغيرها!! ودقق في هذه العبارة الخبيثة (وأخذ محمد بجمال أم سلامة)!!

قول شنيع على الرسول والسيدة ريحانة رضي الله عنها، ثم يتمادى منصور فهمي في التزلف إلى أستاذه (ليفي برول) المشرف اليهودي على رسالة الدكتوراة في وصف لا يكتبه مسلم: «وحسب الروايات المتناقضة والغامضة التي تقول أنّ الرسول تزوج من ريحانة التي اختطفت كأسيرة حرب ولكنه ليس من الثابت عن ماهيّة العلاقة بين محمد وريحانة، البعض يقول أنّه فعلًا تزوجها والآخرون يقولون أنّها كانت خليلته فقط»(١).

أقول: ما أكذب هذه العبارة! وما أبشعها! وما أكفرها! نلاحظ أنه يحاول أن يبين أنه محايد (لكنه ليس من الثابت عن ماهية العلاقة بين محمد وريحانة)!! ثم يستدرك (البعض يقول أنه فعلًا تزوجها والآخرون يقولون إنها كانت خليلته)!! فمن هم هؤلاء الآخرون الذين يرون أن السيدة ريحانة كانت خليلته!! لم يذكر لنا مصدرًا واحدًا ولا عالمًا واحدًا!! مع ما في كلمة (خليلة) من إيحاء خبيث!!

وفي فقرة يتزلف بها منصور فهمي للغرب يصدر في كتابه هذا العنوان: «آراؤه ومواقفه المؤيدة والعدوانية نحو المرأة» ثم يشرع في التفصيل: «إنّ الأحكام أو الآراء التي تُنْسب إلى الرسول فيما يتعلّق بالمرأة كان منها المؤيد ومنها العدواني» ثم يضرب

(١) منصور فهمي: ص٣٥.

منصور فهمي أمثلة على زعمه: «مثل آخر لنظرة محمد العدائيّة تجاه النساء. (..) حتى في الحياة اليومية كان محمد يعتبر المرأة كائنًا يخشى منه، فنصح الرجل بأنْ لا ينفرد مع امرأة وأنْ لا يراها إلاّ برفقة قريب لها. فالنبي الشبق كان يتخوّف من انفراد الرجل بالمرأة لأنّ الشيطان حتمًا سيتدخّل. ولأنّه كان يهاب الإغراء فلقد عبّر عن أفكاره بمثل كلمة تيرتوليان «يا امرأة...أنت باب إبلس»[1].

أقول: كتاب أحوال المرأة منشور؛ زندقة وافتراء وكذب على الإسلام ونبيه ﷺ فالكتاب طافح بالأباطيل والأضاليل، ومعظم المصادر التي اعتمد عليها ضعيفة عند علماء الجرح والتعديل حيث أشار في مصادره إلى طبقات ابن سعد وإحياء علوم الدين والعقد الفريد والأغاني للأصفهاني بالإضافة إلى مجموعة من المستشرقين في مقدمتهم أستاذه الذي شكره وأشرف على رسالته البروفيسور ليفي يرول، وغوستاف لوبون في كتابه المتحامل فيه على الإسلام (حضارة العرب)، وبيول جيد، والبرفيسور ماسبيرو، والهولندي هورنغرونج وغيرهم!! حتى الأحاديث التي أشار فيها إلى صحيحي البخاري ومسلم لم يفهمها وأولها تأويلًا استشراقيًّا خبيثًا!!

(١) السابق ص٤٤، ص٤٥.

خامسًا: خطورة تطبيق المنهج الغربي في مرويات السيرة النبوية:

قد يقول قائل لماذا أغفل علماء المسلمين المنهج الغربي التاريخي في نقد المتون أو نقد الرواية التاريخية ذاتها مع الإقرار بتفوق وأسبقية علماء المسلمين في منهج نقد الأسانيد؟

هذا التساؤل يجرنا إلى تقدمة لفهم طبيعة النظام الإسلامي والمنظومة الغربية من حيث المنطلق والتصور.

صحيح أن الغرب كان لهم نتاج فكري كبير في مجال إعمال المنهج التاريخي لنقد المتن أو الرواية التاريخية. فمما لا شك فيه أنهم أصلوا وقعدوا أطروحاتهم الفكرية حتى استقام لهم منهج نقد المتون وتوسعهم في إعمال المنهج التجريبي والاستقرائي طبقًا ومنظومتهم الغربية التي ظهرت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر واستفاد خلفهم من سلفهم.

وقد أشار إلى هذه القضية الدكتور أكرم ضياء العمري في كتابه السيرة النبوية الصحيحة: «وإذا كان النقد التاريخي يبدو ضعيفًا في دراساتنا، فإن التحليل للروايات والتعامل معها يبدو أكثر قصورًا، بسبب النظرة التجزيئية للقضايا السطحية في التعامل مع الروايات وعدم وضوح التصور الإسلامي لحركة التاريخ ودور الفرد والجماعة والعلاقة الجدلية بين القدر والحرية وقانون السببية والربط بين المقدمات والنتائج فضلًا على أن الكتب التاريخية القديمة لا تمدنا بمنحى واضح في التحليل والتصور الكلي

بسبب اعتمادها على سرد الروايات فقط»[١].

هكذا يستحث العمري علماء المسلمين للاستفادة من منهج النقد الغربي ويدعو إلى الأخذ بالمنهجين معًا قائلًا: «إن الجمع بين معطيات منهج المحدثين ومنهج النقد الغربي يعطي أمثل النتائج إذا حكمت الأخير معايير التصور الإسلامي، ولا شك أن الدراسات التاريخية الحديثة ومنها دراسات السيرة النبوية ما زالت في بداية الطريق، هي تحتاج إلى جهود هائلة للارتقاء بها إلى مستوى الدراسات التاريخية العالمية»[٢].

أقول: لكن لا بد من التنبيه حتى لا يفهم أحد دعوة ومقولة الدكتور العمري خطأ، ومن ثم سأشرع في تناول بعض المشاكل التي تثار جراء تطبيق منهج نقد المتون طبقًا لمفهوم المنظومة الغربية ولاسيما في مجال السيرة النبوية.

بادي ذي بدء أود أن أشير إلى أن علماء المسلمين لم يغفلوا المنهج التاريخي لنقد المتون والأمثلة على ذلك كثيرة، فعلى سبيل المثال لا الحصر: غزوة بني المصطلق؛ لقد اختلف العلماء في تاريخ سنة حدوثها؛ فأبو محمد بن حزم يؤكد أنها في السنة السادسة، وموسى بن عقبة خالف كتاب السيرة وذكرها في السنة الرابعة.. وأيده ابن القيم والذهبي. وسبب هذا الاختلاف هو ذكر سعد بن معاذ رضي الله عنه ؛ ففي حديث الإفك يروى أن سعد بن معاذ وسعد بن عبادة تنازعا في أصحاب الإفك، لكن سعد بن معاذ مات عقب غزوة بني قريظة في ذي القعدة سنة خمسة هجرية! وحادثة الإفك كانت في

(١) أكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة/ مكتبة العبيكان/ ط٢ ص١٤.

(٢) أكرم ضياء العمري: ص١٤.

ستة هجرية. ذكر تفصيل ذلك ابن القيم في زاده: «وفي هذه القضية أن النبي ﷺ لما قال: «من يعذرني في رجل بلغني أذاه في أهلي» قام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل، فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله ﷺ. وقد أشكل هذا على كثير من أهل العلم، فإن سعد بن معاذ لا يختلف أحد من أهل العلم أنه توفي عقيب حكمه في بني قريظة عقيب الخندق، وذلك سنة خمس على الصحيح، وحديث الإفك لا شك في أنه في غزوة بني المصطلق هذه؛ وهي غزوة المريسيع، والجمهور عندهم أنها كانت بعد الخندق سنة ست، فاختلفت طرق الناس عند هذا الإشكال»[١].

فقال موسى بن عقبة: «غزوة المريسيع كانت سنة أربع قبل الخندق، حكاه عنه البخاري. وقال الواقدي: كانت سنة خمس. قال: وكانت قريظة بعدها. وقال القاضي إسماعيل بن إسحاق: اختلفوا في ذلك والأولى أن تكون المريسيع قبل الخندق، وعلى هذا فلا إشكال، ولكن الناس على خلافه»[٢].

وقد ذكر ابن القيم في كتابه الماتع (المنار المنيف) قواعد وضوابط يمكن من خلالها معرفة الحديث الموضوع من غير أن ينظر في سنده. يقول ابن القيم: «وسئلتُ: هل يمكن معرفة الحديث الموضوع بضابط من غير أن ينظر في سنده؟ فهذا سؤال عظيم القدر وإنما يعلم ذلك من تضلع في معرفة السنن الصحيحة واختلطت بلحمه ودمه وصار له فيها ملكة وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار ومعرفة سيرة

(١) ابن القيم: زاد المعاد / ج٢ ص١٥٩.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد / ج٢ ص١٥٩.

رسول الله ﷺ وهديه فيما يأمر به وينهى عنه ويخبر عنه ويدعو إليه ويحبه ويكرهه ويشرعه للأمة بحيث كأنه مخالط للرسول ﷺ كواحد من أصحابه فمثل هذا يعرف من أحوال الرسول ﷺ وهديه وكلامه وما يجوز أن يخبر به وما لا يجوز، ما لا يعرفه غيره وهذا شأن كل متبع مع متبوعه فإن للأخص به الحريص على تتبع أقواله وأفعاله من العلم بها والتمييز بين ما يصح أن ينسب إليه وما لا يصح ما ليس لمن لا يكون كذلك وهذا شأن المقلدين مع أئمتهم يعرفون أقوالهم ونصوصهم ومذاهبهم، والله أعلم»[١].

وينبه ابن القيم على عدة أمور: «ونحن ننبه على أمور كلية يعرف بها كون الحديث موضوعا: فمنها؛ اشتماله على أمثال هذه المجازفات التي لا يقول مثلها رسول الله ﷺ وهي كثيرة جدا كقوله في الحديث المكذوب (من قال لا إله إلا الله خلق الله من تلك الكلمة طائرًا له سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون الله له ومن فعل كذا وكذا أعطي في الجنة سبعين ألف مدينة في كل مدينة سبعون ألف قصر في كل قصر سبعون ألف حوراء)، وأمثال هذه المجازفات الباردة التي لا يخلو حال واضعها من أحد أمرين إما أن يكون في غاية الجهل والحمق وإما أن يكون زنديقًا قصد التنقيص بالرسول ﷺ بإضافة مثل هذه الكلمات إليه»[٢].

ومثال آخر: «ومنها؛ تكذيب الحس له كحديث (الباذنجان لما أكل له)» و(الباذنجان شفاء من كل داء)؛ قبح الله واضعهما فإن هذا لو قاله يوحنس أمهر الأطباء لسخر

---

(١) ابن القيم: المنار المنيف تحقيق عبد الفتاح أبي غدة / مكتب المطبوعات الإسلامية/ سوريا ط٢ لسنة ١٤٠٣هـ ص٤٣، ص٤٤.

(٢) المنار المنيف ص٥٠، ص٥١.

الناس منه ولو أكل الباذنجان للحمى والسوداء الغالبة وكثير من الأمراض لم يزدها إلا شدة ولو أكله فقير ليستغني لم يفده الغنى أو جاهل ليتعلم لم يفده العلم»[١].

ومثال آخر: «ومنها؛ سماجة الحديث وكونه مما يسخر منه كحديث (لو كان الأرز رجلًا لكان حليمًا ما أكله جائع إلا أشبعه)؛ فهذا من السمج البارد الذي يصان عنه كلام العقلاء، فضلًا عن كلام سيد الأنبياء»[٢].

ومثال آخر: «ومنها؛ مناقضة الحديث لما جاءت به السنة الصريحة مناقضةً بينة: فكل حديث يشتمل على فساد أو ظلم أو عبث أو مدح باطل أو ذم حق أو نحو ذلك فرسول الله ﷺ منه بريء. ومن هذا الباب أحاديث مدح من اسمه محمد أو أحمد وأن كل من يسمى بهذه الأسماء لا يدخل النار وهذا مناقض لما هو معلوم من دينه ﷺ أن النار لا يجار منها بالأسماء والألقاب وإنما النجاة منها بالإيمان والأعمال الصالحة»[٣].

ومثال آخر: «ومنها أن يدعى على النبي ﷺ أنه فعل أمرًا ظاهرًا بمحضر من الصحابة كلهم وأنهم اتفقوا على كتمانه ولم ينقلوه كما يزعم أكذب الطوائف أنه ﷺ أخذ بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمحضر من الصحابة كلهم وهم راجعون من حجة الوداع فأقامه بينهم حتى عرفه الجميع ثم قال: هذا وصيي وأخي والخليفة من بعدي فاسمعوا

(١) المنار المنيف ص٥١.
(٢) المنار ص٥٤.
(٣) المنار ص٥٦، ص٥٧

له وأطيعوا، ثم اتفق الكل على كتمان ذلك وتغييره ومخالفته، فلعنة الله على الكاذبين»[١].

ومثال آخر: «ومنها؛ أن يكون الحديث باطلًا في نفسه فيدل بطلانه على أنه ليس من كلام الرسول ﷺ. كحديث: (المجرة التي في السماء من عرق الأفعى التي تحت العرش)، وحديث: (إذا غضب الله تعالى أنزل الوحي بالفارسية وإذا رضي أنزله بالعربية)»[٢].

ومثال آخر: «ومنها؛ أن يكون كلامه لا يشبه كلام الأنبياء فضلًا عن كلام رسول الله ﷺ الذي هو وحي يوحى كما قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ** ﴾ [النجم: ٣-٤] فيكون الحديث مما لا يشبه الوحي بل لا يشبه كلام الصحابة. كحديث (ثلاثة تزيد في البصر: النظر إلى الخضرة والماء الجاري والوجه الحسن)، وهذا الكلام مما يجل عنه أبو هريرة وابن عباس بل سعيد بن المسيب والحسن بل أحمد ومالك رحمهم الله»[٣].

ومثال آخر: «ومنها؛ أن يكون في الحديث تاريخ كذا وكذا مثل قوله: إذا كان سنة كذا وكذا وقع كيت وكيت وإذا كان شهر كذا وكذا وقع كيت وكيت»[٤].

ومثال آخر: «ومنها؛ أن يكون الحديث بوصف الأطباء والطرقية أشبه وأليق؛

---

(١) المنار ص٥٧

(٢) المنار ص ٥٨.

(٣) المنار ص٦١، ص٦٢.

(٤) المنار ٦٣، ص٦٤

كحديث (الهريسة تشد الظهر)، وكحديث (أكل السمك يوهن الجسد)»[١].

ومثال آخر: «ومنها: أحاديث العقل كلها كذب كقوله: لما خلق الله العقل قال له: أقبل، فأقبل ثم قال له: أدبر، فأدبر فقال: ما خلقت خلقًا أكرم عليَّ منك، بك آخذ وبك أعطي»[٢].

ومثال آخر: «ومنها؛ الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته، كلها كذب ولا يصح في حياته حديث واحد؛ كحديث (إن رسول الله ﷺ كان في المسجد فسمع كلامًا من ورائه فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضر)، وحديث: (يلتقي الخضر وإلياس كل عام)، وحديث: (يجتمع بعرفة جبريل وميكائيل والخضر) الحديث المفترى الطويل. سئل إبراهيم الحربي عن تعمير الخضر وأنه باق فقال: من أحال على غائب لم ينتصف منه وما ألقى هذا بين الناس إلا شيطان. وسئل البخاري عن الخضر وإلياس هل هما أحياء؟ فقال: كيف يكون هذا وقد قال النبي ﷺ: **(لا يبقى على رأس مئة سنة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد)**.

وسئل عن ذلك كثير غيرهما من الأئمة فقالوا: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وسئل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال: لو كان الخضر حيا لوجب عليه أن يأتي النبي ﷺ ويجاهد بين يديه ويتعلم منه وقد قال النبي ﷺ يوم بدر: اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض وكانوا

---

(١) المنار ص٦٤

(٢) المنار ص٦٦.

ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلا، معروفين بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم فأين كان الخضر حينئذ؟!»[١].

مثال آخر: «ومنها: مخالفة الحديث صريح القرآن كحديث مقدار الدنيا وأنها سبعة آلاف سنة ونحن في الألف السابعة، وهذا من أبين الكذب؛ لأنه لو كان صحيحًا لكان كل أحد عالمًا أنه قد بقي للقيامة من وقتنا هذا مئتان وأحد وخمسون سنة، والله تعالى يقول: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان: ٣٤]»[٢].

ومثال آخر: «ومنها: ما يقترن بالحديث من القرائن التي يعلم بها أنه باطل مثل حديث (وضع الجزية عن أهل خيبر) وهذا كذب من عدة وجوه:

أحدها: أنه فيه شهادة سعد بن معاذ، وسعد قد توفي قبل ذلك في غزوة الخندق.

ثانيها: أن فيه: وكتب معاوية بن أبي سفيان... هكذا، ومعاوية إنما أسلم زمن الفتح وكان من الطلقاء.

ثالثها: أن الجزية لم تكن نزلت حينئذ ولا يعرفها الصحابة ولا العرب، وإنما أنزلت بعد عام تبوك وحينئذ وضعها النبي ﷺ على نصارى نجران ويهود اليمن، ولم تؤخذ من يهود المدينة لأنهم وادعوه قبل نزولها ثم قتل من قتل منهم وأجلى بقيتهم إلى خيبر

---

(١) المنار ص٦٧، ص٦٨.

(٢) المنار ص٨٠.

وإلى الشام، وصالحه أهل خيبر قبل فرض الجزية، فلما نزلت آية الجزية استقر الأمر على ما كان عليه وابتدأ ضربها على من لم يتقدم له معه صلح، فمن هاهنا وقعت الشبهة في أهل خيبر.

رابعها: أن فيه وضع عنهم الكلف والسخر ولم يكن في زمانه كلف ولا سخر ولا مكوس.

خامسها: أنه لم يجعل لهم عهدًا لازمًا بل قال: نقركم ما شئنا فكيف يضع عنهم الجزية التي يصير لأهل الذمة بها عهد لازم مؤبد ثم لا يثبت لهم أمانًا لازمًا مؤبدًا.

سادسها: أن مثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله فكيف يكون قد وقع ولا يكون علمه عند حملة السنة من الصحابة والتابعين وأئمة الحديث وينفرد بعلمه ونقله اليهود.

سابعها: أن أهل خيبر لم يتقدم لهم من الإحسان ما يوجب وضع الجزية عنهم، فإنهم حاربوا الله ورسوله وقاتلوه وقاتلوا أصحابه وسلوا السيوف في وجوههم وسموا النبي ﷺ وآووا أعداءه المحاربين له المحرضين على قتاله، فمن أين يقع هذا الاعتناء بهم وإسقاط هذا الفرض الذي جعله الله عقوبة لمن لم يدن منهم بدين الإسلام؟!

ثامنها: أن النبي ﷺ لم يسقطها عن الأبعدين مع عدم معاداتهم له كأهل اليمن وأهل نجران فكيف يضعها عن جيرانه الأدنين مع شدة معاداتهم له وكفرهم وعنادهم، ومن المعلوم أنه كلما اشتد كفر الطائفة وتغلظت عداوتهم كانوا أحق بالعقوبة لا بإسقاط الجزية.

تاسعها: أن النبي ﷺ لو أسقط عنهم الجزية كما ذكروا لكانوا من أحسن الكفار حالًا، ولم يحسن بعد ذلك أن يشترط لهم إخراجهم من أرضهم وبلادهم متى شاء، فإن

أهل الذمة الذين يقرون بالجزية لا يجوز إخراجهم من أرضهم وديارهم ما داموا ملتزمين لأحكام الذمة، فكيف إذا روعي جانبهم بإسقاط الجزية وأعفوا من الصغار الذي يلحقهم بأدائها فأي صغار بعد ذلك أعظم من نفيهم من بلادهم وتشتيتهم في أرض الغربة، فكيف يجتمع هذا وهذا؟!

عاشرها: أن هذا لو كان حقًّا لما اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون والفقهاء كلهم على خلافه، وليس في الصحابة رجل واحد قال: لا تجب الجزية على الخيبرية لا في التابعين ولا في الفقهاء بل قالوا: أهل خيبر وغيرهم في الجزية سواء، وعارضوا بهذا الكتاب المكذوب وقد صرحوا بأنه كذب كما ذكر ذلك الشيخ أبو حامد والقاضي أبو الطيب والقاضي أبو يعلى وغيرهم، وذكر الخطيب البغدادي هذا الكتاب وبين أنه كذب من عدة وجوه، وأحضر هذا الكتاب بين يدي شيخ الإسلام وحوله اليهود يزفونه ويجلونه وقد غشي بالحرير والديباج، فلما فتحه وتأمله بزق عليه وقال: هذا كذب من عدة أوجه وذكرها، فقاموا من عنده بالذل والصغار»[1].

هكذا لم ينحصر دور علماء المسلمين في نقد السند فقط، بل إنهم كانوا يحاكمون المتن أيضًا طبقًا لقواعد منضبطة في سرد الرواية التاريخية.

مثال آخر: غزوة ذات الرقاع اختلف علماء السيرة في سنة حدوثها؛ بعد التحقيق وإعمال منهج محاكمة المتن تبين أنها وقعت في سنة ٧ هجرية، أي بعد غزوة خيبر حسب ما رجحه البخاري وابن القيم والذهبي ومال إليه ابن حجر العسقلاني وغيرهم.

---

(١) المنار ص١٠٢، ص١٠٣، ص١٠٤، ص١٠٥

وبيان ذلك: ذكر البخاري في صحيحه:«باب غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ. وَهْىَ غَزْوَةُ مُحَارِبِ خَصَفَةَ مِنْ بَنِى ثَعْلَبَةَ مِنْ غَطَفَانَ، فَنَزَلَ نَخْلًا. وَهْىَ بَعْدَ خَيْبَرَ، لأَنَّ أَبَا مُوسَى جَاءَ بَعْدَ خَيْبَرَ»[١]. وقال ابن حجر في الفتح: «هذه الغزوة اختلف فيها متى كانت، واختلف في سبب تسميتها بذلك. وقد جنح البخاري إلى أنها كانت بعد خيبر»[٢].

قال ابن القيم: «ولا خلاف بينهم أن غزوة عسفان كانت بعد الخندق، وقد صح عنه أنه صلى صلاة الخوف بذات الرقاع، فعلم أنها بعد الخندق وبعد عسفان، ويؤيد هذا أن أبا هريرة، وأبا موسى الأشعري شهدا ذات الرقاع، كما في الصحيحين عن أبي موسى؛ أنه شهد غزوة ذات الرقاع، وأنهم كانوا يلفون على أرجلهم الخرق لما نقبت»[٣].

وهناك دليل آخر ذكره أهل العلم: «وأما أبو هريرة ففي المسند والسنن أن مروان بن الحكم سأله: هل صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف؟ قال: نعم، قال: متى؟ قال: عام غزوة نجد. وهذا يدل على أن غزوة ذات الرقاع بعد خيبر، وأن من جعلها قبل الخندق فقد وهم وهمًا ظاهرًا»[٤]. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ [الإسراء: ٢٦]: «وقال أبو بكر البزار: حدثنا عباد بن يعقوب، حدثنا أبو يحيى التيمي، حدثنا فُضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فدك. ثم قال: لا نعلم حدث به عن

(١) البخاري: كتاب المغازي الباب رقم ٣٢ الحديث رقم ٤١٢٥.

(٢) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري مج٨ص١٧٩.

(٣) ابن القيم: زاد المعاد ج٢ ص١٥٤.

(٤) ابن القيم: زاد المعاد ج٢ ص١٥٤.

فضيل بن مرزوق إلا أبو يحيى التيمي، وحميد بن حماد بن أبي الخُوَار»[١].

قال ابن كثير: «وهذا الحديث مشكل لو صح إسناده؛ لأن الآية مكية، وفدك إنما فتحت مع خيبر سنة سبع من الهجرة، فكيف يلتئم هذا مع هذا؟! فهو إذًا حديث منكر، والأشبه إنه من وضع الرافضة. والله أعلم»[٢].

هكذا كان يحاكم علماء المسلمين المتن ولم يعتمدوا على نقد السند فقط؛ لكن هذا لا يعني أن منهج نقد المتن أخذ نفس القدر من الاهتمام المعمول به في نقد السند، فهناك كتب لتراجم الرجال من المهد إلى اللحد، وكتب للوفيات، وأخرى للجرح والتعديل.

أما نقد المتن فلم يأخذ نفس القدر من العناية، وذلك لعدة أسباب:

أولًا: الرواية التاريخية وخاصة في مجال السيرة النبوية بمثابة شهادة، والشهادة تحتاج إلى تزكية وتوثيق، لذلك لابد من الاطمئنان إلى دين وعدالة الراوي كي تقبل روايته، مع بقية الشروط والتحفظات والاحترازات المدونة في مظان كتب المصطلح.

ثانيًا: الرواية في مجال السيرة النبوية تحتاج إلى حيطة وحذر نظرًا لتعبد المسلم بقول أو فعل أو تقرير رسول الله ﷺ، ومن ثم شدد علماء المسلمين في تمحيص السند خشية الوقوع تحت طائلة الوعيد كما ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه : **«مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»**.

ثالثًا: الدين الإسلامي له منطلقات تختلف والمنظومة الغربية؛ فالإسلام يهتم بالنبوة

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم / تحقيق د. محمد إبراهيم البنا / دار ابن حزم / بيروت ط١ سنة ١٤١٩هـ / ج٥ ص٢٠٨٥.

(٢) ابن كثير: السابق ج٥ ص٢٠٨٥.

وبالغيب وبالقيم وبتصورات لا تتفق والتفسير المادي للتاريخ الذي يطلق العنان للعقل في الحكم على الرواية.

من منطلق ما سبق نشرع في توضيح هذه القضية (خطورة تطبيق المنهج الغربي في مرويات السيرة النبوية) على النحو التالي:

إن إعمال وتطبيق المنهج الغربي على مرويات السيرة النبوية يصطدم ومنطلقات الإسلام ويؤدي إما إلى إنكار الرواية الصحيحة السند وإما تأويل متعسف وشطحات فكرية وزندقة وإلحاد!!. فعلى سبيل المثال: ماذا عسى أنصار مذهب نقد المتون حسب مقاييس المنظومة الغربية أن يقولوا إزاء حديث الذباب.

حديث الذباب: روى البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق عن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ، ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ، فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً وَالأُخْرَى شِفَاءً**»[1].

فإذا طبقنا منهج نقد المتون على الطريقة الغربية فإن النتيجة هي رفض الرواية؛ لأنها لا تتفق والتفسير المادي والقبول العقلي!. وللأسف الشديد فقد تسرب هذا المنهج إلى عقول بعض علماء المسلمين فرفضوا الرواية السابقة وطعنوا في الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه ؛ لأن أذواقهم لم تتقبل متن الحديث!!

---

(١) البخاري في كتاب بدء الخلق عن أبي هريرة رقم الحديث ٣٣٣٢٠. وذكره البخاري أيضاً في كتاب الطب رقم الحديث ٥٧٨٢. وأبو داود في الأطعمة برقم ٣٨٤٦. وفي النسائي عن أبي سعيد الخدري برقم ٤٢٧٩. وعند ابن ماجه في الطب عن أبي سعيد الخدري برقم ٣٦٣٣. وعند أحمد مسند أبي هريرة برقم ٧٣٤٠. وأيضاً عن أحمد مسند أبي سعيد الخدري رقم ١١٤٩٠.

يقول الشيخ محمد الغزالي: «وقد روى البخاري أحاديث صحيحة السند لكن أئمة الفقه عملوا بغيرها لأدلة أقوى عندهم منها.. وأنا شخصيًّا متوقف في هذا الحديث، لم أنته فيه إلى حكم حاسم، وعلى أية حال فهو لا يتعلق بسلوك خاص أو عام»[١].

ثم يقرر في هامش قذائف الحق: «وحديث الآحاد ليس مصدر عقيدة شريعة أو حكم قاطع، بيد أني من باب استكمال البحث العلمي فقط أسأل: هل الحديث مردود؟ إن بعض علماء الحشرات قرر أن هذه الحشرة تفرز الشيء والشيء المضاد له، فإن استقر هذا الرأي الفني فالحديث صحيح، وإن ثبت قطعًا أن الذباب مؤذٍ في جميع الأحوال التي تعرض له ومن بينها الحالة المروية في الحديث رددته دون غضاضة»[٢].

أقول: هكذا يقرر الشيخ الغزالي أن الحكم على الحديث النبوي الصحيح المسند الذي لا يقبله عقله ولا ذوقه!! مرهون برأي علماء الحشرات أو علماء المختبرات الحديثة!!

الحق الذي ندين به أنه لا يهمنا أن يؤكد لنا علماء الغرب صحة ما قاله الرسول ﷺ أو ينفوه! فالأمة الإسلامية طبقت وعملت بحديث الرسول ﷺ قبل هذه الأبحاث وهذه الشهادات بأربعة عشر قرنًا!!

وقد سبق العلامة محمد بن علي الشوكاني المتوفى ١٢٥٥هـ العلماء الغربيين حيث

---

(١) محمد الغزالي: قذائف الحق / دار القلم / دمشق طبعة أولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩١م ص١٤٩.

(٢) الغزالي: قذائف الحق ص ١٤٩.

ذكر: «والفائدة في الأمر يغمسه جميعًا هي أن يتصل ما فيه من الدواء بالطعام أو الشراب كما اتصل به الداء فيتعادل الضار والنافع فيندفع الضرر»[١]. هكذا يكون الاستمساك بالسند قد شهد بصحة المتن رغم رفضنا التفسير المادي للرواية طبقًا لمنهج النقد التاريخي الغربي.

ومثال آخر: حديث جابر رضي الله عنه في غزوة الخندق وطعام ألف رجل من بهيمة داجن! والحديث كما رواه البخاري كتاب المغازي: «حدثني عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ أَخْبَرَنَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ أَخْبَرَنَا سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله ﭬ قَالَ: لَمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رَأَيْتُ بالنبي ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا، فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شيء؟ فإني رَأَيْتُ بِرَسُولِ الله ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا. فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْتُهَا، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي، وَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا، ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَتْ: لاَ تفضحني بِرَسُولِ الله ﷺ وَبِمَنْ مَعَهُ. فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا وَطَحَنَّا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا، فَتعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ. فَصَاحَ النبي ﷺ فَقَالَ: «**يَا أَهْلَ الخَنْدَقِ، إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا فَحَيَّ هَلًا بِكُمْ**». فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لاَ تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ، وَلاَ تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ**». فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ. فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الذي قُلْتِ. فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينًا، فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ ثُمَّ قَالَ: «**ادْعُ خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ معي وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلاَ تُنْزِلُوهَا، وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِالله لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هي، وَإِنَّ**

(١) الشوكاني: نيل الأوطار / دار الجيل بيروت ص٥٥.

عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ»[١].

أقول: الشاهد أن جيشًا تعداده ألف رجل أكل من طعام لا يكفي إلا بعدد لا يجاوز أصابع اليد الواحدة أو اليدين على الأكثر! وقد جاء في الرواية السابقة أن الرسول ﷺ (بصق) بريقه الشريف في العجين والبرمة التي فيها اللحم.

فطبقًا للمنهج العقلاني والتفسير المادي الغربي فإن هذه الرواية لن يقبلوها وإن كانت في صحيح البخاري ومسلم. فأخبار المعجزات وخوارق العادات لا يعترف بها أنصار منهج نقد المتن حسب المنظومة الغربية. فإذا أنزلنا هذا المنهج النقدي بإطلاقه على هذه الرواية وغيرها فإننا سنرفض معظم المرويات التي تثبت بعض المعجزات وخوارق الناموس؛ ومن ثم سيجرنا هذا المنهج الغربي إلى نفي النبوة ذاتها والعياذ بالله!.

فهل سيقبل أنصار هذا المنهج الغربي في نقد المتون رواية صياح النخلة أو أنين الجذع؟! روى البخاري في صحيحه في كتاب البيوع: **«حَدَّثَنَا خَلاَّدُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ بْنُ أَيْمَنَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﭬ أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ قَالَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ: يَا رَسُولَ الله، أَلاَ أَجْعَلُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ؟ فَإِنَّ لِي غُلاَمًا نَجَّارًا. قَالَ: «إِنْ**

(١) البخاري في كتاب المغازي الحديث رقم ٤١٠٢ ومسلم في كتاب الأشربة الحديث رقم ٥٤٣٦. قال النووي شارحاً بعض المفردات في حديث جابر رضي الله عنه : «انكفأت: انقلبت ورجعت. والبهيمة: بضم الباء تصغير بهمة وهي العناق بفتح العين والداجن: هي التي ألفت البيت. والسؤر: الطعام الذي يدعى الناس إليه؛ وهو بالفارسية. حيهلا: أي تعالوا. وقولها: بك وبك: أي خاصمته وسبته لأنها اعتقدت أن الذي عندها لا يكفيهم فاستحيت وخفي عليها ما أكرم الله سبحانه وتعالى به نبيه ﷺ من المعجزة الظاهرة والآية الباهرة. بسق: أي بصق، ويقال أيضاً: بزق -ثلاث لغات- وعمد بفتح الميم: أي قصد. واقدحي: أي أي اغرقي؛ والمقدحة: المفرقة. ويغط: أي لغليانها صوت والله أعلم» أهـ (النووي: رياض الصالحين/ تحقيق الألباني/ المكتب الإسلامي/ ط٢ ص٢٣٠، ص٢٣١.

شِئْتِ». قَالَ: فَعَمِلَتْ لَهُ المِنْبَرَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ قَعَدَ النبي ﷺ عَلَى المِنْبَرِ الذي صُنِعَ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ التي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا حَتَّى كَادَتْ أَنْ تَنْشَقَّ، فَنَزَلَ النبي ﷺ حَتَّى أَخَذَهَا فَضَمَّهَا إِلَيْهِ، فَجَعَلَتْ تَئِنُّ أَنِينَ الصبي الذي يُسَكَّتُ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ. قَالَ: «**بَكَتْ عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ**»[(١)]. وهل سيقبل أنصار المنهج الغربي في نقد المتون رواية نبع الماء بين أصابع النبي ﷺ وتسبيح الطعام وهو يؤكل؟! وهل سيقبلون رواية انشقاق القمر في عهد النبي ﷺ؟!

أما رواية نبع الماء بين أصابعه الشريفة ﷺ فقد رواها البخاري في صحيحه في الوضوء، ومسلم في الفضائل. ففي البخاري: «حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النبي ﷺ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ، فَأُتِيَ بِقَدَحٍ رَحْرَاحٍ فِيهِ شيء مِنْ مَاءٍ، فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ فِيهِ. قَالَ أَنَسٌ: فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى المَاءِ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، قَالَ أَنَسٌ: فَحَزَرْتُ

---

(١) البخاري كتاب البيوع الحديث رقم ٢٠٩٥. وفي البخاري أيضاً في كتاب المناقب: «حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِى أَخِى عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلاَلٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ قَالَ أخبرني حَفْصُ بْنُ عُبَيْدِ الله بْنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله ﭬ يَقُولُ كَانَ المَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ فَكَانَ النبي ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ المِنْبَرُ، وَكَانَ عَلَيْهِ فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ العِشَارِ، حَتَّى جَاءَ النبي ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ». البخاري الحديث رقم ٣٥٨٤. وعند ابن ماجه في سننه بالنص التالي: «حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الله الرَّقِّىُّ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ الله بْنُ عَمْرٍو الرَّقِّىُّ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ عَنِ الطُّفَيْلِ بْنِ أُبَىِّ بْنِ كَعْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُصَلِّى إِلَى جِذْعٍ إِذْ كَانَ المَسْجِدُ عَرِيشًا وَكَانَ يَخْطُبُ إِلَى ذَلِكَ الجِذْعِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ هَلْ لَكَ أَنْ نَجْعَلَ لَكَ شَيْئًا تَقُومُ عَلَيْهِ يَوْمَ الجُمُعَةِ حَتَّى يَرَاكَ النَّاسُ وَتُسْمِعَهُمْ خُطْبَتَكَ قَالَ «نَعَمْ». فَصَنَعَ لَهُ ثَلاَثَ دَرَجَاتٍ فهي التي عَلَى المِنْبَرِ فَلَمَّا وُضِعَ المِنْبَرُ وَضَعُوهُ في مَوْضِعِهِ الذي هُوَ فِيهِ فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يَقُومَ إِلَى المِنْبَرِ مَرَّ إِلَى الجِذْعِ الذي كَانَ يَخْطُبُ إِلَيْهِ فَلَمَّا جَاوَزَ الجِذْعَ خَارَ حَتَّى تَصَدَّعَ وَانْشَقَّ فَنَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ لَمَّا سَمِعَ صَوْتَ الجِذْعِ فَمَسَحَهُ بِيَدِهِ حَتَّى سَكَنَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى المِنْبَرِ فَكَانَ إِذَا صَلَّى صَلَّى إِلَيْهِ فَلَمَّا هُدِمَ المَسْجِدُ وَغُيِّرَ أَخَذَ ذَلِكَ الجِذْعَ أُبَىُّ بْنُ كَعْبٍ وَكَانَ عِنْدَهُ في بَيْتِهِ حَتَّى بَلِىَ فَأَكَلَتْهُ الأَرَضَةُ وَعَادَ رُفَاتًا». ابن ماجه الحديث رقم ١٤٧٩.

مَنْ تَوَضَّأَ مَا بَيْنَ السَّبْعِينَ إِلَى الثَّمَانِينَ»[١].

وفي كتاب الأشربة عند البخاري: «حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنِ الأَعْمَشِ قَالَ: حدثني سَالِمُ بْنُ أَبِى الجَعْدِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ؓ هَذَا الحَدِيثَ قَالَ: قَدْ رأيتني مَعَ النبي ﷺ وَقَدْ حَضَرَتِ العَصْرُ وَلَيْسَ مَعَنَا مَاءٌ غَيْرَ فَضْلَةٍ فَجُعِلَ في إِنَاءٍ، فَأُتِيَ النبي ﷺ بِهِ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ وَفَرَّجَ أَصَابِعَهُ ثُمَّ قَالَ: «**حي عَلَى أَهْلِ الوُضُوءِ، البَرَكَةُ مِنَ الله**». فَلَقَدْ رَأَيْتُ المَاءَ يَتَفَجَّرُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ وَشَرِبُوا، فَجَعَلْتُ لاَ آلُو مَا جَعَلْتُ في بطني مِنْهُ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ بَرَكَةٌ. قُلْتُ لِجَابِرٍ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ»[٢].

أما تسبيح الطعام: روى البخاري في صحيحه: «حدثني مُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ الزبيري حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ الله قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ الآيَاتِ بَرَكَةً وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا، كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ في سَفَرٍ فَقَلَّ المَاءُ فَقَالَ: «**اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ**». فَجَاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ في الإِنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «حي عَلَى الطَّهُورِ المُبَارَكِ، وَالْبَرَكَةُ مِنَ الله» فَلَقَدْ رَأَيْتُ المَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابعِ رَسُولِ الله

---

(١) البخاري: كتاب الوضوء الحديث رقم ٢٠٠. وفي مسند أحمد: ١٣٠٦٤- حَدَّثَنَا عَبْدُ الله حَدَّثَنِى أَبِى حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ - يَعْنِى ابْنَ المُغِيرَةِ - عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قُلْتُ حَدِّثْنَا بِشَىْءٍ شَهِدْتَهُ مِنْ هَذِهِ الأَعَاجِيبِ لاَ تُحَدِّثْنَا بِهِ عَنْ غَيْرِكَ. قَالَ صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ الظُّهْرَ وَقَعَدَ عَلَى المَقَاعِدِ التي كَانَ يَأْتِيهِ عَلَيْهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ. قَالَ فَجَاءَ بِلاَلٌ فَآذَنَهُ بِصَلاَةِ العَصْرِ فَقَالَ «مَنْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ بَعِيدٌ بِالمَدِينَةِ لِيَقْضِىَ حَاجَتَهُ وَيُصِيبَ مِنَ الوَضُوءِ». وَبَقِىَ نَاسٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ أَهْلُونَ بِالمَدِينَةِ. قَالَ فَأُتِىَ رَسُولُ الله ﷺ بِقَدَحٍ أَرْوَحَ في أَسْفَلِهِ شيء مِنْ مَاءٍ. قَالَ فَوَضَعَ رَسُولُ الله ﷺ كَفَّهُ في القَدَحِ فَمَا وَسِعَتْ كَفَّهُ فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ هَؤُلاَءِ الأَرْبَعَ ثُمَّ قَالَ «ادْنُوا فَتَوَضَّئُوا». قَالَ فَتَوَضَّئُوا حَتَّى مَا بَقِىَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلاَّ تَوَضَّأَ. فَقُلْنَا يَا أَبَا حَمْزَةَ كَمْ تُرَاهُمْ كَانُوا قَالَ بَيْنَ السَّبْعِينَ إِلَى الثَّمَانِينَ. مسند أحمد الحديث رقم ١٣٠٦٤.

(٢) البخاري: كتاب الأشربة الحديث رقم ٥٦٣٩.

ﷺ، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهْوَ يُؤْكَلُ»[١].

وأما رواية انشقاق القمر: روى البخاري في صحيحه: «حدثني عَبْدُ الله بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا يُونُسُ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ. وَقَالَ لِي خَلِيفَةُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ الله ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ»[٢].

وعند مسلم: «حدثني زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالاَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ الله ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ مَرَّتَيْنِ»[٣].

أقول: إن إعمال المنهج الغربي في نقد المتون يصطدم والإسلام كمنظومة متكاملة، ففي العبادات هناك عبادة معقولة المعنى؛ كالوضوء، وعبادة غير معقولة المعنى؛ كالتيمم والمسح على الخفين من أعلى القدمين، وعدد ركعات الصلوات وغيرها. وهناك معجزات حدثت في عهد النبي ﷺ كالإسراء والمعراج ونزول الملائكة وقتالهم مع المسلمين في غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة. هكذا فإن عددًا كبيرًا من الأحاديث ومرويات السيرة النبوية الصحيحة بل والمتواترة سيرفضها أنصار المذهب الغربي في نقد المتون أو ما يسمى غربيًا Historical Method ومن ثم سنجد دينًا

(١) البخاري: المناقب الحديث رقم ٣٥٧٩.
(٢) البخاري: المناقب الحديث رقم ٣٦٣٧.
(٣) مسلم: صفة القيامة والجنة والنار الحديث رقم ٧٢٥٤.

عديم النفع! دينًا بلا روح أو بمعنى آخر لن يكون هناك دين بالمعنى الحقيقي! سنجد دينًا غير الدين الذي ارتضاه الله لنا وأرسل رسوله محمدًا ﷺ وتلقته الأمة بالقبول جيلًا إثر جيل!! فطبقًا لهذا المنهج الغربي في نقد المتن سنجد دينًا مشوهًا مبتورًا لا يمت للإسلام والدين الحنيف بصلة!.. وهذا ما يريده أعداء الإسلام لطمس هوية ديننا.. فكما دمروا وحرفوا وأنكروا الإنجيل والتوراة يريدون أن يمارسوا نفس الدور تحت عباءة البحث العلمي.. ولكن هيهات هيهات! فالله حافظ دينه وهذه مدرسة نقد السند واقفة لهم بالمرصاد.. ومهما تسرب منهج النقد الغربي للمتون إلى عقول بعض المسلمين فلن يفلحوا إن شاء الله في ليِّ عنق النصوص ووأد مرويات السيرة النبوية؛ لأن منهج علم الرجال سيدمغ محاولاتهم الهدامة.

المصدر الثالث: كتب الشمائل

أولًا: المقصود بكتب الشمائل.

ثانيًا: نبذة عن أول من ألف في الشمائل مع عرض لعينة من هذه الكتب.

ثالثًا: صفوة القول.

أولًا: المقصود بكتب الشمائل:

كتب الشمائل هي التي تعنى بأخلاق النبي ﷺ وعاداته وآدابه وفضائله وسلوكه الخاص والعام مع أزواجه وأهل بيته ومع أصحابه رضوان الله عليهم.

«ومعرفة شمائله عليه الصلاة والسلام وسيلة إلى امتلاء القلب بتعظيمه، وذلك وسيلة إلى تعظيم شريعته، وتعظيم الشريعة واحترامها وسيلة إلى العمل بها، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وهذا وسيلة السعادة والفوز برضوان الله تعالى. كما أن معرفة شمائله سبب لمعرفة حسنه وإحسانه ﷺ، وذلك داع إلى محبته، ومحبته عليه الصلاة والسلام هي روح الإيمان. وقال عليه الصلاة والسلام: (**المرء مع من أحب**)»[١].

ونستطيع أن نجد هذه الشمائل النبوية مبثوثة في كتب أهل الحديث كالبخاري (ت٢٥٦هـ) الذي ذكر في صحيحه كتاب الأدب وكتاب الاستئذان، وكتاب اللباس.

(١) البغوي: محيي السنة الحسين بن مسعود البغوي المتوفى ٥١٦هـ/ تحقيق العلامة الشيخ إبراهيم اليعقوبي/ دار المكتبي/ دمشق/ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م/ من مقدمة المحقق ص٣٦

ونجد هذه الشمائل في صحيح مسلم (ت٢٦١هـ) في كتاب البر والصلة والآداب وكتاب فضائل النبي ﷺ وكتاب اللباس والزينة وكتاب الزهد والرقائق. كما نجدها في سنن الترمذي (ت ٢٧٩هـ) في أبواب البر والصلة وأبواب الاستئذان. ومن أراد المزيد فليرجع إلى سنن ابن ماجه (ت٢٧٥هـ) في كتاب الأدب وكتاب الزهد..إلخ.

يمكن تعريف الشمائل كما في دستور العلماء للأحمد نكري: «الشمائل: الخصال الحميدة، والطباع الحسنة، جمع شميلة كالشمائم جمع شميمة والكرائم جمع كريمة. وقيل: جمع شمال بالكسر وهو الخُلق بالضم، يقال: فلان كريم الشمائل. والخُلْق بالضم وسكون الثاني: السجية والطبيعة وهو مختص بالصفات الباطنية. وقد ذكر في كتاب الشمائل للترمذي الصفات الظاهرة أيضًا وجعلت تابعة لأخلاقه ﷺ»(١).

ثانيًا: نبذة عن أول من ألف في الشمائل مع عرض لعينة من هذه الكتب:

يعتبر أبو البختري وهب بن منبه (ت٢٠٠هـ) أقدم من أفرد كتابًا مستقلًّا في شمائل النبي ﷺ حيث سماه (صفة النبي ﷺ) ثم الحافظ أبو الحسن علي بن محمد المدائني (ت٢٧٠هـ) في كتابه (صفة أخلاق النبي ﷺ).. وكتاب (أخلاق النبي) لأبي بكر محمد بن عبد الله الوراق المتوفى ٢٤٩هـ.

لكن أشهر كتاب ألف في شمائل النبي ﷺ وحمل نفس الاسم هو كتاب (الشمائل النبوية والخصائص المصطفوية) للحافظ الإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ).

---

(١) عن مقدمة كتاب الأنوار في شمائل النبي المختار للبغوي ص٣٤

وبالإضافة إلى ما سبق هذه مجموعة من الكتب التي تناولت شمائل النبي ﷺ وأخلاقه على النحو التالي:

كتاب أخلاق النبي ﷺ: لإسماعيل القاضي المالكي المتوفى ٢٨٢هـ ذكره السخاوي في الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ.

وكتاب أخلاق النبي: لأبي حاتم محمد بن حبان البستي المتوفى ٣٥٤هـ.

وكتاب أخلاق النبي ﷺ وآدابه: لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان الأصفهاني المعروف بأبي الشيخ المتوفى ٣٦٩هـ.

وكتاب شمائل النبي: لأبي العباس جعفر بن محمد بن المعتز بن محمد بن إدريس المستغفري ت٤٣٢هـ.

وكتاب الأنوار في شمائل النبي المختار: لمحيي السنة الحسين بن مسعود البغوي المتوفى ٥١٦هـ.

وكتاب الشمائل بالنور الساطع الكامل: لأبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن الضحاك الفزاري المعروف بابن المقري الغرناطي المتوفى ٥٥٢هـ «صنف كتاب الشمائل هذا في أربعة أسفار، وقسمه إلى عشرين قسمًا كلها في شمائل النبي ﷺ وسيره وأخلاقه وأوصافه، أوله: (الحمد لله الذي جعل الدنيا طريقًا للآخرة..) ذكره حاجي خليفة، وإسماعيل باشا البغدادي، والكتاني»[1].

وكتاب مطالع الأنوار في شمائل المختار: للحافظ محمد بن عتيق الأزدي الغرناطي المتوفى ٦٤٦هـ.

(١) عن مقدمة كتاب الأنوار في شمائل النبي المختار للبغوي ص٣٤ ذكره الكتاني في الرسالة المستطرفة ص ١٠٥.

وكتاب زواهر الأنوار وبواهر الأبصار والاستبصار في شمائل النبي المختار: ليحيى بن يوسف بن يحيى الصرصري المتوفى ٦٥٦هـ.

وكتاب شمائل الرسول للحافظ ابن كثير ت٧٧٤هـ وهو مطبوع الآن بتحقيق طه عبد الرءوف سعد، ومطبوع أيضًا في البداية والنهاية.

وكتاب زهر الخمائل على الشمائل: للحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى ٩١١هـ، وهو مختصر الشمائل للترمذي.

وكتاب الروض الباسم في شمائل المصطفى أبي القاسم: لزين الدين محمد بن عبد الرءوف المناوي المتوفى ١٠٣١هـ وهو اختصار للشمائل المحمدية للترمذي مع زيادات.

وكتاب كشاف اللثام عما جاء من الأحاديث النبوية في شمائل المصطفى عليه الصلاة والسلام: لمحمد بن محمد الروضي المالكي، وقد فرغ منه ١١٠٣هـ كما ذكر الخالدي في مقدمته للشمائل المحمدية.

وكتاب الوسيلة العظمى في شمائل المصطفى خير الورى: لبير محمد دَدَه بن مصطفى ١١٤٦هـ.

وكتاب روضة النبي في الشمائل: لحبيب الله القنوجي المتوفى ١١٤٠هـ.

وكتاب عنوان الفضائل في تلخيص الشمائل: لمحمد بن مصطفى البكري المتوفى ١١٦٩هـ.

وكتاب فتيا السائل في اختصار الشمائل: لمحمد بن جعفر الكتاني المتوفى ١٣٤٥هـ.

وكتاب وسائل الوصول إلى شمائل الرسول: ليوسغ بن إسماعيل النبهاني المتوفى ١٣٥٠هـ.

ونظرًا لأن كتاب الترمذي من أقدم الكتب المطبوعة والمتوافرة في المكتبات فسنلقي

الضوء عليه ثم بعض الكتب التي لها علاقة بموضوع الشمائل على النحو التالي:

الأول: كتاب (الشمائل المحمدية) للترمذي وأهميته:

لقد اهتم الشراح والعلماء قديمًا وحديثًا بهذا الكتاب لأهميته ولأوليته كأنموذج من نماذج كتب الشمائل النبوية؛ منهم من علق وشرح وأفاض ومنهم اختصره اختصارًا غير مخلٍّ. فمن المراجع التي شرحت كتاب الشمائل للترمذي:

«١- شرح العلامة عصام الدين الإسفراييني الشافعي، ذكره العلامة المناوي في مقدمة شرحه على الشمائل فقال عنه: فأتى بما لم يسبق إليه كشف النقاب على أسرار الكتاب، ولكنه أكثر من الاحتمالات العقلية في هذا الفن الذي هو من الفنون النقلية على ما هو عليه من عدم إلمامه بالأحكام الفرعية، وربما أورد من المباحث ما لا تجول فيه الأفهام حتى عد عليه من السقطات والأوهام. اهـ.

٢- شرح الشمائل للحافظ أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي المتوفى ٩٧٣هـ، وعنه قال الشيخ المناوي: فأطال وأطاب ولكن بعد الانتهاب من ذلك الكتاب أزال رونق المتن باختصاره على ما زعم أنه المهم من الباب مع ما هو عليه من الشغف بالتعقب بما ليس بكبير أمر تارة، وأخرى من محض التعصب. اهـ.

٣- شرح الشمائل للمناوي: وهو شرح مختصر، غير أنك تجد في بعض مواضع الكتاب إطنابًا لا يتناسب ومنهج المؤلف.

٤- جمع الوسائل في شرح الشمائل، للشيخ علي بن سلطان محمد القارئ لمتوفى ١٠١٤هـ، وهو شرح مطول أكثر فيه شارحه من عرض المسائل الفقهية وتكرارها من غير ضرورة، حتى إن القارئ ليجد صعوبة في الحصول على صورة واضحة للنبي ﷺ،

والله تعالى أعلم.

٥- المواهب اللدنية عل الشمائل المحمدية: لإبراهيم بن محمد الباجوري المتوفى ١٢٧٧هـ.

٦- الفوائد البهية على الشمائل المحمدية: لمحمد بن القاسم المغربي ابن الجسّوس، فرغ منه سنة ١٢٠٠هـ.

٧- الوفا لشرح شمائل المصطفى: لعلي بن إبراهيم الحلبي صاحب السيرة الحلبية المتوفى ١٠٤٤هـ.

٨- تحفة الأخيار على شمائل المختار: لأبي الحسن علي بن محمد الحريشي الفاسي المتوفى ١١٤٢هـ.

٩- شرح الشمائل للترمذي: لإبراهيم بن محمد بن عربشاه المتوفى ٩٤٣هـ.

١٠- شرح الشمائل للترمذي: لزين الدين محمد بن عبد الرءوف بن علي المناوي المتوفى ١٠٣١هـ.

١١- شرح الشمائل للترمذي: لسلطان بن أحمد المصري المزاجي المتوفى ١٠٧٥هـ.

١٢- شرح الشمائل: لعبد الله نجيب العينتابي شارح الشفا المتوفى ١٢١٩هـ.

١٣- شرح الشمائل: لمحمود بن عبد المحسن الدمشقي المتوفى ١٣٢١هـ.

١٤- المختصر في الشمائل المحمدية وشرحها: للأستاذ محمود سامي بك.

١٥- أوصاف النبي للإمام الترمذي: تحقيق سميح عباس/ دار الجيل/ بيروت.

أقول: هناك فريق من المعاصرين الذين قاموا باختصار وتحقيق كتاب الشمائل للترمذي مثل الأستاذ عزت عُبيد الدعاس طبعه بحمص أول مرة سنة ١٣٨٨هـ الموافق

١٩٦٨م، ثم طبعته دار الحديث ببيروت سنة ١٤٠٥هـ الموافق ١٩٨٥م وطبعة ثالثة سنة ١٤٠٨هـ الموافق ١٩٨٨م. وفي سنة ١٩٥٠ طبع في مصر وكتاب (المختصر في الشمائل) للأستاذ محمود سامي بك، ومختصر الشمائل المحمدية تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني المكتبة الإسلامية عمان الأردن طبعة ١٤٠٥هـ الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ. وكتاب شمائل النبي ﷺ تحقيق الشيخ ماهر ياسين فحل بإشراف الدكتور بشار عواد معروف دار الغرب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠م.

و كتاب الشمائل المحمدية ومعه المواهب اللدنية على الشمائل المحمدية لشيخ الأزهر إبراهيم بن محمد الباجوري الشافعي المتوفى سنة ١٢٧٧هـ بتحقيق محمد عوامة الطبعة الأولى لسنة ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١م. وكتاب الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية تحقيق سيد بن عباس الجليمي المكتبة التجارية بمكة المكرمة طبعة أولى ١٤١٣هـ الموافق ١٩٩٣م.

ونشرت دار الكتب العلمية ببيروت عام ١٤١٦هـ نفس شمائل الترمذي بعنوان (الشمائل المحمدية) بتحقيق محمد عبد العزيز الخالدي. وكتاب الشمائل المحمدية بتحقيق أبي الفوارس أحمد فريد المزيدي طبعة مكتبة التوفيقية بالقاهرة سنة ١٤١٨هـ.

إطلالة على محتويات كتاب الشمائل للترمذي:

لقد جمع الترمذي ٣٩٧ حديثًا وبعض النسخ ٤١٧ حديثًا في شمائل النبي ﷺ وقسمها على ٥٦ بابًا. والسبب في اختلاف عدد الأحاديث يرجع إلى أن بعض المحققين يقسم الحديث الواحد إلى روايتين ويعطي لكل رواية رقمًا مستقلًا.

بدأ كتابه بباب (ما جاء في خَلْق النبي ﷺ) وشمل أربعة عشر حديثًا؛ وفي نسخة أخرى بتحقيق الخالدي (خمسة عشر حديثًا)؛ (يصف النبي ﷺ؛ طوله، لون بشرته، وجهه شعره عليه الصلاة والسلام).

نختار أنموذجًا من ذلك وهو أول حديث استهل به كتابه: فقد ساق الترمذي بسنده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير، ولا بالأبيض الأمهق، ولا بالآدم، ولا بالجعد القطط، ولا بالسبط، بعثه الله على رأس أربعين سنة، فأقام بمكة عشر سنين، وبالمدينة عشر سنين، وتوفاه الله على رأس ستين سنة، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء»[١].

وفي باب (ما جاء في فراش النبي ﷺ) ساق الترمذي بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إنما كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه من أدم، حشوه ليف»[٢].

وفي باب (ما جاء في خُلق رسول الله ﷺ) حديث أنس رضي الله عنه : «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أفٍّ قطُّ، وما قال لشيء صنعتُهُ: لم صنعتَهُ، ولا لشيء تركتُه لم تركتَهُ، وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلُقًا، ولا مسستُ خزًّا ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألين من كفّ رسول الله ﷺ، ولا شممتُ مسكًا قطُّ، ولا

(١) الترمذي: الشمائل المحمدية: تحقيق أبي الفوارس أحمد فريد المزيدي / التوفيقية القاهرة/ ص١٥.

(٢) الشمائل:ص٢٢٥.

عطرًا كان أطيبَ من عَرَق رسول الله ﷺ»[١].

ويفتح لنا الترمذي بابًا آخر وهو (باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ) ويسوق بسنده عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ لي أسماءَ؛ أنا محمدٌ، وأنا أحمدُ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبيٌّ»[٢].

وفي بيت رسول الله ﷺ (ما جاء في عيش رسول الله ﷺ) حديث سماك بن حرب قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: «ألستم في طعام وشراب ما شئتم؟ لقد رأيتُ نبيَّكم ﷺ وما يجد من الدَّقل ما يملأ بطنه» وحديث عائشة رضي الله عنها : «كنا آل محمد نمكث شهرًا ما نستوقد بنار، إن هو إلا التمرُ والماءُ»[٣].

ثم ندخل باب فراق الحبيب ﷺ (باب ما جاء في وفاة رسول الله ﷺ) ساق الترمذي بسنده إلى سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «آخرُ نظرة نظرتُها إلى رسول الله ﷺ، كشف الستارة يوم الاثنين، فنظرت إلى وجهه كأنه ورقةُ مُصحف، والناس خلف أبي بكر، فأشار إلى الناس: أن اثبتوا، وأبو بكر يؤمهم، وألقى السَّجْفَ، وتوفي من آخر ذلك اليوم»[٤].

---

(١) الشمائل: ص٢٣٧.

(٢) الشمائل/ ص٢٥١.

(٣) الشمائل/ ص٢٥٣.

(٤) الشمائل/ ص٢٦٣.

ويختم الترمذي كتابه بأثر ساقه عن عبد الله بن المبارك قال: «إذا ابتُليتَ بالقضاء فعليك بالأثر» (الشمائل/ ص٢٨٠) ثم يأتي إلى الحديث رقم ٣٩٧ وهو آخر حديث في كتاب الشمائل: عن ابن سيرين قال: «هذا الحديثُ دينٌ، فانظروا عمّن تأخذون دينكم»[١].

وفي تعليق على هذين الأثرين يقول الأستاذ سميح عباس: «هذا الأثران أخرجهما الترمذي ليختم بهما الكتاب وهذا شبيه بما فعل البخاري في صحيحه إذ ابتدأه بحديث: إنما الإعمال بالنيات. والترمذي أراد أن ينبه القارئ إلى أن يتمسك بالأثر وأصحابه فلا يأخذ العلم أو الحديث إلا مسندًا، كما أن عليه أن يدقق في رجال الإسناد، فلا يأخذ إلا عن ثقة حافظ حديثَ النبي ﷺ ويترك الضعفاء والمتروكين والكذابين، لأنها تفسد عليه دينه، وقد أخرج الحاكم في معرفة علوم الحديث عن أحمد بن سنان القطان قال: ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث. وأخرج أيضًا عن ابن المبارك يقول: الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء. قال أبو عبد الله الحاكم: فلولا الإسناد وطلب هذه الطائفة له وكثرة مواظبتهم على حفظه لدرس منار الإسلام ولتمكن أهل الإلحاد والبدع فيه بوضع الأحاديث وقلب الأسانيد، فإن الأخبار إذا تعرت عن وجود الأسانيد فيها كانت بُتْرًا». اهـ[٢].

أقول: هذا سر هجوم أهل الزندقة والعلمنة وبعض المتميعين من أصحاب العمائم

---

(١) الشمائل/ ص٢٨١.

(٢) الترمذي: أوصاف النبي / تحقيق سميح عباس/ ص٣٢٣.

على أهل الحديث واتهامهم بالجمود وعدم الفهم واهتمامهم بابن الراوندي والسهروردي والغزالي والرازي وأبي حيان والفارابي والكندي وابن سينا وغيرهم على حساب أهل الإسناد والرواية؛ بغية التشويش على القارئ وغض الطرف عن أهل الحديث لأنك بكل بساطة تجد أحدهم يؤلف كتابًا ضخمًا يزعم أنه قدم مشروعًا إسلاميًّا حضاريًّا!! وبعد اطلاعك على هذا الكتاب الذي نال إعجاب ما يسمى باليسار الإسلامي وأهل التنوير تجد أن الرجل حاطب ليل! جمع الغث والسمين.. بل إنه بنى مشروعه على أحاديث مكذوبة وتأصيلات واهية لذلك لا عجب أن يهاجم هؤلاء أهل الحديث والإسناد لأنه باستطاعة رجل من أهل الحديث والإسناد أن ينسف كتابًا كاملًا بمجرد الإطلاع عليه، وهذا من حفظ الله لهذا الدين العظيم.

إذن كتاب الشمائل صورة دقيقة لشمائل الرسول ﷺ، فخلال تطواف المرء في كتاب الترمذي نستطيع أن نرى صورة تقريبية لهيئة الرسول ﷺ وصفاته الخَلقية والخُلقية، نرى كيف كان يعيش نبينا وكيف كان يأكل ويشرب وينام وكيف يضحك ويمزح، وكيف يمشي في الأسواق ويتعامل مع الناس جميعًا ضعيفهم وقويهم.

أقول: هذا الكتاب نافع لكل باحث في السيرة النبوية ومصادرها حيث يسد ثغرة كبيرة في الجوانب التفصيلية من حياة الرسول ﷺ لا يجدها الباحث في كتاب آخر بهذا الجمع والتفصيل؛ إذ إن معظم كتب السيرة تركز على غزوات وحروب الرسول ﷺ وتتكلم عن هذه الشمائل على سبيل الإيجاز.

الثاني: كتاب أخلاق النبي ﷺ:

ونعرض أنموذجًا آخر لكتاب جليل الفائدة (أخلاق النبي ﷺ) للحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ المتوفى ٣٦٩هـ حيث جمع في كتابه شمائل الرسول ﷺ على شاكلة كتاب الترمذي. والكتاب ضم أحاديث نادرة لا توجد في مرجع آخر. وهو مطبوع ومتوافر في المكتبات.

واستهل الحافظ الأصبهاني كتابه بقوله في المقدمة: «ما ذكر من حسن خلق رسول الله ﷺ، وكرمه، وكثرة احتماله، وشدة حيائه، وعفوه، وجوده، وسخائه، وشجاعته، وتواضعه، وصبره على المكروه، وإغضائه، وإعراضه عما كرهه، ورفقه بأمته، وكظمه الغيظ، وحلمه، وكثرة تبسمه، وسروره، ومزاحه، وبكائه، وحزنه، ومنطقه، وألفاظه، وقوله عند قيامه من مجلسه، ومشيه، والتفاته، وذكر محبته الطِّيْب، وتطيبه، وذكر قميصه، وجبته، وشكره ربه عند لباسه»[١].

الثالث: الأنوار في شمائل النبي المختار:

وهناك كتاب قد أشرنا إليه آنفًا: كتاب (الأنوار في شمائل النبي المختار) لمحيي السنة الحسين بن مسعود البغوي المتوفى ٥١٦هـ وقد قام بتحقيق هذا الكتاب وتخريج أحاديثه أحد علماء سوريا؛ الشيخ إبراهيم اليعقوبي المولود في دمشق سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م المتوفى في ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م ثم قام ابنه الأستاذ محمد اليعقوبي بإتمام تصحيحه وعمل فهارس عامة ثم فهارس لأطراف الأحاديث النبوية وقسمها

(١) الأصبهاني: أخلاق النبي: تحقيق د. السيد الجميلي/ دار الكتاب العربي بيروت/ ص١٩.

قسمين الأحاديث القولية ورتبها حسب الترتيب الأبجدي، ورتب الأحاديث العقلية حسب مسانيد الصحابة على الترتيب الأبجدي لأسمائهم. وظهرت الطبعة الأولى من الكتاب في عام ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م طبعة دار المكتبي بدمشق.

ويعتبر كتاب الأنوار في شمائل النبي المختار من أجل كتب الشمائل النبوية التي جاءت في صحاح كتب الحديث والمسانيد والمعاجم، وغيرها. «فهو من أجلها ترتيبًا وتنقيحًا، وتوثيقًا وإحكامًا، بحيث إن المؤلف أحاط أو قارب بجوانب ما ألف فيه وكتب من أجله. والكتاب في حدِّ ذاته يدلنا على مدى سعة اطلاع مؤلفه في فنون الحديث دراية ورواية والمعرفة بعللها مع أمانة ودقة في التحقيق. ولقد أولى المصنف رحمه الله تعالى هذا الكتاب عناية فائقة فهو يحسن انتقاء الأحاديث في موضوع الكتاب من مرويات أهل العلم والثقة والعدالة والضبط من رواة الحديث النبوي الشريف من أهل الصنعة، ممن لهم الإمامة من أهل عصره، فهو ينقل عن شيوخه الذين تلقى عنهم بالسند الكامل إلى النبي ﷺ من طريق أحد كتب السنة من صحاح ومسانيد ومعاجم وأجزاء وغير ذلك مما يصح سنده عند كبار أئمة هذا الشأن كالبخاري ومسلم وغيرهما، ولا يذكر من الضعيف إلا ما ندر ساكتًا عنه في بعض المواضع وناقلًا أو مبينًا في بعض المواضع الأخرى كقوله: (فلان ضعيف)»[١].

لقد بلغت أحاديث الكتاب بالسند المتصل إلى النبي ﷺ (١٢٥٧ حديثًا) سبعًا وخمسين ومائتين وألفًا من الأحاديث، وبلغت أبواب الكتاب مائة وواحدًا.

---

(١) البغوي: الأنوار في شمائل النبي المختار: من مقدمة المحقق ص١٨.

بدأ كتابه (باب اختيار النبي ﷺ) ثم ساق بسنده عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الله اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِى هَاشِمٍ واصطفاني مِنْ بَنِى هَاشِمٍ**»[١].

وساق البغوي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُحِلَّتْ لِيَ الغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا وَأُرْسِلْتُ إِلَى الخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ**»[٢].

وفي الباب السابع والستين (باب في ذكر منبره وكرسيّه وسريره ﷺ) ساق البغوي بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه : قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ عَلَى سَرِيرٍ مُضْطَجِعٌ مُرْمَلٌ بِشَرِيطٍ وَتَحْتَ رَأْسِهِ وِسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ فَدَخَلَ عَلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَدَخَلَ عُمَرُ فَانْحَرَفَ رَسُولُ الله ﷺ انْحِرَافَةً فَلَمْ يَرَ عُمَرُ بَيْنَ جَنْبِهِ وَبَيْنَ الشَّرِيطِ ثَوْبًا وَقَدْ أَثَّرَ الشَّرِيطُ بِجَنْبِ رَسُولِ الله ﷺ فَبَكَى عُمَرُ. فَقَالَ لَهُ النبي ﷺ: «**مَا يُبْكِيكَ يَا عُمَرُ**؟» قَالَ: وَالله مَا أَبْكِي إِلاَّ أَنْ أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّكَ أَكْرَمُ عَلَى الله ﻷ مِنْ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَهُمَا يَعِيثَانِ فِي الدُّنْيَا فِيمَا يَعِيثَانِ فِيهِ وَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله بِالْمَكَانِ الذي أَرَى. فَقَالَ النبي ﷺ: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الآخِرَةُ**؟». قَالَ عُمَرُ: بَلَى. قَالَ: «**فَإِنَّهُ كَذَاكَ**»[٣].

---

(١) البغوي: الأنوار في شمائل النبي المختار ص٤. الحديث في صحيح مسلم في باب الفضائل رقم الحديث ٦٠٧٧.

(٢) البغوي: الأنوار في شمائل النبي المختار ص٩. الحديث في صحيح مسلم في باب المساجد رقم الحديث ١١٩٥.

(٣) البغوي: المرجع السابق ص٥٦٧، ص٥٦٨. الحديث رواه أحمد في مسنده ١٢٧٥٢. وكلمة مرمل: منسوج وجهه بالسَّعَف وغيره ويشد بشرط ونحوه. والشريط حبل مفتول من الخوص.

وختم البغوي كتابه بحديث: عَنِ الزهري حدثني أَبُو سَلَمَةَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النبي ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ رآني في المَنَامِ فسيراني في اليَقَظَةِ، وَلاَ يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بي**»[١].

الرابع: الوفا بأحوال المصطفى

وهناك كتاب ماتع جامع تكلم في هذا الشأن وهو كتاب (الوفا بأحوال المصطفى) للعلامة الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي المتوفى ٥٩٧هـ. والكتاب يعد أنموذجًا من نماذج تطور التأليف في كتب السيرة النبوية.

نحاول أن نقلب صفحات هذا الكتاب لنرى ما جاء فيه من شمائل الرسول ﷺ. نختار ما ذكره ابن الجوزي في مقدمته من الغرض من تأليف كتاب الوفا: «وإني رأيت خلقًا من أئمتنا لا يحيطون علمًا بحقيقة فضيلته، فأحببت أن أجمع كتابًا أشير فيه إلى مرتبته، وأشرح حاله من بدايته إلى نهايته، وأدرج في ذلك الأدلة على صحة رسالته، وتقدمه على جميع الأنبياء في رتبته، فإذا انتهى الأمر إلى مدفنه في تربته ذكرت فضل الصلاة عليه وعرض أعمال أمته، وكيفية بعثته، وموقع شفاعته، وأخبرت بقربه من الخالق يوم القيامة ومنزلته. ولا أخلط الأحاديث خوفًا على السامع من ملالته، ولا أخلط الصحيح بالكذب كما يفعل من يقصد تكثير روايته»[٢].

---

(١) البغوي: السابق ص ٧٨٥. الحديث رواه البخاري في كتاب التعبير رقم الحديث ٦٩٩٣ وزاد قال أبو عبد الله بن سيرين إذا رآه في صورته.

(٢) ابن الجوزي: الوفا بأحوال المصطفى/ دار الكتب العلمية/ بيروت/ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا/ ص١

وخلال تجوالنا في الكتاب نجد أن أبواب الكتاب زادت على خمسمائة باب تمامًا كما ذكر في المقدمة؛ فتحت عنوان (أبواب صفات جسده ﷺ) ذكر ثلاثين بابًا في صفة هيئة الرسول ﷺ؛ حيث بدأها بباب (في صفة رأسه ﷺ) مرورًا بصفة لحيته وساقيه واعتدال خلقه وطوله وانتهاء بذكر صفة عرقه وذكر صفة خاتم النبوة الذي بجسده ﷺ.

ثم يأخذنا ابن الجوزي إلى (أبواب صفاته المعنوية ﷺ) وقد خصها بأحد عشر بابًا. بدأها بحسن خلق الرسول ﷺ مرورًا بشجاعته وانتهاءً بذكر مزاحه ﷺ. ويفتح لنا ابن الجوزي (أبواب زهده ﷺ وأبواب تعبده وأبواب صلاته وأبواب حجته وعمرته وأبواب خوفه وتضرعه وأبواب دعائه وأبواب آلات بيته في ذكر سريره وذكر حصيره وفراشه ﷺ. ثم ندخل على أبواب لباسه ﷺ وخصها بخمسة عشر حديثًا؛ بدأها بذكر قميصه وانتهاء بذكر نعله ﷺ.

ولم ينسَ ابن الجوزي أن يدخلنا إلى أبواب ذكر مراكبه ﷺ وأبواب أكله ومأكولاته وأبواب زينته وأبواب شربه ومشروباته وأبواب طبه وأبواب سفره وأبواب آلات حربه ﷺ.

ويصل بنا ابن الجوزي إلى أبواب غزواته ﷺ وخصها بثلاثين بابًا ثم ينتهي إلى آخر الأبواب وهي أبواب مرضه ووفاته ﷺ إلى أن ختم كتابه الوفا بأبواب بعثه وحشره وما يجري له ﷺ وخصها باثني عشر حديثًا.

فالكتاب بحق موسوعة في السيرة النبوية والشمائل المحمدية ولا غنى لباحث في مصادر السيرة النبوية عن مثل هذا الكتاب الماتع النافع وهو بحق جامع في السيرة

النبوية.

صفوة القول:

بعد هذا التطواف السريع في بعض النماذج من كتب الشمائل النبوية أقول: لا شك أن الباحث في مصادر السيرة النبوية بحاجة إلى الاطلاع على كتب الشمائل النبوية؛ لأنها تهتم بجوانب نادرة في سيرة المصطفى ﷺ لا يجدها في كتب السير والمغازي أو حتى كتب الصحاح والسنن إلا مفرقة ومبثوثة في أبواب متنوعة من هذه الكتب الكثيرة.

كما أود أن أشير إلى أن بعض هذه الكتب في حاجة إلى تحقيقات جادة لتمييز الصحيح من السقيم وخاصة النسخ القديمة والمخطوطات التي في حاجة إلى طبعها ونشرها منقحة ومحققة رغم أن هناك كتبًا قد حققت فعلًا ومتوافرة الآن في المكتبات لكنه نزر يسير وجهد مشكور؛ فنحن في حاجة إلى بذل مجهود أكبر لإخراج هذه الكنوز من كتب الشمائل النبوية مع ما يناسب صاحب الشمائل ﷺ. والله الموفق.

المصدر الرابع: كتب الدلائل

المقصود بكتب دلائل النبوة:

وهي الكتب «التي ألفها أصحابها بقصد جمع العلامات الحسية والمعنوية التي يستدل بها على نبوة الرسول ﷺ.

الكتب التي ألفت في دلائل النبوة[١]:

(١) لقد أفرد البخاري المتوفى ٢٥٦هـ بابًا كبيرًا في كتاب المناقب من صحيحه ذكر فيه (علامات النبوة في الإسلام) جمع فيه ستين حديثًا من دلائل النبوة وعلاماتها، ثم أتبعه بباب بقية أحاديث علامات النبوة في الإسلام، فكان أول من جمع هذه الأحاديث في موضع واحد، وكذا صنع مسلم في معجزات الرسول ﷺ.

(٢) دلائل النبوة لأبي داود السجستاني المتوفى ٢٧٥هـ على ما ذكره ابن حجر في التهذيب.

(٣) أعلام النبوة لابن قتيبة الدينوري المتوفى ٢٧٦هـ.

(٤) دلائل النبوة لأبي بكر بن أبي الدنيا المتوفى ٢٨١هـ.

(٥) دلائل النبوة لأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي المتوفى ٢٨٥هـ.

(٦) دلائل النبوة لأبي بكر الفريابي المتوفى ٣٠١هـ.

(٧) دلائل النبوة لأبي إسحاق إبراهيم بن حماد البغدادي المالكي المتوفى ٣٢٠هـ.

---

(١) بتصرف يسير من مقدمة دلائل النبوة للبيهقي/ تحقيق الدكتورعبد المعطي قلعجي/ دار الكتب العلمية بيروت/ ط١/ ١٤٠٨هـ السفر الأول ص٩٠ إلى ص٩٢. واستفدنا أيضاً من كتاب مصادر السيرة النبوية للدكتور فاروق حمادة.

(٨) دلائل النبوة لأبي أحمد العسال المتوفى ٣٤٩هـ.

(٩) الإحكام لسياق آيات النبي عليه السلام لأبي الحسن القطان المتوفى ٣٥٩هـ.

(١٠) دلائل النبوة لأبي القاسم الطبراني المتوفى ٣٦٠هـ.

(١١) دلائل النبوة لأبي الشيخ ابن حيان المتوفى ٣٦٩.

(١٢) دلائل النبوة لأبي عبد الله بن منده المتوفى ٣٩٥هـ.

(١٣) دلائل الرسالة لأبي المطرف بن عبد الرحمن بن محمد بن فطيس بن أصيغ القرطبي المتوفى ٤٠٢هـ.

(١٤) دلائل النبوة لأبي سعيد الخركوشي المتوفى ٤٠٧هـ.

(١٥) تثبيت النبوة للقاضي عبد الجبار الهمداني الشافعي قاضي الري المتوفي ٤١٥هـ.

(١٦) إثبات النبوة لأحمد بن الحسين الزيدي المتوفى ٤٢١هـ.

(١٧) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني المتوفى ٤٣٠هـ.

(١٨) دلائل النبوة لأبي العباس جعفر بن محمد المعروف بالمستغفري النسفي الحنفي المتوفى ٤٣٢هـ.

(١٩) دلائل النبوة لأبي ذر الهروي المتوفى ٤٣٤هـ.

(٢٠) أعلام النبوة لأبي الحسن الماوردي المتوفى ٤٥٠هـ.

(٢١) دلائل النبوة لأبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني الطلحي الملقب بقوام السنة المتوفى ٥٣٥هـ.

(٢٢) دلائل النبوة لأبي بكر محمد بن حسن النقاش الموصلي المتوفى ٨٥١هـ.

(٢٣) البداية والنهاية لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير المتوفى ٧٧٤هـ. ذكر هذه

الدلائل بالتفصيل في كتابه البداية والنهاية[١].

(٢٤) الخصائص الكبرى لجلال الدين السيوطي المتوفى ٩١١هـ.

(٢٥) غاية السول في خصائص الرسول؛ لابن الملقن المتوفى ٨٠٣هـ وهو مختصر لكتاب دلائل النبوة للبيهقي.

(٢٦) كتاب علامات النبوة لأبي العباس أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري المتوفى سنة ٨٤٠هـ وهو غير شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري صاحب قصيدة البردة المتوفى سنة ٦٩٥هـ.

(٢٧) ومن الكتب المعاصرة (الصحيح المسند من دلائل النبوة)[٢] لأبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي المتوفى ١٤٢٢هـ.

عرض أنموذجين من كتب الدلائل:

الكتاب الأول: كتاب دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني:

التعريف بالمؤلف: هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران المهراني الأصبهاني. ولد عام ستين وثلاثمائة (٣٦٠هـ) وتوفي في الحادي والعشرين من محرم سنة ثلاثين وأربعمائة (٤٣٠هـ).

السبب في تأليفه الكتاب: لقد ألف الحافظ أبو نعيم الأصبهاني كتابه دلائل النبوة بناء

---

(١) ذكر ابن كثير دلائل النبوة في كتابه البداية والنهاية بتحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي/ مركز البحوث والدراسات العربية بدار هجر/ طبعة أولى/ ١٤١٨هـ ج٨ من ص٥٣٩ إلى ص٦٩٤ وفي الجزء ٩ من ص٥ إلى ص٣٩٩.

(٢) هذا الكتاب الصحيح المسند من دلائل النبوة للشيخ مقبل بن هادي الوادعي/ دار الأرقم/ الكويت طبعة أولى ١٤٠٥هـ. ثم طبعته حديثاً دار الحرمين/ القاهرة/ ط١ لسنة ١٤٢٢هـ.

على طلب بعض أهل العلم حيث ذكر في مقدمة كتابه: «فقد سألتم -عمر الله بالبصائر طوياتكم، ونور في المسير إلى وفاقه أوعيتكم ونياتكم- جمع المنتشر من الروايات في النبوة، والدلائل والمعجزات والحقائق، وخصائص المبعوث محمد ﷺ بالسناء الساطع، والشفاء النافع، الذي استضاء به السعداء، واشتفى به الشهداء، واستوصل دونه البعداء، فاستعنت بالله واستوفقته، وبه الحول والقوة وهو القوي العزيز»[١].

والكتاب مقسم إلى واحد وثلاثين فصلًا؛ الفصل الأول: في ذكر ما أنزل الله في كتابه من فضله ﷺ... الفصل الخامس: في ذكره في الكتب المتقدمة والصحف السالفة المدونة عن الأنبياء والعلماء من الأمم الماضية... الفصل السابع عشر: ما ظهر من الآيات في مخرجه إلى المدينة وفي طريقه... الفصل الحادي والثلاثون: أخلاق رسول الله ﷺ وصفاته وأحواله.

الكتاب مطبوع في جزءين طبعة دار النفائس ببيروت لعام ١٤٠٦هـ وهي النسخة التي بحوزتنا بتحقيق الأستاذين الدكتور محمد رواس قلعجي والأستاذ عبد البر عباس.

الكتاب الثاني: دلائل النبوة للبيهقي:

التعريف بالمؤلف: هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن عبد الله بن موسى البيهقي النيسابوري. ولد في شعبان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة (٣٨٤هـ). وتوفي في جمادى أولى

---

(١) أبو نعيم: دلائل النبوة/ تحقيق الدكتور محمد رواس قلعجي وعبد البر عباس/ دار النفائس/ بيروت ط٢ ١٤٠٦هـ/ الجزء الأول ص٣٢.

سنة ثمان وخمسين وأربعمائة.

ويعتبر كتاب دلائل النبوة درة تصنيف البيهقي، وهو من أوسع الكتب وأمتعها، التي ألفت في هذا الشأن.

والكتاب طبعته دار الكتب العلمية لأول مرة عن عشر نسخ خطية ببيروت، ودار الريان للتراث بالقاهرة سنة ١٤٠٨هـ تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي.

والكتاب مقسم إلى سبعة أسفار ومطبوع في سبعة أجزاء، فعلى سبيل المثال: السفر الأول: يشمل التقدمة وترجمة المصنف ونسخ الكتاب. ثم المدخل إلى دلائل النبوة ثم جُماع أبواب مولد النبي ﷺ. أما السفر الثاني: جُماع أبواب ما ظهر عن رسول الله ﷺ من الآيات بعد ولادته وقبل مبعثه وما كانت تجري عليه أحواله حتى بعث نبيًّا ﷺ، جماع أبواب المبعث من الوقت الذي كتب فيه محمد ﷺ نبيًّا إلى الهجرة ومبتدأ الأمر بالقتال.

وهكذا قسم البيهقي كتابه حتى وصل إلى السفر السابع: جماع أبواب من رأى في منامه شيئًا من آثار نبوة محمد ﷺ على عهده. جُماع أبواب كيفية نزول الوحي على رسول الله وظهور آثاره على وجهه، ومن رأى جبريل عليه السلام من أصحابه. جماع أبواب مرض رسول الله ﷺ ووفاته.

المصدر الخامس: كتب المغازي

قد يعترض معترض حول مرجعية كتب المغازي كمصدر أساسي من مصادر السيرة النبوية، وحجته في ذلك أن كتب المغازي تحوي الغث والسمين من مرويات السيرة النبوية، وأن أشهر كتَّاب المغازي رواة مجروحون كابن إسحاق صاحب السيرة، والواقدي وابن سعد! فهؤلاء الرواد الأوائل ضعَّفهم أهل الحديث..

فكيف تطمئن أنفسنا لمروياتهم وكتبهم التي تعنى بغزوات الرسول وحروبه وجهاده وكذا حياته من ميلاده إلى وفاته ﷺ محشوة بروايات واهية ومنكرة! ومن ثم حسبنا ما ورد في كتب الصحاح كالبخاري ومسلم من سيرة الرسول ﷺ وغزواته.

هذه الشبهة بثها المستشرقون في كتبهم وتلقفها من تتلمذوا على أيديهم من أبناء المسلمين وهى دعوى قديمة جديدة، سنتعرض لها عبر النقاط التالية:

أولًا: تعريف المغازي

ثانيًا: المقصود بكتب المغازي

ثالثًا: نبذة مختصرة عن أهل المغازي والسير وطبقاتهم.

رابعًا: ابن إسحاق بين الجرح والتعديل.

خامسًا: الواقدي بين الجرح والتعديل.

سادسا: صفوة القول.

أولًا: تعريف المغازي:

قال ابن حجر في الفتح: المغازي جمع مغزى، يقال: غَزَا يَغْزُو غَزْوًا وَمَغْزًى، والأصل: غَزْوًا، والواحدة غزوة والميم زائدة. وعن ثعلب: الغزوة المرة، والغزاة عمل سنة كاملة. وأصل الغزو القصد، ومغزى الكلام مقصده. والمراد بالمغازي هنا ما وقع من قصد النبي ﷺ الكفار بنفسه أو بجيش من قبله، وقصدهم أعم من أن يكون إلى بلادهم أو إلى الأماكن التي حلوها حتى دخل مثل أحد والخندق»[١]

ثانيًا: المقصود بكتب المغازي:

كتب المغازي هي تلكم الكتب التي تعنى بغزوات رسول الله ﷺ وقصده بنفسه إلى الكفار أو بجيش من أصحابه، وهي أيضًا تعنى بحياة الرسول ﷺ قبل النبوة وبعدها وتتحدث عن الفترتين المكية والمدينة وهجرة الرسول ﷺ إلى وفاته. وهذه الكتب في حاجة إلى المزيد من التحقيق وتخريج الأحاديث نظرًا لشهرتها وشيوعها بين أيدي المسلمين وغيرهم.

ثالثًا: نبذة مختصرة عن أهل المغازي والسير وطبقاتهم:

من المؤكد تاريخيًّا أنه لم يدون في تاريخ العرب والسير شيء حتى انتهت حقبة الخلفاء الراشدين، بل لم يدون في هذه الفترة غير القرآن الكريم غير المبادئ العامة لعلم النحو خشية تفشي العجمة على الألسنة.

ولما كانت أيام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أراد أن يدون كتابًا في تاريخ

---

(١) ابن حجر: فتح الباري – دار الفكر بيروت – ط أولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م ج٨ ص٣.

العرب، فاستقدم عبيد بن شريّة من صنعاء، فكتب له كتاب الملوك وأخبار الماضين. وهذا الكتاب يذكره المؤرخون فقط ولا يوجد له أثر.

وعبيد بن شرية ذكره ابن قتيبة تحت باب النسابين وأصحاب الأخبار إذ يقول عنه: (عبيد بن شرية الجرهمي: أدرك النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئًا ووفد على معاوية فسأله عن الأخبار المتقدمة وملوك اليمن وسبب تبلبل الألسنة وافتراق الناس في البلاد. وعمر طويلًا»[1].

وفي عهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان هناك كوكبة من العلماء دونوا السيرة ولم يكن هؤلاء مجموعة من الرواة فقط بل كل هؤلاء محدثون وفقهاء منهم عروة بن الزبير (ت٩٤هـ).

لذلك لا عجب أن يأخذ عن عروة بن الزبير ابن إسحاق والواقدي والطبري وابن سيد الناس وابن كثير وابن حجر وابن عبد البر وغيرهم من علماء السيرة؛ بل إنهم أكثروا الأخذ عنه وخاصة فيما يتعلق بالهجرة إلى الحبشة، والمدينة المنورة وغزوة بدر. وقد جمع الدكتور محمد مصطفى الأعظمي مرويات عروة بن الزبير من رواية أبي الأسود المدني (ت١٣١هـ) وهو كتاب مطبوع ومتداول في الأسواق.

وقد ذكر د. الأعظمي أن هناك أكثر من ست وعشرين كتبوا في السيرة النبوية والمغازي قبل عروة بن الزبير منهم عبد الله بن عباس ﭬ (ت٧٨هـ) وسعيد بن سعد بن

(١) ابن قتيبة: المعارف / دار الكتب العلمية/ بيروت/ ص٢٩٧

عبادة، وسهل بن أبي حثْمَة المدني، وأبان بن عثمان بن عفان وأبو فضالة كعب بن مالك الأنصاري.. إلخ.

كما أننا نلاحظ أن الرواد الأوائل لكتابة السيرة النبوية كانوا من المحدثين: «ويتضح من توثيق نقاد الحديث لأكثرهم ما تميزوا به من العدالة والضبط، وهما شرطان عند العلماء لتوثيق الرواة، فلئن كانوا قد وثقوا عند المحدثين رغم دقة شروطهم في التوثيق، ورغم نظرتهم لهم على أنهم محدثون مادتهم الأحاديث وليسوا إخباريين مادتهم الأخبار، والنقاد يتشددون في مادة الحديث كثيرًا ويتساهلون في قبول الأخبار فإن هذا التوثيق يعطي كتاباتهم في السيرة قيمة علمية كبيرة. لقد حفظ الله تعالى سيرة نبيه ﷺ من الضياع والمبالغة والتهويل بأن هيأ لها جهابذة المحدثين ليعنوا بها ويدونوا أصولها الأولى قبل أن تتناولها أقلام المؤرخين والقصاصين، وهذه ميزة لمصادر السيرة لم تتوافر لغيرها من كتب التاريخ والأخبار. ميزة لكون المحدثين ثقات مأمونين في الرواية، وميزة لكونهم علماء لهم مناهج واضحة في نقد الروايات سندًا ومتنًا، ولهم أسلوب يتسم بالجدية والبعد عن الحشو والمبالغة»[١].

طبقات أهل المغازي والسير:

الطبقة الأولى: ظهرت في القرن الأول الهجري أشهرهم: عبد الله بن عباس (ت٧٨هـ) ومروياته مبثوثة في كتب التفسير والحديث والسير، عروة بن الزبير (ت٩٤هـ)، سعيد بن المسيب (ت٩٤هـ) روى عنه الطبري في تاريخه شيئًا عن حياة

(١) دكتور ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة ص٦٥ و٦٦.

الرسول ﷺ وفتوحاته. وأبان بن عثمان بن عفان (ت ١٠١ أو ١٠٥هـ).. لذلك يعده البعض في الطبقة الثانية وكما هو معروف فإن مثل هذه التقاسيم ليست بالمعنى الحدّي، فقد يحدث تداخل بين الطبقات نظرًا لاختلاف العلماء في تاريخ وفاة صاحب الترجمة.

الطبقة الثانية: القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ت١٠٧هـ) له مرويات في أنساب الأشرف للبلاذري. وهب بن منبه (ت١١٤هـ)، عاصم بن عمر بن قتادة (ت١٢٠هـ) نقل عنه ابن إسحاق والطبري وابن سعد وغيرهم. شرحبيل بن سعيد بن سعد بن عبادة (ت١٢٣هـ)، محمد بن مسلم الزهري (ت١٢٤هـ).

وفي منتصف القرن الهجري الثاني: ظهر عبد الله بن أبي بكر بن أبي حزم (ت١٣٥هـ)، موسى بن عقبة (ت١٤١هـ)، ومعمر بن راشد (ت١٥٠هـ)، محمد بن إسحاق (ت١٥٢هـ)، زياد البكائي (١٨٣هـ).

الطبقة الثالثة: محمد بن عمر الواقدي (ت٢٠٧هـ)، وتلميذه محمد بن سعد (ت٢٣٠هـ) عبد الرزاق الصنعاني (ت٢١١هـ) ثم جاء ابن هشام (ت٢١٨هـ) الذي انتهت إليه سيرة ابن إسحاق فعرفت به وشاع ذكره بها.

ولم تنقطع العناية بالتأليف في المغازي والسيرة النبوية إلى يومنا هذا وأمر ذلك كله وعماده النقل والرواية. وكما ذكرنا آنفًا كان المشتغلون بالسيرة النبوية محدثين ثم جاء من بعدهم رواة كانوا جامعين مبوبين، ولما استوى عود مرويات السيرة نقلا رواية سندًا ومتنًا، جاءت فكرة النقد والتعليق وأول من اتخذ ذلك المنهج النقدي ابن هشام في

سيرة ابن إسحاق ثم جاء الإمام العلامة الناقد البصير الخبير صاحب مدرسة منهج نقد الرواية سندًا ومتنًا شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ) ومن يطلع على ما كتبه في تاريخ الإسلام وسير أعلام النبلاء فإنها خير شاهد.

رابعًا: ابن إسحاق بين الجرح والتعديل:

من هو ابن إسحاق؟

هو محمد بن إسحاق بن يسار العلامة الحافظ الإخباري أبو بكر، وقيل: أبو عبد الله القرشي المطلبي (..) صاحب السيرة النبوية. نشأ ابن إسحاق في المدينة المنورة، وجالس العلماء وحفظ الحديث. وتتلمذ على يد القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأبان بن عثمان، ونافع مولى ابن عمر، وابن شهاب الزهري، وقيل: رأى أنس بن مالك وسعيد بن المسيب، ونظرًا لرحلاته وتنقلاته الكثيرة بين أمصار العالم الإسلامي تفرد بأحاديث عن شيوخ تلك الأمصار، توفي سنة ١٥١هـ[١].

---

(١) راجع ترجمة ابن إسحاق في الكتب التالية: تاريخ الإسلام للذهبي تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري/ دار الكتاب العربي/ بيروت ط٢ ١٤١١هـ ج٩ ص٥٨٨ إلى ٥٩٤. وكتاب عيون الأثر لابن سيد الناس تحقيق الدكتور محمد العيد الخطراوي ومحي الدين مستو / مكتبة دار التراث المدينة المنورة / ج١ ص٥٤ إلى ص٦٧. وكتاب سير أعلام النبلاء/ مكتبة الصفا / القاهرة طبعة أولى ١٤٢٤هـ/ ج٥ ص٢٤٥ إلى ص٢٦٦ الترجمة رقم ١١٤٣. وكتاب ميزان الاعتدال للذهبي تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل عبد الموجود / دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ج٦ ص٥٦ إلى ص٦٢ الترجمة رقم ٧٢٠٣. وكتاب طبقات علماء الحديث لابن عبد الهادي تحقيق أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق/ مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٤١٧هـ الترجمة رقم ١٥٧ الجزء الأول من ص٢٦٧ إلى ص٢٦٩. أما عن سنة موته فقيل توفي سنة خمسين ومائة، وقيل إحدى وخمسين ومائة، وقيل سنة اثنتين وخمسين ومائة، وقيل سنة ثلاث وخمسين، ومائة لكن المشهور سنة إحدى وخمسين ومائة.

ما السبب في تأليف ابن إسحاق كتابه السيرة؟

يروى أن ابن إسحاق دخل على الخليفة المنصور ببغداد وقيل بالحيرة وبين يديه ابنه المهدي، فقال له المنصور: أتعرف هذا يا ابن إسحاق؟ قال: نعم. هذا ابن أمير المؤمنين، قال: اذهب فصنف له كتابًا منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام إلى يومك هذا. فذهب ابن إسحاق فصنف له هذا الكتاب. فقال له: لقد طولته يا ابن إسحاق، اذهب فاختصره. فاختصره، وألقى الكتاب في خزانة أمير المؤمنين. ثم نقل تلميذه زياد البكائي رواية ابن إسحاق فأخذها منه ابن هشام فهذبها ونقحها حتى عرفت بين الناس بسيرة ابن هشام. ثم جاء علامة الأندلس ونزيل مراكش الحافظ أبو القاسم السهيلي (ت٥٨١هـ) رغم أنه كان ضريرًا إلا أنه كان نافذ البصيرة فتناول كتاب ابن إسحاق بالشرح والتعليق فألف كتابه الجليل (الروض الأنف) وكان قد ألفه في مدينة مالقة قبل رحلته إلى مراكش.

لماذا طعن بعض علماء الحديث في ابن إسحاق؟ نستطيع أن نوجز الأسباب التي دفعت بعض علماء الحديث إلى ذلك:

الأول: طعن الإمام مالك بن أنس وقوله عنه: (دجال من الدجاجلة).

الثاني: طعن هشام بن عروة فيه. حيث اتهمه بالكذب لأنه كان يروي عن زوجته فاطمة بنت المنذر وكان هشام بن عروة ينكر سماع ابن إسحاق عنها.

الثالث: ما ذكره ابن هشام في منهجه في سيرة ابن إسحاق «وأنا -إن شاء الله- مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ومن ولد رسول الله ﷺ من ولده وأولادهم لأصلابهم: الأول فالأول من إسماعيل إلى رسول الله ﷺ، وما يعرض من حديثهم،

وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار، إلى حديث سيرة رسول الله ﷺ، وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سببًا لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيرًا له ولا شاهدًا عليه، لما ذكرت من الاختصار، وأشعارًا ذكرها لم أرَ أحدًا من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذكره، وبعض لم يقرّ لنا البكائي بروايته، ومستقص -إن شاء الله تعالى- ما سوى منه بمبلغ الرواية له والعلم به»[(١)]..

لذلك فهم بعض المشتغلين بالدراسات التاريخية أن ابن إسحاق شخص واه مجروح ودليل ذلك أن ابن هشام هذب سيرته وذكر أنه حذف أشياء تسوء البعض.. إلخ.

وهذا يقودنا إلى تفنيد الطعون السابقة والرد عليها: أما بخصوص كلام الإمام مالك في ابن إسحاق: فقد كان للإمام البخاري كلام حسن في مثل هذه الطعون: «قال البخاري: لو صح عن مالك تناوله من ابن إسحاق، فلربما تكلم الإنسان، فيرمي صاحبه بشيء واحد، ولا يتهمه في الأمور كلها. وقال إبراهيم بن المنذر عن محمد بن فليح: نهاني مالك عن شيخين من قريش، وقد أكثر عنهما في الموطأ وهما ممن يُحتج بهما، ولم ينجُ كثير من الناس من كلام بعض الناس فيهم، نحو ما يذكر عن إبراهيم من كلامه في الشعبي، والشعبي في عكرمة وفيمن كان قبلهم، وتناول بعضهم في العرض والنفس، ولم يلتفت أهل العلم في هذا النحو إلا ببيان وحجة ولم تسقط عدالتهم إلا

(١) ابن هشام: السيرة النبوية /تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي/ دار إحيار التراث العربي/ بيروت/ الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/ ج١/ ص٣٦.

ببرهان ثابت وحجة، والكلام في هذا كثير»[١].

ويعلق الذهبي على كلام البخاري: «لسنا ندعي في أئمة الجرح والتعديل العصمة من الغلط النادر، ولا من الكلام بنفَس حادٍّ فيمن بينهم وبينه شحناء وإحْنَة، وقد علم أنّ كثيرًا من كلام الأقران بعضهم في بعض مهدر لا عبرة به، ولاسيما إذا وثَّقَ الرجلَ جماعةٌ يلوح على قولهم الإنصاف، وهذان الرجلان كلٌّ منهما قد نال من صاحبه، لكنْ أثَّر كلام مالك في محمد (أي ابن إسحاق) بعض اللين، ولم يؤثر كلام محمد فيه ولا ذرة، وارتفع مالك، وصار كالنجم، والآخر، فله ارتفاع بحسبه، ولاسيما في السير، أما في أحاديث الأحكام فينحطُّ حديثه فيها عن رتبة الصحة إلى رتبة الحسن، إلا فيما يعد منكرًا. هذا الذي عندي في حاله والله أعلم»[٢].

وفي طبقات الشافعية للسبكي في ترجمة أحمد بن صالح المصري المتوفى سنة ثمان وأربعين ومائتين هجرية كلام نفيس: «ولكننا ننبهك هنا على قاعدة في الجرح والتعديل ضرورية نافعة لا تراها في شيء من كتب الأصول: فإنك إذا سمعت أن الجرح مقدم على التعديل، ورأيت الجرح والتعديل، وكنت غرًّا بالأمور أو فدمًا مقتصرًا على منقول الأصول حسبت أن العمل على جرحه، فإياك ثم إياك والحذر كل الحذر من هذا الحسبان الحذر، بل الصواب عندنا أنّ من ثبتت إمامته وعدالته، وكثر مادحوه، وندر جارحه، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبي أو غيره، فإنا لا

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء/ مكتبة الصفا / القاهرة طبعة أولى ١٤٢٤هـ/ ج٥ ص٢٥٨ الترجمة رقم ١١٤٣.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء/ ج٥ ص٢٥٨.، ص٢٥٩.

نلتفت إلى الجرح فيه، ونعمل فيه بالعدالة، وإلا فلو فتحنا هذا الباب، أو أخذنا تقديم الجرح على إطلاقه لما سلم لنا أحد من الأئمة، إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون، وهلك فيه هالكون»[١].

ويقول أيضًا: «وقد عرّفناك أولًا من أن الجارح لا يقبل منه الجرح، وإن فسره في حق من غلبت طاعاته على معاصيه، ومادحوه على ذامّيه، ومزكّوه على جارحيه، إذا كانت هناك قرينة يشهد العقل بأن مثلها حامل على الوقيعة في الذي جرح؛ من تعصب مذهبي، أو منافسة دنيوية، كما يكون من النظراء، أو غير ذلك. فنقول مثلًا: لا يلتفت إلى كلام ابن أبي ذئب في مالك، وابن معين في الشافعي، والنسائي في أحمد بن صالح لأن هؤلاء أئمة مشهورون، صار الجارح لهم كالآتي بخبر غريب، لو صح لتوفرت الدواعي على نقله، وكان القاطع قائمًا على كذبه»[٢].

أما كلام هشام بن عروة في ابن إسحاق: ويتصدى ابن سيد الناس في تفنيد كلام هشام بن عروة وكلام مالك وغيرهما وانبرى في الدفاع عن ابن إسحاق بمناقشة علمية في غاية السلاسة والإتقان: «وقد ذكره أبو حاتم ابن حبان في الثقات له فأعرب عما في الضمير فقال: تكلم فيه رجلان هشام ومالك، فأما هشام فأنكر سماعه من فاطمة، والذي قاله ليس مما يجرح به الإنسان في الحديث، وذلك أن التابعين كالأسود وعلقمة سمعوا من عائشة رضي الله عنها من غير أن ينظروا إليها، بل سمعوا صوتها،

(١) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى/ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا/ دار الكتب العلمية بيروت/ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ج١ ص٤٤٧، ص٤٤٨.

(٢) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ج١ ص٢٥٠.

وكذلك ابن إسحاق كان يسمع من فاطمة والستر بينهما مسبل. قال: وأما مالك فإنه كان ذلك منه مرة واحدة ثم عاد له إلى ما يحب، وذلك أنه لم يكن أحد أعلم بأنساب الناس وأيامهم من ابن إسحاق، وكان يزعم أن مالك من موالي ذي أصبح، وكان مالك يزعم أنه من أنفسها، فوقع بينهما لذلك مفاوضة، فلما صنف مالك الموطأ قال ابن إسحاق: ائتوني به فأنا بيطاره. فنقل ذلك إلى مالك، فقال: هذا دجال من الدجاجلة يروي عن اليهود. وكان بينهما ما يكون بين الناس، حتى عزم محمد على الخروج إلى العراق فتصالحا حينئذ، وأعطاه عند الوداع خمسين دينارًا ونصف ثمرته تلك السنة. ولم يكن يقدح فيه مالك من أجل الحديث إنما ينكر عليه تتبعه غزوات النبي من أولاد اليهود الذين أسلموا، وحفظوا قصة خيبر وقريظة والنضير، وما أشبه ذلك من أسلافهم. وكان ابن إسحاق يتتبع ذلك عنهم ليعلم ذلك من غير أن يحتج بهم، وكان مالك لا يرى الرواية إلا عن متقن صدوق»[١].

ونقل الذهبي عن بعض الأئمة: «الذي يذكر عن هشام بن عروة من قوله كيف يدخل على امرأتي؟! لو صح هذا من هشام لجاز أن تكتب إليه فإن أهل المدينة يرون الكتاب جائزًا لأن النبي كتب لأمير السرية كتابًا فقال له: لا تقرأه حتى تبلغ موضع وكذا وكذا، فلما بلغه قرأه وعمل به وكذلك الخلفاء والأئمة يفضون بكتاب بعضهم إلى بعض، وجائز أن يكون سمع منها وبينهما حجاب في غيبة زوجها، قلت: ذاك الظن بهما كما أخذ خلق من التابعين عن الصحابيات مع جواز أن يكون دخل عليها ورآها وهو

(١) ابن سيد الناس: عيون الأثر تحقيق الدكتور محمد العيد الخطراوي ومحي الدين مستو / مكتبة دار التراث المدينة المنورة / ج١ ص٦٦، ص٦٧.

صبي فحفظ عنها مع احتمال أن يكون أخذ عنها حين كبرت وعجزت وكذا ينبغي، فإنها أكبر من هشام بأزيد من عشر سنين فقد سمعت من جدتها أسماء ولما روت لابن إسحاق كان لها قريب من ستين سنة»[١].

ونقل الذهبي عن العقيلي: «حدثني الفضل بن جعفر حدثنا عبد الملك بن محمد حدثني سليمان بن داود قال لي يحيى القطان: أشهد أن محمد بن إسحاق كذاب قلت وما يدريك قال: قال لي وهيب فقلت لوهيب: ما يدريك؟ قال: قال لي مالك بن أنس فقلت لمالك: وما يدريك؟ فقال: قال لي هشام ابن عروة قلت لهشام: وما يدريك؟ قال: حدث عن امرأتي فاطمة بنت المنذر ودخلت علي وهي ابنة تسع سنين وما رآها حتى لقيت الله قلت: معاذ الله أن يكون يحيى وهؤلاء بدا منهم هذا بناء على أصل فاسد واهٍ ولكن هذه الخرافة من صنعة سليمان وهو الشاذكوني لا صبحه الله بخير فإنه مع تقدمه في الحفظ متهم عندهم بالكذب وانظر كيف قد سلسل الحكاية ويبين لك بطلانها أن فاطمة بنت المنذر لما كانت بنت تسع سنين لم يكن زوجها هشام خلق بعد فهي أكبر منه بنيف عشرة سنة وأسند منه فإنها روت كما ذكرنا عن أسماء بنت أبي بكر وصح أن ابن إسحاق سمع منها وما عرف بذلك هشام، أفبمثل هذا القول الواهي يكذب الصادق كلا والله نعوذ بالله من الهوى والمكابرة»[٢].

بل إن الذهبي ينقل كلام الخطيب: «وأما حكاية ابن فليح عن هشام بن عروة،

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٥ ص٢٥٩.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٥ ص٢٦٢، ص٢٦٣.

فليست بالمحفوظة، وراويها عن ابن المنذر لا يعرف. قلت: (أي الذهبي): فهي مردودة»[١].

أما عدالته وثقته، فقبل الحديث عن الذين وثقوا ابن إسحاق؛ نشير إلى الذين ضعفوه؛ وهم النسائي، ويحيى بن سعيد القطان، والدارقطني وآخرون. أما الذين وثقوه وعدلوه فهم كثر.

لقد حدث عنه شيخه يزيد بن أبي حبيب، ويحيي بن سعيد الأنصاري، وشعبة والثوري وأبو عوانة، وموسى بن أعين، وجرير بن حازم وسفيان بن عيينة، وابن نمير، والبكائي، ويزيد بن هارون، ويحيى بن سعيد الأموي، وخلق كثير.

قال عنه يحيى بن معين: كان ثقة حسن الحديث. قال عنه الزهري: لا يزال بالمدينة علم جم ما دام فيهم ابن إسحاق. وقال فيه أبو زرعة الدمشقي: «ابن إسحاق رجل قد اجتمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ عنه. وقال عنه عاصم بن عمر بن قتادة: لا يزال في الناس علم ما عاش محمد بن إسحاق»[٢].

وحسبك أن تعلم أن شيخ الإمام مالك يحيى بن سعيد الأنصاري روى لابن إسحاق وهو شيخه أيضًا. وقال عنه سفيان بن عيينة: ما أدركت أحدًا يتهم ابن إسحاق في حديثه.

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٥ ص٢٥٨.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٥ ص٢٥٩.

وذكره البخاري في تاريخه ووثقه ولم يذكره في كتاب الضعفاء. ويقول عنه الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب: «إمام المغازي». وحسبنا قول شعبة بن الحجاج في ابن إسحاق إذا يقول: «لو كان لي سلطان لأمّرت ابن إسحاق على المحدثين.

قال البخاري: «رأيت علي بن عبد الله يحتج بحديث ابن إسحاق وذكر عن سفيان أنه ما رأى أحدًا يتهمه، قال: وقال إبراهيم بن المنذر: حدثنا عمر بن عثمان أن الزهري كان تلقف المغازي من ابن إسحاق فيما يحدثه عن عاصم بن عمر والذي يذكر عن مالك في ابن إسحاق لا يكاد يتبين، وكان إسماعيل بن أبي أويس من أتبع من رأينا لمالك أخرج إلي كتب ابن إسحاق عن أبيه في المغازي وغيرها فانتخبت منها كثيرًا. قال: وقال لي إبراهيم بن حمزة: كان عند إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق نحوا من سبعة عشر ألف حديث في الأحكام سوى المغازي»[١].

وقال عباس بن عقدة: «حدثنا موسى بن هارون بن إسحاق سمعت محمد بن عبد الله بن نمير يقول: كان ابن إسحاق يرمى بالقدر وكان أبعد الناس منه»[٢]. وقال يعقوب بن شيبة: «سمعت ابن نمير وذكر ابن إسحاق فقال: إذا حدث عمن سمع منه من المعروفين فهو حسن الحديث صدوق وإنما أتي من أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة»[٣].

---

(١) ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب/ تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ علي معوض دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ج٥ ص٤٧١.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٥ ص٢٥٩.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٥ ص٢٦٠

قال الحافظ إسحاق بن أحمد بن خلف البخاري: «سمعت محمد بن إسماعيل يقول: محمد بن إسحاق ينبغي أن يكون له ألف حديث ينفرد بها لا يشاركه فيها أحد، وقال سليمان بن إسحاق الجلاب: سألت إبراهيم الحربي: تكلم أحد في ابن إسحاق؟ فقال: أما سفيان بن عيينة فكان يقول يعني عن الزهري: لا يزال بالمدينة علم ما عاش هذا الغلام يعني ابن إسحاق»[(١)] قال الخليلي: «قال ابن إدريس الحافظ كيف لا يكون ابن إسحاق ثقة وقد سمع من الأعرج ويروي عنه ثم يروي عن أبي الزناد عنه ثم يروي عن ابن أبي الزناد عن أبيه عنه ثم قال الخليلي: روى عن ابن إسحاق من أستاذيه الزهري وصالح بن كيسان وعقيل ويونس»[(٢)].

وقال أيضًا أبو يعلى الخليلي: «محمد بن إسحاق عالم كبير، وإنما لم يخرجه البخاري من أجل روايته المطولات، وقد استشهد به وأكثر عنه فيما حكى في أيام النبي ﷺ، وفي أحواله، وفي التواريخ، وهو عالم واسع الرواية والعلم، ثقة»[(٣)]. قال البرقي: «لم أرَ أهل الحديث يختلفون في ثقته وحسن حديثه وروايته، وفي حديثه عن نافع بعض الشيء»[(٤)].

قال الحاكم: «ذكر عن البوشنجي أنه قال هو عندنا ثقة ثقة»[(٥)]. وساق الحافظ ابن حبان بسنده عن علي بن الحسين بن واقد: «قال: دخلت على ابن المبارك وإذا هو وحده

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٥ ص٢٦٠.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٥ ص٢٥٦.

(٣) ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٥ ص٤٧٤.

(٤) ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٥ ص٤٧٥.

(٥) ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٥ ص٤٧٥..

فقلت: يا أبا عبد الرحمن! كنت أشتهي أن ألقاك على هذه الحالة، قال: هات! قلت: ما تقول في محمد بن إسحاق؟ فقال: أما إنا وجدناه صدوقًا ثلاث مرات»[(١)].

وساق الحافظ ابن أبي حاتم الرازي المتوفى ٣٢٧هـ بسنده عن إسماعيل ابن علية: قال: سمعت شعبة يقول: محمد بن إسحاق صدوق في الحديث، وذكر أيضًا عن يونس بن بكير: «يذكر عن شعبة قال: محمد بن إسحاق أمير المحدثين»[(٢)].

وذكر ابن أبي حاتم أيضًا بسنده عن محمد بن عباس الدوري قال: «سمعت أحمد بن حنبل، وذكر محمد بن إسحاق، فقال: أما في المغازي وأشباهه فيكتب، وأما في الحلال والحرام، فيحتاج إلى مثل هذا ومد يده، وضم أصابعه»[(٣)].

قال عنه الحافظ العجلي المتوفى ٢٦١هـ: «مدني ثقة»[(٤)]. وذكر ابن حبان عن محمد إسحاق بن خزيمة: «يقول: سمعت محمد بن يحيى الذهلي وسأله كرخويه عن محمد بن إسحاق؟ فقال: سمعت علي بن المديني يقول: محمد بن إسحاق صدوق، والدليل على صدقه أنه ما روى أحد من الجلة إلا وروى عن رجل عنه، فهذا يدل على صدقه، سمعه محمد بن أحمد المسندي يقول: سمعت محمد بن نصر الفراء يقول لعلي بن المديني: ما

---

(١) ابن حبان: الثقات تحقيق إبراهيم شمس الدين وتركي فرحان المصطفى/ دار الكتب العلمية بيروت / طبعة أولى ١٤١٩هـ مج٤ ص٢٣٦.

(٢) ابن أبي حاتم الرازي: الجرح والتعديل/ تحقيق مصطفى عبد القادرعطا/ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ مج٧ ص٢٦٠، ص٢٦١.

(٣) ابن أبي حاتم الرازي: الجرح والتعديل مج٧ ص٢٦٢.

(٤) العجلي: معرفة الثقات بترتيب الإمامين الهيثمي والسبكي مع زيادات ابن حجر العسقلاني تحقيق عبد العليم البستوي بدون ذكر دار النشر وتاريخه ج٢ص٢٣٢ الترجمة رقم ١٥٧١.

تقول في محمد بن إسحاق؟ فقال: ثقة، قد أدرك نافعا وروى عنه وروى عن رجل عنه وعن رجل عنه، هل يدل هذا إلا على الصدق»[١].

قال عنه ابن عبد الهادي المتوفى سنة ٧٤٤هـ: «وكان حبرًا في معرفة المغازي والسير، صادقًا في نفسه، مرضيًّا وهو حسن الحديث»[٢]. ويذكر ابن حبان عن أبي حاتم الرازي في دفاعه عن صدق ابن إسحاق: «كان محمد بن إسحاق يكتب عمن فوقه ومثله ودونه لرغبته في العلم وحرصه عليه، وربما يروي عن رجل قد رآني، ويروي عن آخر عنه في موضع آخر، ويروي عن رجل عن رجل عنه، فلو كان ممن يستحل الكذب لم يحتج إلى الإنزال بل كان يحدث عمن رآه ويقتصر عليه، فهذا مما يدل على صدقه وشهرة عدالته في الروايات»[٣].

وهناك شهادة عظيمة لعالم معروف بتشدده في توثيق الرواة وهو الحافظ ابن عدي: «ولو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن الاشتغال الكتب التي لا يحصل منها شيء إلى الاشتغال بمغازي رسول الله ﷺ ومبعثه، ومبتدأ الخلق؛ لكانت هذه فضيلة سبق بها، ثم من بعده صنفها قوم آخرون فلم يبلغوا مبلغ ابن إسحاق منها. وقد فتشتُ أحاديثه كثيرًا، فلم أجد من أحاديثه ما يتهيأ أن يُقطع عليه بالضعف، وربما أخطأ، أو يهم في الشيء بعد الشيء، كما يخطئ غيره، ولم يتخلف في الرواية عنه الثقات

---

(١) ابن حبان: الثقات مج٤ ص٢٣٧.

(٢) ابن عبد الهادي: طبقات علماء الحديث ج١ الترجمة رقم ١٥٧ ص٢٦٨.

(٣) ابن حبان: الثقات مج٤ ص٢٣٧.

والأئمة، وهو لا بأس به»[١]. وهناك أقوال كثيرة لأهل العلم في توثيق ابن إسحاق نحيل من يريد المزيد إلى مظانها.

على نور ما سبق:

نستطيع أن نخلص إلى أن جماهير المحدثين يرون إمامة ابن إسحاق في المغازي وهذا باتفاق الجميع بما فيهم الذين تكلموا فيه، وحديثه في مرتبة الحسن لذاته، إذا صرح بالتحديث. وكما يقول الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال: «والذي يظهر لي أن ابن إسحاق حسن الحديث صالح الحال صدوق، وما تفرد ففيه نكارة، فإن في حفظه شيئًا، وقد احتج به أئمة»[٢].

لكن ما سر شهرة كتاب ابن إسحاق عن غيره من كتب المغازي والسير؟

(١) سهولة أسلوبه وتصنيفه على طريقة الحوليات، وتبويبه المتقن وتسلسل الأحداث الزمني.

(٢) فصاحة ابن إسحاق وعلو كعبه في اللغة العربية وابتعاده عن وحشي الكلام وغريبه.

(٣) لقد جعل ابن إسحاق السيرة النبوية قصة متكاملة وصاغها بطريقة شيقة، حيث كان يجمع كل ما يصله من مرويات عن الواقعة الواحدة ثم يصوغها في وحدة عضوية متجانسة ومتناسقة.

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٥ ص٢٦٢.

(٢) الذهبي: ميزان الاعتدال تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل عبد الموجود/ دار الكتب العلمية بيروت/ الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ج٦ ص٦٢ الترجمة رقم ٧٢٠٣.

(٤) لقد كان تهذيب ابن هشام لسيرة ابن إسحاق عملًا طيبًا فأكسبها حلة من البهاء والوقار.. مما شجع العلماء من بعده على التعليق عليها واختصارها وإذاعتها بين الناس فحفظوها وعلموها أولادهم ونشأت أجيال على سيرة ابن إسحاق فوضع الله لهذه السيرة القبول في الأرض.

خامسًا: الواقدي بين الجرح والتعديل:

من هو الواقدي؟

هو العلامة الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الأسلمي «ولي القضاء ببغداد ومات بها، روى عن معمر، وابن أبي ذئب، ومالك، والأوزاعي، وروى عنه أبو بكر بن أبي شيبة، ويحيى بن أبي الخصيب»[١].. توفي الواقدي في ذي الحجة سنة سبع ومائتين من الهجرة النبوية.

ومن أشد العلماء دفاعًا عن الواقدي الحافظ ابن سيد الناس المتوفى ٧٣٤هـ حيث ذكر كلام العلماء في الواقدي جرحًا وتعديلًا: فأما الذين عدلوا الواقدي: «قال محمد بن خلاد: سمعت محمد بن سلام الجمحي يقول: محمد بن عمر الواقدي عالم دهره. وقال إبراهيم الحربي: الواقدي آمن الناس على أهل الإسلام. وقال الحربي أيضًا: كان الواقدي أعلم الناس بأمر الإسلام»[٢].

(١) ابن أبي حاتم الرازي: الجرح والتعديل مج٨ ص٢٦ الترجمة ١٣٣٩٩.

(٢) ابن سيد الناس: عيون الأثر ج١ ص٦٨.

وسئل أبو عامر العقدي عن الواقدي فقال: «نحن نسأل عن الواقدي؟! إنما يسأل هو عنا، ما كان يفيدنا الأحاديث والشيوخ بالمدينة إلا الواقدي»[١]. وسئل عنه معن بن عيسى: «فقال: أنا أسأل عنه؟! هو يسأل عني»[٢]. وسئل عنه مصعب الزبيري: «فقال: ثقة مأمون»[٣]. وسئل عنه أبو يحيى الزهري: «فقال: ثقة مأمون»[٤]. وسئل عنه ابن نمير:«فقال: أما حديثه عنا فمستوٍ، وأما حديث أهل المدينة فهم أعلم به»[٥]. وقال يزيد بن هارون: «ثقة»[٦]. وقال إبراهيم الحربي: «من قال: إن مسائل مالك بن أنس وابن أبي ذئب تؤخذ عمن هو أوثق من الواقدي فلا يصدق؛ لأنه يقول: سألت مالكًا وسألت ابن أبي ذئب»[٧].

وعن يعقوب بن أبي شيبة: «قال: ومما ذكر لنا أن مالكًا سئل عن قتل الساحرة، فقال: انظروا هل عند الواقدي في هذا شيء؟ فذاكروه ذلك فذكر شيئًا عن الضحاك بن عثمان، فذكروا أن مالكًا قنع به. وروي أن مالكًا سئل عن المرأة التي سمّت النبي ﷺ بخيبر: ما فعل بها؟ فقال: ليس عندي بها علم. وسأسأل أهل العلم. قال: فلقي الواقدي. فقال: يا أبا عبد الله ما فعل النبي ﷺ بالمرأة التي سمّته بخيبر؟ فقال: الذي

(١) ابن سيد الناس: عيون الأثر ج١ ص٧٠.
(٢) ابن سيد الناس: عيون الأثر ج١ ص٧٠.
(٣) ابن سيد الناس: عيون الأثرة ج١ ص٧٠.
(٤) ابن سيد الناس: عيون الأثرة ج١ ص٧٠.
(٥) ابن سيد الناس: عيون الأثرة ج١ ص٧٠.
(٦) ابن سيد الناس: عيون الأثرة ج١ ص٧٠.
(٧) ابن سيد الناس: عيون الأثرة ج١ ص٧٠.

عندنا أنه قتلها. فقال مالك: قد سألت أهل العلم فأخبروني أنه قتلها»[١].

وسئل تلميذه إبراهيم الحربي المتوفى ٢٨٥هـ: «عما أنكره أحمد على الواقدي، فقال: إنما أنكر عليه جمعه الأسانيد ومجيئه بالمتن واحدًا. قال إبراهيم: وليس هذا عيبًا، فقد فعل هذا الزهري وابن إسحاق»[٢].

وأما الكلام في الواقدي تجريحًا: يقول ابن سيد الناس: «وأما الكلام فيه فكثير جدًّا قد ضعف ونسب إلى وضع الحديث، وقال أحمد: هو كذاب، وقال يحيى: ليس بثقة. وقال البخاري والرازي والنسائي: متروك الحديث. وللنسائي فيه كلام أشد من هذا. وقال الدارقطني: ضعيف، وقال ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة والبلاء منه»[٣].

قال عنه ابن العماد المتوفى ١٠٨٩هـ: «العلامة أحد أوعية العلم، روى عن ثور بن يزيد، وابن جريج وطبقتهما، وكان يقول حفظي أكثر من كتبي، وقد تحول مرة فكانت كتبه مائة وعشرين حملًا، ضعفه الجماعة كلهم»[٤].

ويلتمس ابن سيد الناس العذر للواقدي قائلًا: «قلت: سعة العلم مظنة لكثرة الإغراب، وكثرة الإغراب مظنة للتهمة. والواقدي غير مدفوع عن سعة العلم فكثرت

---

(١) ابن سيد الناس: عيون الأثرة ج١ ص٦٩.

(٢) ابن سيد الناس: عيون الأثرة ج١ ص٧٠، ص٧١.

(٣) ابن سيد الناس: عيون الأثرة ج١ ص٧١.

(٤) ابن العماد: شذرات الذهب / تحقيق مصطفى عبد القادرعطا دار الكتب العلمية بيروت/ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ مج٢ ص٩٦.

بذلك غرائبه»[١].

آراء أخرى في الواقدي: وقال أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي: «سألت أبا زرعة عن محمد بن عمر الواقدي، فقال: ضعيف، قلت: يكتب حديثه؟ قال: ما يعجبني إلا الاعتبار، ترك الناس حديثه»[٢].

يقول عنه الذهبي: «وكان من أوعية العلم. ولي قضاء الجانب الشرقي من بغداد، وسارت الركبان بكتبه في المغازي والسير والفقه أيضًا. وكان أحد الأجواد المذكورين. وكان جده واقد مولى لعبد الله بن بريدة الأسلمي. ولد محمد سنة تسع وعشرين ومائة. وهو مع عظمته في العلم ضعيف»[٣].

يقول فيه الحافظ الذهبي: «وجمع فأوعى، وخلط الغث بالسمين، والخرز بالدر الثمين، فاطّرحوه لذلك، ومع هذا فلا يستغنى عنه في المغازي، وأيام الصحابة وأخبارهم»[٤].

وأخذ الحديث عنه: محمد بن سعد كاتبه وتلميذه، وأبو بكر بن أبي شيبة وأبو بكر الصاغاني، والحارث بن أبي أسامة، وغيرهم.

وهذه خلاصة شهادة الحافظ الذهبي في الواقدي: «وقد تقرر أن الواقدي ضعيف،

---

(١) ابن سيد الناس: عيون الأثرة ج١ ص٧١.

(٢) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل مج٨ ص٢٧.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام ج١٤ ص٣٦٢ الترجمة رقم ٣٤٧.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٩ ص٤٥٤.

يحتاج إليه في الغزوات، والتاريخ، ونورد آثاره من غير احتجاج، أما في الفرائض، فلا ينبغي أن يذكر، فهذه الكتب الستة، ومسند أحمد، وعامة من جمع في الأحكام، نراهم يترخصون في إخراج أحاديث أناس ضعفاء، بل ومتروكين، ومع هذا لا يخرجون لمحمد بن عمر شيئًا، مع أن وزنه عندي أنه مع ضعفه يُكتب حديثه، ويُروى، لأني لا أتهمه بالوضع، وقول من أهدره فيه مجازفة من بعض الوجوه، كما أنه لا عبرة بتوثيق من وثقه كيزيد بن هارون، وأبي عبيد، والصاغاني، والحربي، ومعن، وتمام عشرة محدثين، إذ قد انعقد الإجماع اليوم على أنه ليس بحجة، وأن حديثه في عداد الواهي رحمه الله»[١].

هكذا نستطيع أن نقول: «إن من أهم السمات التي تجعل الواقدي في منزلة خاصة بين أصحاب السير والمغازي، تطبيقه المنهج العلمي الفني، فهو مثلًا كان يرتب التفاصيل المختلفة للحوادث بأسلوب منطقي لا يتبدل. فهو مثلًا يبدأ مغازيه بذكر قائمة طويلة من الرجال الذين نقل عنهم تلك الأخبار، ثم يذكر المغازي التي غزاها النبي ﷺ وأسماء الذين استخلفهم على المدينة أثناء غزواته، وأخيرًا يذكر شعار المسلمين في القتال. وإذا كان قد نزل كثير من الآيات بمناسبة الغزوة أو السرية المعينة فإنه يفردها بمبحث خاص في نهاية الحادثة، ويفسرها»[٢].

سادسًا: صفوة القول:

هكذا استبان لنا صدق ابن إسحاق وعلو كعبه في المغازي والسيرة فهو إمام بلا

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٦ ص٥٥٠ الترجمة رقم ١٦١٤.

(٢) د مهدي رزق الله: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية/ الرياض/ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ص٣٩.

منازع.. وينطبق ذلك القول على الواقدي رغم أن ابن إسحاق يتفوق على الواقدي في كثرة موثقيه ومادحيه وجزالة عباراته وسلاسة صياغته للسيرة.. لكن الواقدي يتميز بضبطه الأماكن وتعيينه المشاهد بنفسه كما ذكر ابن سيد الناس عنه: «ما أدركت رجلًا من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ولا مولى لهم إلا سألته: هل سمعت أحدًا من أهلك يخبرك عن مشهده وأين قتل؟ فإذا أعلمني مضيت إلى الموضع حتى أعاينه أو نحو هذا الكلام. وقال ابن منيع: سمعت هارون الفروي يقول: رأيت الواقدي بمكة ومعه ركوة، فقلت: أين تريد؟ قال: أريد أن أمضي إلى حنين حتى أرى الموضع والوقعة»[١].

كما أننا نستطيع أن نؤكد أن ابن إسحاق لم ينفرد في القرن الثاني الهجري بالتصنيف في المغازي والسيرة النبوية، بل سبقه علماء آخرون أكثر منه ثقة وأدق أداء ورواية، وخلفهم آخرون.

وأئمة الإسلام اعتمدوا مغازي الرسول وسيرته ﷺ التي نقلها الثقات كالبخاري ومسلم وكتب الصحاح والسنن مع اعتمادهم لسيرة ابن إسحاق والواقدي وابن سعد وغيرهم؛ لأن كتب المغازي والسير سدت ثغرات كثيرة في التاريخ الإسلامي وخاصة في جانب السيرة النبوية.

(١) ابن سيد الناس: عيون الأثر ج١ ص٦٨، ص٦٩.

المصدر السادس: كتب التاريخ العام

سنتناول هذا المصدر على النحو التالي:

أولًا: ما المقصود بكتب التاريخ العام؟

ثانيًا: أنموذجان من كتب التاريخ العام:

الكتاب الأول: تاريخ الطبري ويكون على النحو التالي:

(أ) ترجمة مختصرة عن الطبري.

(ب) أهم الشبهات التي أثيرت حول الطبري وتاريخه، وما حقيقة اتهام الحافظ السليماني لابن جرير الطبري بأنه كان يضع الحديث للروافض. فهل كان الطبري من علماء الشيعة الإمامية أم كان سنيًّا؟ وما حقيقة اتهام الطبري أنه كان يروي عن بعض الرواة الضعفاء والمتهمين لدى علماء الجرح والتعديل كأبي مخنف ومحمد بن السائب الكلبي وابنه هشام وغيرهم؟

(ج) الرأي المختار.

الكتاب الثاني: تاريخ خليفة بن خياط ويكون على النحو التالي:

(١) ترجمة خليفة بن خياط.

(٢) منهج خليفة بن خياط في كتابة التاريخ.

(٣) الرأي المختار.

ثم صفوة القول.

أولًا: ما المقصود بكتب التاريخ العام؟

كتب التاريخ العام: هي مؤلفات تتناول تاريخ الأمم والدول والأفراد بشكل عام قبل الإسلام وبعده إلى زمن المؤلف. وهي تبدأ عادة ببدء الخلق مرورًا بقصص الأنبياء والإرهاصات التي حدثت قبل بعثة الرسول ﷺ وحتى وفاته ثم تتناول تاريخ خلفاء وملوك ومشاهير أهل الإسلام. وهذه الكتب تحوي بين دافتيها سيرة الرسول ﷺ ومن ثم اعتمدها العلماء كمصدر من مصادر السيرة النبوية.

ومن هذه الكتب كتاب تاريخ الطبري المتوفى ٣١٠هـ، وكتاب تاريخ خليفة بن خياط لخليفة بن خياط العصفري المتوفى ٢٤٠هـ، ومروج الذهب للمسعودي المتوفى ٣٤٥، وتاريخ البلدان للبلاذري المتوفى ٢٧٩، وتاريخ اليعقوبي المتوفى ٢٩٢هـ، وتاريخ دمشق لابن عساكر المتوفى ٥٧١هـ، وقد اختصره ابن منظور ٢٩ جزءًا، والكامل في التاريخ لابن الأثير المتوفى ٦٣١هـ، وتاريخ الإسلام للذهبي المتوفى ٧٤٨هـ، والبداية والنهاية لابن كثير٧٧٤هـ، وشذور الذهب لابن العماد الحنبلي وغيرهم كثير.

الكتاب الأول: تاريخ الطبري

(أ) ترجمة مختصرة للعلامة أبي جعفر الطبري(١):

---

(١) أفرد له الأستاذ الدكتور فؤاد سيزكين ترجمة مفصلة مع ذكر مصادر ترجمته ومؤلفاته في كتابه (تاريخ التراث العربي) نقله إلى =

عرفه الذهبي في السير: «محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الإمام العلم المجتهد عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان. مولده سنة أربع وعشرين ومائتين، وطلب العلم بعد الأربعين ومائتين، وأكثر الترحال، ولقي نبلاء الرجال، وكان من أفراد الدهر علمًا، وذكاء، وكثرة التصانيف. قل أن ترى العيون مثله»[١]

قال عنه الحافظ أحمد بن علي أبي بكر الخطيب البغدادي ت٤٦٣هـ: «استوطن الطبري بغداد، وأقام بها إلى حين وفاته، وكان أحد الأئمة العلماء يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله. وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظًا لكتاب الله، عارفًا بالقراءات، بصيرًا بالمعاني، فقيهًا في أحكام القرآن، عالمًا بالسنن وطرقها، وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفًا بأقوال الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفًا بأيام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في (تاريخ الملوك)، وكتاب في التفسير، لم يصنف أحد مثله، وكتاب سماه تهذيب الآثار، لم أرَ سواه في معناه إلا أنه لم يتمه، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة، واختيار من أقاويل الفقهاء. وتفرد بمسائل حفظت عنه»[٢].

=

العربية الدكتور محمود فهمي حجازي / طبعة إدارة الثقافة والنشر بالرياض سنة ١٤١١هـ المجلد الأول الجزء الثاني التدوين التاريخي الترجمة رقم ٣٢ من ص١٥٩ إلى ص١٦٨.

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٩ ص١٥٥. ترجمته كاملة في السير من الترجمة رقم ٢٨٥٦ ج٩ ص ١٥٥ إلى ص١٦٣.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ مدينة السلام/ تحقيق الدكتور بشار عواد معروف/ دار الغرب الإسلامي/ بيروت الطبعة الأولى

=

(ب) أهم الشبهات التي أثيرت حول الطبري وتاريخه:

الشبهة الأولى: بأنه كان يضع الحديث للروافض. فما صحة هذا التهمة؟ وهل كان الطبري عالمًا شيعيًّا أم سنيًّا؟

الرد على الشبهة:

نود أن نثبت أن الذي أثار هذه التهمة قديمًا هو محدث بلاد ما وراء النهر الحافظ أحمد بن علي بن عمر السليماني المتوفى سنة ٤٠٤هـ وهو الذي صرح أن الطبري يضع الحديث للروافض، وإزاء تلكم المقولة قال الحافظ أبو حيان: إن ابن جرير إمام من أئمة الشيعة الإمامية. ولما كنا بصدد البحث عن الحقيقة فإننا نترك علماء الجرح والتعديل يدلون بشهادتهم لتستبين حقيقة هذه التهمة:

قال العلامة عز الدين ابن الأثير المتوفى ٦٣٠هـ في ذكر من توفي سنة ٣١٠هـ: «محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ ببغداد ومولده سنة أربع وعشرين ومائتين، ودفن ليلًا بداره لأن العامة اجتمعت ومنعت من دفنه نهارًا، وادعوا عليه الرفض، ثم ادعوا عليه الإلحاد، وكان علي بن عيسى يقول: والله لو سئل هؤلاء عن معنى الرفض والإلحاد ما عرفوه، ولا فهموه، هكذا ذكره ابن مسكويه صاحب تجارب الأمم، وحاشى ذلك الإمام عن مثل هذه الأشياء، وأما ما ذكره من تعصب العامة فليس الأمر كذلك وإنما بعض الحنابلة تعصبوا عليه ووقعوا فيه فتبعهم غيرهم، ولذلك سبب وهو

=

١٤٢٢هـ مج٢ الترجمة رقم ٥٣٩ ص٥٤٩، ص٥٥٠.

أن الطبري جمع كتابًا ذكر فيه اختلاف الفقهاء لم يصنف مثله، ولم يذكر فيه أحمد بن حنبل، فقيل له في ذلك؟ فقال: لم يكن فقيهًا، وإنما كان محدثًا فاشتد ذلك على الحنابلة، وكانوا لا يحصون كثرة ببغداد، فشغبوا عليه وقالوا ما أرادوا»(١).

قال عنه أبو محمد عبد الله بن أحمد الفرغاني بعد أن ذكر تصانيفه: «وكان أبو جعفر ممن لا يأخذه في الله لومة لائم ولا يعدل في علمه وتبيانه عن حق يلزمه لربه وللمسلمين إلى باطل لرغبة ولا رهبة مع عظيم ما كان يلحقه من الأذى والشناعات من جاهل وحاسد وملحد، وأما أهل الدين والورع فغير منكرين علمه وفضله، وزهده وتركه الدنيا مع إقبالها عليه، وقناعته بما كان يرد عليه من قرية خلفها له أبوه بطبرستان يسيرة، ومناقبه كثيرة لا يحتمل ههنا أكثر من هذا»(٢).

قال الحافظ أبو الوفاء الحلبي الطرابلسي ت٨٤١هـ: «محمد بن جرير الطبري الإمام المفسر أبو جعفر شيخ الإسلام وصاحب التصانيف الباهرة توفي سنة عشر وثلاثمائة، ثقة، صادق، فيه تشيع وموالاة لا تضر أقذع أحمد بن علي السليماني الحافظ فقال: كان يضع للروافض»(٣).

قال الحافظ المؤرخ شمس الدين الذهبي ت٧٤٨هـ: «محمد بن جرير بن يزيد الطبري الإمام الجليل المفسر أبو جعفر صاحب التصانيف الباهرة ثقة صادق فيه تشيع

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ/ تحقيق الدكتور محمد يوسف الدقاق/ دار الكتب العلمية بيروت/ طبعة أولى ١٤٠٧هـ مج٧ ص٨، ص٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل مج٧ ص ٩، ص١٠.

(٣) أبو الوفاء الحلبي الطرابلسي: الكشف الحثيث/ تحقيق صبحي السامرائي/ مكتبة النهضة العربية/ بيروت١٤٠٧/ ج١/ ٢٢١

يسير وموالاة لا تضر. أقذع أحمد بن علي السليماني الحافظ: فقال كان يضع للروافض، كذا قال السليماني. وهذا رجم بالظن الكاذب بل إن ابن جرير من كبار أئمة الإسلام المعتمدين وما ندعي عصمته من الخطأ ولا يحل لنا أن نؤذيه بالباطل والهوى، فإن كلام العلماء بعضهم في بعض ينبغي أن يتأنى فيه ولاسيما في مثل إمام كبير»[١].

قال عنه الحافظ شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد المتوفى سنة ١٠٨٩هـ في ذكر من توفي سنة ٣١٠هـ: «وفيها البحر الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، صاحب التفسير، والتاريخ، والمصنفات الكثيرة. سمع من إسحاق بن أبي إسرائيل، ومحمد بن حميد الرازي وطبقتهما. وكان مجتهدًا لا يقلد أحدًا. قال إمام الأئمة ابن خزيمة: ما أعلم على الأرض أعلم من محمد بن جرير. وقال أبو حامد الإسفراييني الفقيه: لو سافر رجل إلى الصين، حتى يحصل على تفسير محمد ابن جرير لم يكن كثيرًا. وكذلك أثنى ابن تيمية على تفسيره للغاية»[٢].

قال العلامة صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي المتوفى ٧٦٤هـ: «محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري وقيل يزيد بن كثير بن غالب صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إمامًا في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك، وله مصنفات مليحة في فنون عديدة وكان من الأئمة المجتهدين لم يقلد أحدًا. وكان ابن

(١) الذهبي: ميزان الاعتدال: دار الكتب العلمية/ بيروت/ ج٦/ ص٩٠

(٢) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا/ دار الكتب العلمية بيروت/ ١٤١٩هـ مج٢ ص٤٥٠.

جرير ثقة في نقله، وتاريخه أصح التواريخ»[١].

قال عنه الحافظ النووي: «هو الإمام البارع في أنواع العلوم، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري. وهو في طبقة الترمذي، والنسائي. سمع عبد الملك بن أبي الشوارب، وأحمد بن منيع البغوي، ومحمد بن حميد الرازي، والوليد بن شجاع، وأبا كريب محمد بن العلاء، ويعقوب بن إبراهيم الدورقي، وأبا سعيد الأشج، وعمرو بن علي، ومحمد بن المثنى، ومحمد بن يسار، وغيرهم من شيوخ البخاري ومسلم. وحدث عنه أحمد بن كامل، ومحمد بن عبد الله الشافعي/ ومخلد بن جعفر، وخلائق»[٢].

قال العلامة ابن عبد الهادي المتوفى ٧٤٤هـ: «محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام الفرد الحافظ، أبو جعفر الطبري، أحد الأعلام، وصاحب التصانيف، من أهل آمل طبرستان. أكثر التطواف، وسمع محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، وأبا همام السكوني، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وإسماعيل بن موسى الفزاري بن بنت السدي، ومحمد بن حميد الرازي، وأحمد بن منيع، وأبا كريب، وهنّاد بن السري، خلائق. وأخذ القراءة عن جماعة»[٣].

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات/ تحقيق أحمد الأرناءوط وتركي مصطفى/ دار إحياء التراث العربي بيروت/ طبعة أولى ١٤٢٠هـ ج٢ الترجمة رقم ٧٢٢ ص٢١٢.

(٢) النووي: تهذيب الأسماء واللغات/ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا / دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ / ج١ ص٨٢.

(٣) ابن عبد الهادي: طبقات علماء الحديث/ تحقيق أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق/ مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية =

وعمل ابن دريد قصيدة يقول فيها:

«إن المنية لم تتلف به رجلًا * بل أتلفت علمًا للدين منصوبا
كان الزمانُ به تصفو مشاربُهُ * والآن أصبح بالتكديرِ مقطوبا
كلاَّ وأيامُهُ الغُرُ التي جَعلتْ * للعلم نورًا وللتقوى محاريبا
أودى أبو جعفرٍ والعلم فاصطحبا * أعظِمْ بذا صاحبًا إذ ذاك مصحوبا
ودَّتْ بقاعُ بلادِ الله لو جُعلتْ * قبرًا له فحباها جسمُهُ طِيبا»[(١)]

لكن كيف يتهم إمام حافظ مثل السليماني على جلالة قدره لابن جرير الطبري؟! فما أدلته على هذه التهمة؟! قبل الإجابة على السبب الذي دفع الحافظ السليماني اتهام الطبري بالرفض! فمن هو الحافظ السليماني:

قال عنه الذهبي: «الإمام الحافظ المعمر، محدث ما وراء النهر، أبو الفضل أحمد بن علي بن عمرو بن حمد بن إبراهيم بن يوسف بن عنبر، سبط أحمد بن سليمان، السليماني البيكندي البخاري ولد سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. قال أبو سعد المعاني في الأنساب: السليماني منسوب إلى جده لأمه: أحمد بن سليمان البيكندي، له التصانيف الكبار، رحل إلى الآفاق، ولم يكن له نظير في زمانه إسنادًا وحفظًا ودراية واتقانًا، وكان يصنف في كل جمعة شيئًا، ويدخل من بيكند إلى بخارى، ويحدث بما صنف. قال أبو سعد توفي في ذي

=
١٤١٧هـ/ ج٢ الترجمة ٦٩٦ ص ٤٣١، ص٤٣٢.

(١) ابن عبد الهادي: طبقات علماء الحديث ج٢ ص٤٣٦.

القعدة سنة أربع وأربعمائة وله ثلاث وتسعون سنة»[(١)].

يجيب على هذه الشبهة أيضًا الحافظ الذهبي: «فلعل السليماني أراد الآتي: محمد بن جرير بن رستم أبو جعفر الطبري رافضي له تواليف منها كتاب الرواة عن أهل البيت رماه بالرفض عبد العزيز الكتاني»[(٢)].

أما الحافظ ابن حجر العسقلاني عن الطبري قائلًا: «فلعل السليماني أراد (محمد بن جرير بن رستم أبو جعفر) ولو حلفت أن السليماني ما أراد إلا (محمد بن جرير بن رستم أبو جعفر) لبررت، والسليماني حافظ متقن كان يدري ما يخرج من رأسه فلا أعتقد أنه يطعن في مثل هذا الإمام بهذا الباطل والله أعلم، وإنما نبز بالتشيع لأنه صحح حديث غدير خم. وقد اغتر شيخ شيوخنا أبو حيان بكلام السليماني فقال في الكلام على الصراط في أوائل تفسيره: وقال أبو جعفر الطبري وهو إمام من أئمة الإمامية: الصراط بالصاد لغة قريش إلى آخر المسألة. ونبهت عليه لئلا يغتر به فقد ترجمه أئمة النقل في عصره وبعده، فلم يصفوه بذلك وإنما ضره الاشتراكُ في اسمه واسم أبيه ونسبته وكنيته ومعاصرته وكثرة تصانيفه»[(٣)].

أما العالم الذي تشابه اسمه وكنيته اسم وكنية الإمام الطبري: قال عنه ابن حجر في لسان الميزان: محمد بن جرير بن رستم، أبو جعفر الطبري، رافضي له تواليف، منها

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء الترجمة رقم ٤٠٠٢ ج١٠ ص٤١٢.

(٢) الذهبي: السباق ج٦/ ٩٠

(٣) ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان/ تحقيق عبد الفتاح أبوغدة/ مكتبة المطبوعات الإسلامية/ بيروت طبعة أولى ١٤٢٣هـ/ ج٣ الترجمة رقم ٦٥٧٩ ص٢٦

«كتاب الرواة عن أهل البيت». رماه بالرفض عبد العزيز الكتاني. وقد ذكره أبو الحسن بن بانويه في تاريخ الري بعد ترجمة محمد بن جرير الإمام، فقال: هو الآملي، قدم الري، وكان من جلة المتكلمين على مذهب المعتزلة، له مصنفات. ولعل ما حكي عن محمد بن جرير الطبري من الاكتفاء في الوضوء بمسح الرجلين، إنما هو هذا الرافضي، فإنه مذهبهم»[١].

على نور ما سبق نستطيع أن نخلص بالنتائج التالية:

(أ) براءة الحافظ العلامة ابن جرير الطبري مما هو منسوب إليه من تهمة الرفض والتشيع ووضع أحاديث لمصلحة أهل البيت.

(ب) أن الحافظ السليماني اختلط عليه الأمر حيث ظن أن الشيعي أبا جعفر محمد بن جرير بن رستم هو نفسه أبا جعفر بن جرير الطبري صاحب التاريخ والتفسير.

(ج) أما الرجل الآخر الذي يتفق اسمه وكنيته ولقبه مع ابن جرير السني يقول عنه الحافظ ابن حجر: «محمد بن جرير بن رستم أبو جعفر الطبري رافضي له تواليف منها كتاب الرواة عن أهل البيت رماه بالرفض عبد العزيز الكتاني[٢] انتهى. وقد ذكره أبو الحسن بن بابويه في تاريخ الري بعد ترجمة محمد بن جرير الإمام فقال: هو الآملي قدم الري وكان من جلة المتكلمين على مذهب المعتزلة وله مصنفات روى عنه الشريف أبو محمد الحسن بن حمزة الرعيني وروى أيضا عن أبي عثمان المازني وجماعة وعنه أبو الفرج

---

(١) ابن حجر لسان الميزان ج٣ الترجمة رقم ٥٦٨٠ ص٢٩، ص٣٠ بتصرف يسير.

(٢) قال الذهبي: «محمد بن جرير بن رستم أبو جعفر الطبري. قال عبد العزيز الكتاني هو من الروافض صنف كتباً كثيرة في ضلالتهم، له كتاب الرواة عن أهل البيت، وكتاب المسترشد في الإمامة» (سير أعلام النبلاء الترجمة ٢٨٥٧ ج٩ ص١٦٤.

الأصبهاني في أول ترجمة ابن الأسود من كتابه وذكر شيخنا في الذيل بما تقدم أولا وكأنه سقط من نسخته أراد الآتي بعد لعل السليماني إلى آخره، وكأنه لم يعلم بأن في الرافضة من شاركه في اسمه واسم أبيه ونسبه وإنما يفترقان في اسم الجد ولعل ما حكي عن محمد بن جرير الطبري من الاكتفاء في الوضوء بمسح الرجلين إنما هو هذا الرافضي فإنه مذهبهم»[١].

(د) الطبري من أئمة علماء أهل السنة بشهادة علماء الجرح والتعديل وصيارفة الإسلام في علم أحوال الرجال كالذهبي وابن حجر والبغدادي والطرابلسي وغيرهم.

(هـ) أن الطبري في كتابه صريح السنة قال بما لا يدع مجالًا للشك في القول في صحابة الرسول ﷺ: «وكذلك نقول: فأفضل أصحابه ﷺ الصديق أبو بكر رضي الله عنه ، ثم الفاروق بعده عمر، ثم ذو النورين عثمان بن عفان، ثم أمير المؤمنين وإمام المتقين علي بن أبي طالب، رضوان الله عليهم أجمعين»[٢].

(و) أما أنه كان فيه تشيع يسير وموالاة لأهل البيت لا تضر.. لا يعني ذلك أن الرجل كان يميل إلى عقيدة الشيعة بالمعنى الانحرافي؛ فالطبري شأنه شأن بعض العلماء الذين يوالون عليًّا رضي الله عنه في خلافه مع معاوية رضي الله عنه فقط. وهذه النعوت كان يستخدمها بعض علماء أهل السنة كابن قتيبة فكان يقول عن الرجل أو الراوي أنه شيعي بمجرد الموالاة لعلي بن أبي طالب وآل بيته دون الحط من منزلة الشيخين أبي بكر وعمر ﭬ ودون أن يستتبع ذلك غلو أو سب في عموم الصحابة فإذا تجاوز هذا الحد إلى

(١) لسان الميزان/ ج٥/ ص١٠٣.

(٢) الطبري: صريح السنة/ تحقيق بدر بن يوسف المعتوق/ دار الخلفاء للكتاب الإسلامي/ الكويت/ الطبعة الثانية محرم ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م ص٣٢.

درجة الغلو فهنا يتحول المصطلح من شيعي إلى رافضي وهم خارجون على منهج أهل السنة والجماعة. هذا هو المقصود من مصطلح شيعي قديمًا، أما بعد تطور هذا المصطلح عقب العصور المختلفة في تاريخ الإسلام فقد تغير مدلوله الآن وصار مصطلحًا يتناقض ومنهج أهل السنة ومن ثم فلا يتصور أن يستخدم هذا المصطلح في وقتنا الحاضر بغية نعت أحد علماء أهل السنة بحجة أنه يوالي عليًّا رضي الله عنه وآل البيت؛ لأن كلمة شيعي الآن لها دلالة تختلف عن معناها الاصطلاحي قديمًا.

ثالثًا: ما حقيقة اتهام الطبري أنه كان يروي عن بعض الرواة الضعفاء المتهمين لدى علماء الجرح والتعديل كأبي مخنف ومحمد بن السائب الكلبي وابنه هشام وغيرهم؟

مما لاشك فيه أن الطبري روى عن أبي مخنف وابني الكلبي؛ ولنا وقفة مع هؤلاء الإخباريين بعد أن نلقي الضوء على أهم المصادر التي استند عليها الطبري في تاريخه:

مصادر الطبري في تاريخه:

تاريخ الطبري قسمان: القسم الأول يبدأ منذ بدء الخليقة فقد تكلم عن آدم وحواء والرسل وتاريخ الروم والفرس وتاريخ العرب واليمن وأجداد النبي ﷺ قبل البعثة النبوية ولم يلتزم فيه ترتيب السنين ولكنه أورده على أساس المواضيع.

القسم الثاني: تكلم عن بعثة الرسول من ميلاده وتكليفه بالنبوة وبغزواته وسراياه حتى وفاته ﷺ ثم تكلم عن بيعة الصديق وأحداث التاريخ الإسلامي المتلاحقة حتى أحداث سنة ٣٠٢هـ وقد كان الطبري فرغ من تأليفه كتابه تاريخ الأمم والملوك أو حسب تسمية آخرين للكتاب تاريخ الرسل والملوك سنة ٣٠٣هـ.

«ومصادر الطبري في كتابه واضحة لأنه سجلها في إسناد أخباره وأهمها:

(أ) في تاريخ الرسل والأنبياء: كتب التفسير وسيرة ابن إسحاق، وكتب وهب بن منبه.

(ب) في تاريخ الفرس: ترجمات في بعض كتبهم وخاصة كتب ابن المقفع وهشام الكلبي وما لديه من معلومات منقولة عن وثائق ومدونات الحيرة.

(ج) في تاريخ الروم: على ما نقله كتاب النصارى منه إلى العربية.

(د) وفي تاريخ اليهود: على كتبهم وقصصهم التوراتي.

(هـ) في تاريخ العرب قبل الإسلام: على ما كتبه عبيد بن شرية ومحمد بن كعب القرظي ووهب بن منبه وخاصة هشام الكلبي وابن إسحاق.

(و) وأما في السيرة النبوية: فقد استند إلى مؤلفات أبان بن عثمان وعروة بن الزبير وشرحبيل بن سعد وموسى بن عقبة وعاصم بن عمر وابن شهاب الزهري وابن إسحاق.

(ز) وأخذ حروب الردة والفتوح: عن سيف بن عمر الأسدي والمدائني.

(ح) ومصادره في موقعتي الجمل (٣٦هـ)، وصفين (٣٧هـ): ما كتبه أبو مخنف والمدائني وسيف بن عمر.

(ط) وأخذ تاريخ الأمويين: عن عوانة بن الحكم وأبي مخنف والمدائني والواقدي وعمر بن شبة وهشام الكلبي.

(ي) فإذا انتهى إلى العهد العباسي: اعتمد على أحمد بن أبي خيثمة وأحمد بن زهير والمدائني وعمر بن راشد والهيثم بن عدي والواقدي وابن طيفور (وإن لم يذكره إلا مرة

واحدة))»[١].

نلاحظ أن الطبري لم يعتمد في السيرة النبوية على مرويات أبي مخنف وابني الكلبي. لكن أخطر مصادره بحق هي مرويات أبي مخنف عن موقعتي الجمل وصفين لأن هناك تزويرًا وتلفيقًا وسبًّا يخلص المرء بعد اطلاعه على هاتين الموقعتين أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا مجموعة من أصحاب الدنيا الذين يتقاتلون على ملك زائل يشتم بعضهم بعضًا ويسب بعضهم بعضًا وكأن رسول الله ﷺ -حاشاه ذلك- قد فشل في تربيتهم وتأديبهم وصحابة رسول الله براء من هذه المرويات الكاذبة التي رواها أبو مخنف وابنا الكلبي وغيرهما، ومن ثم لزام علينا أن نلقي الضوء على هؤلاء الإخباريين:

أما أبو مخنف لوط بن يحيى ت١٥٧هـ: لقد قام أحد الباحثين بإحصاء مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري حيث «قد بلغت رواياته في تاريخ الطبري قرابة ستمائة رواية استغرقت الفترة من وفاة النبي ﷺ حتى سنة ١٣٢هـ، وهي فترة تأسيس الأمة ونشأة النظم الإسلامية وإقامة صرح دولة الإسلام الأولى التي اعتبرت نموذجًا يحتذى وقدوة لكل العصور التي تلتها. فلا شك أن أية محاولة لتشويه صورتها الصحيحة لن يتوقف تأثيرها في التصور التاريخي فقط، بل سيمتد إلى سائر محاولات المتابعة والاقتداء عبر الزمان»[٢].

(١) شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون/ دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٣م ج١ ص٢٥٥.

(٢) يحيى بن إبراهيم علي اليحيى: مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري (عصر الخلافة الراشدة) دراسة نقدية/ دار العاصمة الرياض/ ص٦. وقد ذكر المؤلف الموضوعات التي تناولتها روايات أبي مخنف على النحو التالي: أولاً الخلفاء الراشدون أربع وأربعون ومائة رواية. ثانياً: الدولة الأموية: في خلافة معاوية رضي الله عنه إحدى وأربعون رواية. وفي خلافة يزيد ثمان عشرة
=

قال عنه الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ت٢٧٢هـ: «قرئ على العباس بن محمد الدوري قال: سمعت يحيى بن معين يقول: أبو مخنف ليس بثقة نا عبد الرحمن قال: سمعت أبي يقول: متروك»[١].

يقول عنه ابن حجر العسقلاني: «إخباري تالف لا يوثق به تركه أبو حاتم وغيره، وقال الدارقطني: ضعيف. وقال يحيى بن معين: ليس بثقة، وقال مرة: ليس بشيء. وقال ابن عدي: شيعي محترق. وقال أبو عبيد الآجري: سألت أبا حاتم عنه فنفض يده وقال: أحد يسأل عن هذا! وذكره في الضعفاء»[٢].

وقال الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي ت٢٦٥هـ: «حدث بأخبار من تقدم من السلف الصالحين، ولا يبعد منه أن يتناولهم وهو شيعي محترق صاحب أخبارهم»[٣].

أما عن محمد بن السائب الكلبي ت١٤٦هـ: وقال عنه الحافظ الجوزجاني: «الكلبي محمد بن السائب: كذاب ساقط. حُدثتُ عن المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: كان

=

ومائة رواية. وفي عهد مروان وابن الزبير ست وأربعون رواية. وفي عهد عبد الملك بن مروان وابن الزبير ثمان وتسعون رواية. وفي خلافة عبد الملك بن مروان سبع مائة رواية. وفي خلافة الوليد بن عبد الملك روايتان. وفي خلافة سليمان بن عبد الملك تسع روايات. وفي خلافة عمر بن عبد العزيز ثلاث روايات. وفي خلافة يزيد بن عبد الملك سبع روي. وفي خلافة هشام بن عبد الملك ثلاث روايات. وفي خلافة الوليد بن يزيد رواية واحدة. وفي خلافة مروان بن محمد سبع روايات. بتصرف عن يحيى بن إبراهيم اليحيى: مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري من ص١٤ إلى ص١٨.

(١) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل / دار إحياء التراث/ بيروت/ ج٧/ ص١٨٢.

(٢) لسان الميزان/ ج٤/ ص٤٩٣

(٣) ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال/ تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض/ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ج٧ الترجمة رقم ١٦٢١ ص٢٤١.

بالكوفة كذابان، فمات أحدهما، والسُدِّيُّ والكلبيُّ. حُدثتُ عن علي بن الحسين بن واقد حدثني أبي قال: قدمتُ الكوفةَ ومُنْيَتي لقيُّ السدي، فأتيتُه فسألتُه عن تفسير سبعين آيةٍ من كتاب الله تعالى فحدثني بها، فلم أقم من مجلسي حتى سمعته يشتم أبا بكر وعمر ﭬ، فلم أعد إليه. وأما الكلبي فالأمر فيه أطمُّ وأعظمُ. سمعت سليمان بن معبد يقول: حدثنا الأصمعي قال: سمعتُ قُرَّةَ بن خالدٍ يقول: كانوا يرون أنَّ الكلبي يُذَّرِفُ. قلتُ للأصمعي: وما التذريف؟ قال: الزيادةُ»[١].

يقول الذهبي: «العلامة الإخباري أبو النضر محمد بن السائب بن المفسر وكان أيضا رأسًا في الأنساب إلا أنه شيعي متروك الحديث يروي عنه ولده هشام وطائفة»[٢].

وقال الذهبي أيضًا في ميزان الاعتدال عن محمد بن السائب الكلبي: «وقال يزيد بن زريع وكان سبئيًّا قال أبو معاوية: قال الأعمش: اتق هذه السبئية فإني أدركت الناس وإنما يسمونهم الكذابين. وقال ابن حبان (عن ابن الكلبي): سبئيًّا من أولئك الذين يقولون: إن عليًّا لم يمت وإنه راجع إلى الدنيا ويملؤها عدلا كما ملئت جورًا، وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها. وقال الجوزجاني وغيره: كذاب، وقال الدارقطني وجماعة: متروك. وقال ابن حبان: مذهبه في الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه»[٣].

---

(١) الجوزجاني: أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب المتوفى ٢٥٩هـ: أحوال الرجال تحقيق السيد صبحي السامرائي/ مؤسسة الرسالة ط١ لسنة ١٤٠٥هـ ص٥٤

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء/ ج٦/ ص٢٤٨. وترجم له الذهبي في تاريخ الإسلام تحقيق الدكتور عبد السلام تدمري

(٣) ميزان الاعتدال/ ج٦/ / ص١٦١

وقال ابن حجر العسقلاني في تقريب التهذيب: «محمد بن السائب أبو النضر الكوفي النسابة المفسر، متهم بالكذب ورمي بالرفض»[١].

أما هشام بن السائب الكلبي ت٢٠٤هـ: وقال ابن عدي في كتابه الكامل في ضعفاء الرجال: «هشام بن محمد بن السائب ومحمد بن السائب والده صاحب التفسير سمعت ابن حماد يقول: حدثني عبد الله سمعت أبى يقول: هشام من يحدث عنه إنما هو صاحب سمر ونسبة وما ظننت أن أحدًا يحدث عنه، وهذا كما قال أحمد: هشام الغالب عليه الأخبار والأسمار والنسبة ولا أعرف له شيئًا من المسند»[٢].

وذكره الخطيب البغدادي بعد أن ساق بسنده قائلًا: «حدثنا عبد الله بن أحمد قال: سمعت أبى يقول: هشام بن محمد بن من يحدث عنه إنما هو صاحب نسب وسمر وما ظننت أن أحدًا يحدث عنه، بلغني أن هشام مات في سنة أربع ومائتين وقيل سنة ست ومائتين»[٣].

يقول عنه ابن حجر: «هشام بن محمد بن أبو المنذر الإخباري النسابة العلامة روى عن أبيه أبي المفسر وعن مجالد وحدث عنه جماعة قال أحمد بن حنبل: إنما كان صاحب سمر ونسب، ما ظننت أن أحدًا يحدث عنه، وقال الدارقطني وغيره: متروك، وقال بن

---

(١) تقريب التهذيب/ ابن حجر العسقلاني/ دار الرشيد/ سوريا/ ج١/ ص٤٧٩.

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال/ ج٧/ ص١١٠

(٣) تاريخ بغداد/ ج١٤/ ص٤٥

عساكر: رافضي ليس بثقة»[١].

صفوة القول:

إن أبا مخنف إخباري رافضي تالف متهم بالكذب، شيعي محترق. أما محمد بن السائب الكلبي وابنه هشام فهما إخباريان متهمان بالرفض والتشيع وتلفيق المرويات التاريخية.

لكن يبقى السؤال قائمًا: لماذا روى الطبري عن هؤلاء الإخباريين رغم تجريح العلماء لهم؟ نجد الإجابة على هذا التساؤل في مقدمة تاريخ الطبري؛ إذ يوضح لنا منهجه بكل صراحة: «فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهًا في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا وإنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا»[٢].

هكذا يلقي الطبري تبعة الرواية على عهدة الراوي لأنه يعلم أنه بمجرد ذكر اسم الراوي الذي أخذ عنه الخبر أو الحديث فإنه يكون قد أدى الأمانة لأصحابها لأن الناظر علمه بحال الراوي وخاصة في حالة الرواة المجروحين فإنه لن يقبل هذه الرواية الواهية أو المكذوبة.

(١) لسان الميزان/ ج٦/ ص١٩٦

(٢) الطبري: تاريخ الطبري مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت١٤٠٩هـ/ ج١/ ص٥

وهذه كانت طريقة كثير من علماء السلف قديمًا الذين لم يكونوا يشترطون على أنفسهم الصحة في كل المرويات التي يكتبونها. وكنا نود أن يعلق الطبري على الأخبار والخرافات والأساطير والأكاذيب التي قيلت في حق الصحابة رضوان الله عليهم وخاصة في موقعتي الجمل وصفين تلك المرويات التي اعتمد عليها كل من أراد النيل من تاريخ الصحابة الأخيار رضوان الله عليهم حتى صار الأمر ببعض البسطاء باعتقادهم أن ما شجر بين الصحابة مسلَّم به لأنه مروي عن ابن جرير لأنه المصدر الأساسي لكل هذه الكتب التي تناولت الحقبة التاريخية الأولى التي رواها الإخباري الخبيث أبو مخنف وابنا الكلبي.

هكذا بعد هذا التطواف نستطيع أن نؤكد أن الطبري إمام حافظ ثقة براء مما هو منسوب إليه رحمه الله.

الكتاب الثاني: خليفة بن خياط ومنهجه في كتابة التاريخ:

نقدم كتاب تاريخ خليفة بن خياط كأنموذج من نماذج كتب التاريخ العام؛ وقبل أن نتكلم عنه كمصدر من مصادر السيرة النبوية؛ نود أن نوضح لماذا اخترنا كتاب خليفة بن خياط على غيره من كتب التاريخ العام مثل الكامل لابن الأثير وتاريخ الإسلام للذهبي والمنتظم لابن الجوزي والبداية والنهاية لابن كثير؟ رغم أن خليفة بن خياط تكلم فيه بعض علماء الجرح والتعديل حيث غمزه ابن المديني وقال عنه: (ابن خياط شجر يحمل الحديث)!! ولم يحدث عنه أبو حاتم الرازي ولم يوثقه أبو زرعة الرازي.

وسنناقش هذا الاعتراض والرد عليه على النحو التالي:

أولًا: التعريف بابن خياط وأقوال العلماء فيه تجريحًا وتعديلًا.

ثانيًا: منهج ابن خياط في كتابة التاريخ.

ثالثًا: صفوة القول.

أولًا: التعريف بابن خياط[١] وأقوال العلماء فيه تجريحًا وتعديلًا:

عرفه لنا الحافظ المزي المتوفى سنة ٧٤٢هـ: «خليفة بن خياط بن خليفة بن خياط العصفري أبو عمرو البصري الحافظ المعروف بشباب. قال الخطيب: وعصفر فخذ من العرب، كان عالمًا بالنسب والسير وأيام الناس»[٢].

وذكره الحافظ القيسراني المتوفى (٥٠٧هـ) في كتابه (تذكرة الحفاظ): «الحافظ الإمام أبو عمرو العصفري المعروف بشباب محدث نسابة إخباري علامة صنف التاريخ والطبقات وسمع ابن عيينة ويزيد بن زُريع وغندرًا وطبقتهم وعنه البخاري وبقي بن مخلد وعبدان وأبو يعلى وطائفة، قال ابن عدي: مستقيم الحديث صدوق من متيقظي الرواة. قال مطين: مات سنة أربعين ومائتين رحمه الله تعالى يقع لنا حديثه عاليًا من مسند أبي يعلى الموصلي»[٣].

ويقول عنه الحافظ السيوطي المتوفى (٩١١هـ): خليفة بن خياط بن خليفة بن خياط

---

(١) كتب الدكتور أكرم ضياء العمري مقدمة نفيسة عن حياة خليفة بن خياط وتاريخه ومؤلفاته في مقدمة كتابه تاريخ خليفة بن خياط/ دار طيبة للنشر والتوزيع/ الرياض الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م من ص ٣ إلى ص٣٢.

(٢) المزي: أبو الحجاج يوسف المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال/ تحقيق د. بشار عواد معروف / مؤسسة الرسالة بيروت/ طبعة الثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م مج ٨ ص ٣١٤.

(٣) القيسراني: محمد بن طاهر: تذكرة الحفاظ/ دار الصيميعي بنشر/ الرياض/ ج٢ ص٤٣٦.

العصفري أبو عمرو البصري الحافظ المعروف بشباب كان عالمًا بالنسب والسير وأيام الناس، روى عن ابن علية وبشر بن المفضل وأبي داود الطيالسي وابن عيينة وابن مهدي ويزيد بن زريع وعنه البخاري وأبو يعلى وبقي بن مخلد وحرب بن إسماعيل الكرماني والدارمي وعبد الله بن أحمد بن حنبل»[(١)].

وقال عنه الحافظ ابن حبان المتوفى (٣٥٤هـ): «خليفة بن خياط بن خليفة بن خياط، أبو عمر العصفري من أهل البصرة يقال له شباب يروي عن ابن عيينة والبصريين، حدثنا عنه الحسن بن سفيان وغيره وكان عالمًا متقنًا بأيام الناس وأنسابهم»[(٢)].

ويقول عنه الحافظ شمس الدين الذهبي المتوفى (٧٤٨هـ) في (ميزان الاعتدال): «خليفة بن خياط العصفري الحافظ شباب صاحب التاريخ، روى عن جعفر بن سليمان ومعتمر بن سليمان ويزيد بن زريع وخلق، وعنه البخاري وأبو يعلى وعبدان وخلق»[(٣)].

لكن، لماذا ضعفه بعض العلماء رغم ثناء جماهير علماء الأمصار عليه؟! أقول: لقد اختلط على بعض المعاصرين الأمر وسبب ذلك أنهم يتعاملون مع ابن خياط من منظور واحد فخليفة بن خياط محدث ومؤرخ في وقت واحد فمن نظر إلى قول بعض العلماء فيه من الناحية الحديثية ومن حيث الرواية بشروطها وضوابطها الصارمة يضعفونه..

---

(١) السيوطي: طبقات الحفاظ/ دار الكتب العليمة/ بيروت/ ص١٩٣.

(٢) ابن حيان: محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي: الثقات/ تحقيق إبراهيم شمس الدين وتركي فرحان المصطفى/ دار الكتب العلمية بيروت/ طبعة أولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٨م ج٥ ص١٦٠ وص١٦١.

(٣) الذهبي: ميزان الاعتدال/ دار الكتب العليمة/ بيروت/ ج٢ ص٢٥٧.

ومن ينظر إليه كمؤرخ علامة نسابة فهو الإمام المقدم في هذا الفن ومن ثم يتساهلون في بعض مروياته التاريخية.. ورغم ذلك فإنه محدث ثقة وليس كما يتوهم البعض أنه ضعيف، وسوف نثبت ذلك من خلال أقوال صيارفة الإسلام في علم التعديل والتجريح..

أصل هذه القضية: كيف وصل إلينا الأمر أن خليفة بن خياط ضعيف الرواية على النحو التالي؟ قال الحافظ ابن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة ٣٢٧هـ: «خليفة بن خياط بن خليفة بن خياط أبو بكر المعروف بشباب العصفري، روى عن يزيد بن زريع وبشر بن المفضل ومعتمر بن سليمان سمعت أبي يقول ذلك. وسألته عنه فقال: لا أحدث عنه، هو غير قوي، كتبت من مسنده أحاديث ثلاثة عن أبي الوليد فأتيت أبا الوليد وسألته عنها فأنكرها وقال: ما هذه من حديثي. فقلت: كتبتها من كتب شباب العصفري. فعرفه وسكن غضبه. قال أبو محمد: انتهى أبو زرعة إلى أحاديث كان أخرجها في فوائد عن شباب العصفري فلم يقرأ علينا فضربنا عليه وترك الرواية عنه»[(١)].

وقد علق الشيخ العلامة عبد الرحمن المعلمي على ذلك: «سكون غضب أبي الوليد يشعر بأنه لم يكذب خليفة ويحتمل أن يكون شباب قد كان استكثر من حديث أبي الوليد أخذًا من أصوله وكانت تلك الثلاثة مما لا يحفظه أبو الوليد فأنكرها ثم لما عرف أن شبابًا هو رواها عنه، حملها على أنها عنده في أصوله، ولكنه لا يحفظها».

(١) ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي: الجرح والتعديل/ تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي/ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحدير آباد الدن الهند الطبعة الأولى ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م طبعته دار الكتب العلمية بيروت/ القسم الثاني من المجلد الأول ج٣ ص٣٧٨ وص ٣٧٩ ورقم الترجمة ١٧٢٨.

ويشرح لنا الحافظ أبو الوليد الباجي المتوفى (٤٧٤هـ) أصل المشكلة بتفصيل أكثر في كتابه (التعديل والتجريح): «خليفة بن خياط يقال له شباب أبو عمرو العصفري البصري أخرج البخاري في الجنائز والدعوات عنه عن معتمر قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: انتهى أبو زرعة الرازي إلى أحاديث كان أخرجها في فوائده عن شباب العصفري فلم يقرأها علينا فضربنا عليها وتركت الرواية عنه قال أبو حاتم الرازي: لا أحدث عن شباب هذا هو غير قوي. كتبت من مسنده أحاديث ثلاثة عن أبي الوليد فأتيت أبا الوليد فسألته عنها فأنكرها. فقلت: كتبتها من كتاب شباب العصفري فعرفه وسكن غضبه وهذا على نحو ما قالوا، وإنما يقول البخاري عنه في أكثر ما خرج وقال خليفة بن خياط: وقد قال: حدثني خليفة بن خياط وقرنه بابن أبي الأسود جميعًا عن معتمر في باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة وقال في تفسيره لسورة البقرة: وقال لي خليفة بن خياط عن يزيد بن زريع وقرنه بمسلم عن هشام وقال في الردة: وحدثني خليفة بن خياط وقرنه بمحمد بن أبي بكر على هذا رأيت أمره إذا أفرده قال: وقال لي خليفة وإذا قرنه قال: وحدثني خليفة»[١].

هكذا استبان لنا لماذا غمز بعض العلماء ابن خياط؟! فالحافظ أبو الوليد الباجي ذكر قول أبي حاتم الرازي: (لا أحدث عن شباب هذا هو غير قوي كتبت من مسنده أحاديث ثلاثة... إلخ) لكن لما عرضها على الحافظ أبي الوليد أنكرها!! لكن أبا حاتم تدارك الأمر وقال: كتبتها من كتاب شباب العصفري.. بمعنى أنه إذا صرح خليفة بن خياط فهو ثبت ثقة أما إذا لم يصرح وقال الراوي: قال خليفة بن خياط.. فهنا لا يقبلون

(١) الباجي: أبو الوليد: التعديل والتجريح/ دار اللواء للنشر والتوزيع/ الرياض/ ج٢ ص٥٥٧.

روايته إذا انفرد ولم يصرح بالتحديث.. وحاول الحافظ الباجي أن يبرر لماذا روى عنه البخاري في صحيحه؟! بمعنى أوضح إذا كان خليفة بن خياط ضعيفًا فلماذا روى البخاري عنه في صحيحه؟ بل إن خليفة بن خياط من شيوخ البخاري.. وقد قيل: إن البخاري روى عنه مقرونًا بغيره...

ولنترك الحافظ شمس الدين الذهبي ليتكلم عن الخلفية العلمية لابن خياط ولنعرف رأيه في هذه القضية من خلال ترجمته في كتابه (سير أعلام النبلاء): «خليفة بن خليفة بن خياط الإمام الحافظ العلامة الإخباري، أبو عمرو العصفري البصري، ويُلقب بشَبَاب، صاحب (التاريخ)، وكتاب (الطبقات)، وغير ذلك. سمع أباه، ويزيدَ بنَ زريع، وزيادَ بنَ عبد الله البكائي، وسفيان بن عيينة، وعبد الأعلى بن عبد الأعلى، ومحمدَ بنَ جعفر غُنْدَرًا، وإسماعيل ابن عُلية، ومحمدَ بنَ أبي عدي، ومُعْتَمر بن سليمان، ومحمد بن سَوَاء، وخالد بن الحارث، ويحيى القطّان، وابنَ مهدي، وأميةَ بنَ خالد، وحاتم بن مسلم، وهشام الكلبي، وعلي بن محمد المدائني، وخلقًا كثيرًا»[١].

ونجد دقة الذهبي في استدراكه لشيخه الحافظ العلامة أبي الحجاج المزي المتوفى (٧٤٢هـ) في مسألة فنية بحتة وهو بصدد الكلام عن شيوخ خليفة بن خياط حيث يقول: «ذكر شيخنا في (تهذيب الكمال) أنه روى أيضًا عن حماد بن سلمة فهذا وهم بيّن، فإنّ الرجل لم يلحق أيضًا السماع من حماد بن زيد، وأُراه رآه»[٢].

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء/ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ ج١١ ص٤٧٢ وص ٤٧٣.

(٢) الذهبي: المرجع السابق ص ٤٧٣.

وصرح الذهبي في تاريخه: «وذكر شيخنا المزي في تهذيبه أنه روى عن حماد بن سلمة. قلت: لم يدركه، فلعله حماد بن أسامة. فتصحف»(١).

ولمن أراد أن يعرف قدر ابن خياط وثقة العلماء فيه وتوثيقهم له يقول عنه صاحب سير النبلاء: «حدث عنه: البخاري بسبعة أحاديث أو أَزْيَد في صحيحه، وبقيُّ بنُ مَخْلد، وحرب الكرماني، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، وأبو بكر بن أبي عاصم، وعمر بن أحمد الأهوازي، وموسى بن زكريا التُستري، وعَبْدَان الجواليقي، وزكريا السّاجي، وخلقٌ. وكان صدوقًا نسّابةً، عالمًا بالسير والأيام والرجال. وثقه بعضهم. وقال ابن عدي: هو صدوق من متيقظي الرواة. قلتُ (الذهبي): ليّنَهُ بعضُهم بلا حجة. قال: مُطَّين وغيرُه: مات سنة أربعين ومائتين. قلت (الذهبي): كان من أبناء الثمانين، وقد أخطأ من قال: مات سنة ست وأربعين»(٢).

أقول: انظر إلى قول الذهبي: (لينه بعضهم بلا حجة).. معنى ذلك أن الذهبي لا يثق في الرواية المذكورة عن أبي حاتم الرازي التي ذكرتها آنفًا.

وينبري ابن حجر العسقلاني المتوفى في (٨٥٢هـ) مدافعًا عن ابن خياط مثلما فعل الذهبي ومن سبقه حيث يذكر في سياق الرد على في وجود أسماء مطعون عليها في صحيح البخاري فيقول في هدي الساري: «خليفة بن خياط العصفري أبو عمرو لقبه

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام: تحقيق د بشار عواد معروف/ دار الغرب الإسلامي بيروت طبعة أولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م مج٥ ص٨١٧.

(٢) الذهبي: السابق ص ٤٧٤.

شباب أحد الحفاظ المصنفين من شيوخ البخاري. قال ابن عدي: له حديث كثير وتصانيف، وهو مستقيم الحديث صدوق من المتيقظين، وقال ابن حبان: كان متقنًا عالمًا بأيام الناس، وقال العقيلي: غمزه ابن المديني، وتعقب ذلك ابن عدي بأنه من رواية الكديمي عن ابن المديني والكديمي ضعيف، لكن روى الحسن بن يحيى عن علي بن المديني نحو ذلك، وقال ابن أبي حاتم: ما رضي أبو زرعة يقرأ علينا حديثه، وقال أبو حاتم: لا أحدث عنه، هو غير قوي كتبت من مسنده ثلاثة أحاديث عن أبي الوليد ثم أتيت أبا الوليد فسألته عنها فأنكرها وقال: ما هذه من حديثي فقلت: كتبتها من كتاب شباب العصفري فعرفه وسكن غضبه.. قلت (ابن حجر): هذه حكاية محتملة وجميع ما أخرجه له البخاري أن قرنه بغيره قال: حدثنا خليفة وذلك في ثلاثة أحاديث وإن أفرده علق ذلك فقال: قال خليفة قاله أبو الوليد الباجي ومع ذلك فليس فيها شيء من أفراده والله أعلم»[١].

أقول: انظر إلى قول ابن حجر (هذه حكاية محتملة) معنى ذلك أن ابن حجر لا يعتد بها ويوهنها وأنه لا يقبلها حجة في قدح ابن خياط وتجريحه. وانظر إلى استدراكه لأبي الوليد الباجي في قوله: (ومع ذلك فليس فيها شيء من أفراده والله أعلم) معنى ذلك أنه سواء قرن روايته البخاري أم أفرده فخليفة بن خياط ثقة ثبت وصدوق.

ثانيًا: منهج ابن خياط في كتابة التاريخ:

خليفة بن خياط من المؤرخين الكبار في التاريخ الإسلامي ومن أعظم رواد مدرسة

---

(١) ابن حجر: العسقلاني: هدي الساري مقدمة فتح الباري/ دار الفكر/ بيروت/ ص٥٦٥ وما بعدها.

البصرة. ألف كتابه الماتع (التاريخ) المشهور باسم (تاريخ خليفة بن خياط)، وله عدة كتب منها (طبقات القراء) (تاريخ الزمنى والعرجان والمرضى والعميان). ولم يبقَ من هذه الكتب إلا كتابه (التاريخ) وكتاب (طبقات القراء).

نستطيع أن نقسم المصادر التي استقى منها معلوماته إلى: مصادره في تدوين السيرة النبوية: معظم معلومات خليفة بن خياط أخذها عن محمد بن إسحاق (ت١٥١هـ) ووهب بن جرير بن حازم المتوفى ٢٠٦هـ، وقد نقل ابن سعد عنه في طبقاته الكبرى، وكذا أبي معشر السندي المتوفى ١٧٠هـ، وعلى بن محمد المدائني المتوفى ٢٢٥هـ، وعلى أبي عبيدة معمر بن المثنى المتوفى ٢٠٩هـ، وآخرين ولاسيما في تاريخ الخلفاء ومن بعدهم. وقد بدأ خليفة بن خياط حوليات كتابه بالسنة الأولى من الهجرة النبوية وانتهى إلى وفاة الرسول ﷺ مع ذكر عماله وكتّابه ثم شرع في ذكر الخلفاء الراشدين وبقية دول الإسلام إلى أحداث ٢٣٢هـ.

أما عن طريقته في السرد التاريخي: يهتم ابن خياط بالإسناد بصفته كمحدث ولاسيما فيما يتعلق بالجزء الخاص بالسيرة النبوية والأحداث الخلافية، واتبع طريقة الحوليات في التاريخ، تلكم الطريقة التي سار عليها الطبري ومعظم من كتب في تاريخ الإسلام.

ويهتم ابن خياط بواقعات وأحداث تاريخية «لا نجدها لدى الطبري نفسه؛ فهو يبدي اهتمامًا خاصًّا بذكر أسماء الشهداء في الغزوات والمواقع المهمة. وهو يقدم قوائم مهمة بأسماء العمال والولاة في عهود الخلفاء ومن كان من الموظفين الكبار على الشرطة وبيت المال والخزائن وغير ذلك من وظائف الإدارة؛ فهو من هذه الناحية مصدر لا

يستغنى عنه لدراسة النظام الإداري والمالي الإسلامي. ثم إنه يقدم معلومات في بعض الأحداث لا توجد لدى غيره مثل أخباره عن شمال إفريقيا وواقعة الحرة والزاوية وغيرها»[١].

وقد ابتدأ ابن خياط كتابه (التاريخ) بإعطائنا نبذة عن معنى التاريخ ومتى بدأ الناس يؤرخون حتى وصل إلى التاريخ الهجري ومتى وكيف حدث ذلك، ومن أراد المزيد فليرجع إلى ما ذكره في مقدمة كتابه.. وهناك كتاب مطبوع بتحقيق د.أكرم ضياء العمري باسم (تاريخ خليفة بن خياط)..

صفوة القول:

يعتبر كتاب تاريخ خليفة بن خياط أقدم كتاب تاريخي وصل إلينا كاملًا عن طريق راويه حافظ الأندلس أبي عبد الرحمن بقي بن مَخْلَد المتوفى سنة ٢٧٦هـ مرتب على الحوليات كما أن مؤلفه محدث ثقة صدوق بشهادة علماء التعديل والتجريح كما ذكرت آنفًا.

أستطيع أن أؤكد أن شيخ المؤرخين الطبري أخذ عن ابن خياط كثيرًا من المعلومات واحتذى طريقته في التأليف المرتب على الحوليات.

قد استبان لنا براءة ابن خياط من الرواية المنسوبة إليه عن طريق الكديمي الذي ضعفه الحافظ ابن أبي حاتم الرازي وقد شكك الحافظ ابن عدي في رواية الكديمي

(١) شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون/ دار العلم للملايين/ بيروت ط ٣ لسنة ١٩٨٣م ج١ ص ٢٣٥.

ودافع بقوة عن خليفة بن خياط ومن ثم سار على نفس الدرب في الدفاع عن ابن خياط علماء كُثر كأبي الوليد الباجي والذهبي وابن حجر العسقلاني والسيوطي وغيرهم من علماء الإسلام.

يعتبر كتاب (تاريخ خليفة بن خياط) وخاصة فيما يتعلق بقسم السيرة النبوية مصدرًا مكملًا لبقية مصادر السيرة النبوية حيث اهتم بأحداث لم يذكرها غيره، ولقد ظلم خليفة بن خياط حيًّا وميتًا، فقد ابتلي بالمعتزلة الذين أتعبوه كثيرًا وناصبوه العداء في عصر الخليفة المأمون وحسده أقرانه لسعة علمه وثقة الناس به؛ وظلم ميتًا حيث لم يأخذ مكان الصدارة في التاريخ الإسلامي ولم يهتم به الباحثون الاهتمام اللائق كمحدث ومؤرخ من كبار مؤرخي الإسلام.

المصدر السابع: كتب الأدب

هل تعتبر كتب الأدب من مصادر السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي؟

وقبل أن نجيب على هذا السؤال نود أن نجيب على النقاط التالية:

أولًا: ما المقصود بكتب الأدب؟

ثانيًا: نماذج من كتب الأدب..

ثالثًا: وهل تعرف كتب الأدب الإسناد كما هو معروف في كتب الأحاديث والسنن؟

رابعًا: ما هي مرتبة كتب الأدب كمصدر من مصادر السيرة النبوية؟

أولًا: المقصود بكتب الأدب:

قبل أن نعرّف كتب الأدب.. نعرّف أولًا معنى علم الأدب؛ لأن هذا العلم لم يكن معروفًا بهذا المصطلح في الجاهلية أي قبل الإسلام ولا حتى القرن الأول الهجري وكانوا يطلقون عليه علم العرب أي العلم الذي يهتم بأيام العرب وشعرهم ونثرهم ومقاماتهم، وفي كلام حسن للرافعي تحت عنوان (الأدب.. تاريخ الكلمة) يقول: «تقلبت هذه اللفظة في العربية على ثلاثة أدوار، تتبع ثلاث حالات من أحوال التاريخ الاجتماعي؛ فهي لم تكن معروفة في الجاهلية وصدر الإسلام إلا بما يؤخذ من معناها النفسي الذي ينطوي فيه وزن الأخلاق وتقويم الطباع والمناسبة بين أجزاء النفس في استوائها على الجملة، وكل ما هو من هذا الباب. ولعل ذلك كان توسعًا منهم في أصل مدلول الكلمة الطبيعي، على ما هو معروف من أمرهم في اشتقاق اللغة وانتزاع بعضها من بعض؛ فإنهم يقولون: أَدَبَ القومَ يأدِبُهم أدَبًا، إذا دعاهم إلى طعام يتخذه. والقوم

أهل بادية مقفرة تأكل فيها الشمس حتى ظلها، وتشرب نسيمَها وطلّها، فإذا هلك فيها الزادُ هلك حامله، وإذا لم يدفع عن نفسه بأسلحة فمِه فالجوعُ قاتله؛ ولذلك تمدّحوا من أقدم أزمنتهم بالقِرى وعدّوه من أعظم مفاخرهم؛ لأنه شريعة الطبيعة التي أدّبتهم هذا الأدب، بل هو شعرها في أخلاقهم، إذ ارتقى بعد ذلك بارتقاء الشعر حتى تخرّقوا فيه، كما يؤثر عن كرائمهم وأجوادهم مما استوعبته كتب المحاضرات. ثم لما جاء الإسلام ووضعت أصول الآداب، واجتمعوا على أن هذا الدين أخلاق يتخلق بها، فشت الكلمة، حتى إذا نشأت طبقة المعلمين لعهد الدولة الأموية، أطلق على بعض هؤلاء لفظ المؤدّبين، وكان هذا الإطلاق توسعًا ثانيًا في مدلول (الأدب) لأنه اكتسب معنى علميًّا إذ صار أثرًا من آثار التعليم. ثم استفاضت الكلمة وكانت مادة التعليم الأدبي قائمة بالرواية من الخبر والنسب والشعر واللغة ونحوها، فأطلقت على كل ذلك، ونزلت منزلة الحقائق العرفية؛ وهذا هو الدور الثالث في تاريخها اللغوي، وهو أصل الدلالة التاريخية»[1]. أقول: هكذا مرت كلمة (الأدب) على ثلاث مراحل تاريخية:

المرحلة الأولى: مدلول الكلمة الطبيعي المشتق من اللغة العربية وهي أشبه بمصطلح لغوي بحت ارتقى زمنيًّا إلى مصطلح وراثي.

المرحلة الثانية: المعنى العلمي لكلمة الأدب وذلك باتخاذه حرفة نظرًا لظهور طبقة المعلمين الذين أطلق عليهم المؤدبين.

(١) تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي/ دار الكتاب العربي بيروت/ ج١/ ص٣١، ص٣٢ بتصرف.

المرحلة الثالثة: استفاضة مادة التعليم القائمة بالرواية والخبر والنسب والشعر والنثر واللغة وهو المعني بأصل الدلالة التاريخية لكلمة الأدب.

وقد ذكر ابن خلدون تعريفًا قيمًا في حد الأدب: «هذا العلم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها. وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الكلمة من شعر عالي الطبقة وسجع متساو في الإجادة ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك متفرقة يستقري منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض من أيام العرب يفهم به ما يقع في أشعارهم منها. وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة. والمقصود بذلك كله أن لا يخفى على الناظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفحه لأنه لا تحصل الملكة من حفظه إلا بعد فهمه فيحتاج إلى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه. ثم إنهم إذا أرادوا حد هذا الفن قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط وهي القرآن والحديث. إذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب إلا ما ذهب إليه المتأخرون عند كلفهم بصناعة البديع من التورية في أشعارهم وترسلهم بالاصطلاحات العلمية فاحتاج صاحب هذا الفن حينئذ إلى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قائمًا على فهمها»[١].

---

(١) مقدمة ابن خلدون/ مؤسسة الأعلمي بيروت/ ج١/ ص٥٣٣.

هكذا استبان لنا المقصود بعلم الأدب ومن ثم نستطيع أن نعرِّف كتب الأدب بالتعريف التالي: يقصد بكتب الأدب تلكم التي تعنى بأشعار العرب ونثرهم وأيامهم ومآثرهم، ويكون غرضها إبراز الكلمة العربية وتفسيراتها وإبراز محاسنها.. والعناية بالطرفة الأدبية والنكتة البلاغية.. مع إضفاء مادة السرور والمرح في المادة المروية ورسم الصور الخيالية.. كما أن كتب الأدب تعنى بأيام العرب وثقافتهم ومستوى معيشتهم من مأكل وملبس وعادات الشعوب وغير ذلك من جوانب حياة المسلمين في عصر الرسالة.. والعصور الإسلامية المختلفة.. والشعر بصفة خاصة يعتبر وثيقة تاريخية مهمة حيث يكون مرآة للحياة الاجتماعية ويصور المعارك ويبرز البطولات ويشيد بأمجاد العرب والمسلمين.

فالشعر بحق كما قالوا قديمًا: ديوان العرب.. «ويمكن القول إنه سجلهم النفيس الذي حفظ تراثهم وتاريخهم وآدابهم وأخلاقهم وإنه متحفهم الناطق الذي دونوا فيه أخبار أبطالهم ووقائع بطولاتهم، وما تفرت به قرائح حكمائهم من حكم بليغة، وأمثال بديعة وآيات في تجارب الحياة. ولولا الشعر العربي؛ لما عرفت الآداب العربية، ولما شهرت القبائل العربية وأخبارها في محافلها وتناقضاتها، وفي تحاربها وتسالمها، ولولاه أيضًا لما عرفت الجغرافيا العربية، ومواقع الصحراء، ومرابعها وواحاتها وجبالها وودياناتها، فإن كل ذلك مدون في أشعار الشعراء، مخلد فيها. ولولاه أخيرًا لما أغنت خزانة العلوم العربية بكل ما تحفل به الآن في مواضيع البالغة والبيان والنحو واللغة

فضلًا عن مواضيع العلوم الإسلامية»[١].

ونظرًا لأهمية دور الشعر في مرويات الأحاديث النبوية نجد اهتمام الإمام البخاري في صحيحه حيث نجده يستشهد كثيرًا بالشعر بل إنه بوب بابًا خاصًّا يقول فيه: «باب: ما يجوز من الشعر والرجز والحُداء وما يكره منه. وهو قوله تعالى ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧].. وساق البخاري بسنده عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: (إن من الشعر حكمة)»[٢].

أقول: فهذا رسول الله ﷺ لما وفدت عليه بنو تميم سنة ٩هـ بعد فتح مكة في العام السابق وقد عم الإسلام بلاد العرب وكان بنو تميم يعتدون بعددهم وبقوتهم ووجاهتهم في العرب. فلما دخلوا على الرسول ﷺ قالوا له: جئنا نفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا.. قال: قد أذنت لكم. فقام عطارد بن حاجب فخطب مفتخرًا بتميم فرد عليه من المسلمين ثابت بن قيس فقال: «الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه قضى فيهما أمره ووسع علمه، فلم يكن شيء قط إلا من فضله. ثم كان من قدره أن جعلنا ملوكًا فاصطفى لنا من خير خلقه رسولًا أكرمه أبًا وأحسنه رأيًا وأصدقه حديثًا، فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه، فكان خيرة الله في عباده، ثم دعانا إلى الإيمان فآمن

(١) الشعر والشعراء/ ابن قتيبة/ دار إحياء العلوم بيروت/ من مقدمة الكتاب بقلم الشيخ حسن تميم/ ص٥.

(٢) فتح الباري/ ابن حجر/ ج١٢/ ص١٧٠ وما بعدها بتصرف.

به المهاجرون من ذوي رحمه أصبحَ الناس وجوهًا وأفضل الناس أفعالًا، وكنا أول من أجابه واستجاب له حين دعانا رسول الله ﷺ، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله نقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه، ومن كفر بالله ورسوله جاهدناه في الله وكان قتله علينا يسيرًا. أقول قولي هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات، وكان الله غفورًا رحيمًا).. ثم قام الزبرقان بن بدر شاعر بني تميم فأنشد قصيدة مطلعها:

نحن الكرام فلا حي يعادلنا * منا الملوك وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ

فلما فرغ من إنشاده قال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت: قم يا حسان، فأجب الرجل.. فقال حسان:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم * قد بينوا سُنةً للناس تُتبعُ

واستمر يرد بشعره على أخي بني تميم الزبرقان بن بدر رضي الله عنه إلى أن قال:

لا يفخرون إذا نالوا عدوهم * وإن أصيبوا فلا خورٌ ولا جزعُ

أكرِمْ بقومٍ رسولُ الله قائدُهم * إذا تفاوتت الأهواءُ والشيعُ»[(١)]

وهذه نماذج لواقعات وأحداث في السيرة النبوية ذكرها حسان بن ثابت رضي الله عنه في شعره:

الأنموذج الأول:

(١) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري/ مج١/ دار صادر بيروت/ ص١٠١ وما بعدها بتصرف.

يذكر حسان رضي الله عنه يوم الرجيع وهو المكان الذي غدرت فيه عضل والقارة بالسبعة نفر الذين أرسلهم النبي ﷺ معهم، ومنهم عاصم بن ثابت حمي الدبر، وخبيب بن عدي، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي فقال يرثيهم بهذه الأبيات ويشير إلى أسمائهم:

«صَلّى الإلهُ على الّذِينَ تَتَابَعُوا * يَوْمَ الرّجِيعِ، فأُكْرِمُوا وأُثِيبوا
رأسُ الكتيبةِ مرثدٌ وأميرهمْ * ابنُ البكيرِ أمامهمْ وخبيبُ
وابنٌ لطارق، وابنُ دثنة منهمُ * وافاهُ ثمّ حمامهُ المكتوبُ
مَنَعَ المَقَادَة أنْ ينَالوا ظَهْرَهُ * حتى يجالدَ، إنهُ لنجيبُ
والعاصمُ المقتولُ عندَ رجيعهمْ * كسبَ المعالي، إنهُ لكسوبُ»[١]

الأنموذج الثاني:

وقال يرثي قتلى بئر معونة:

«على قتلى معونةَ، فاستهلي * بِدَمْعِ العَيْنِ سَحًّا غيرَ نَزْرِ
عَلى خَيْلِ الرّسولِ، غَداةَ لاقَوْا * مناياهمْ، ولاقتهمْ بقدرِ
أصَابَهُمُ الفَنَاءُ، بحَبْلِ قَوْمٍ * تُخُوّنَ عقدُ حبلهمِ بغدرِ
فيا لهفي لمنذرٍ إذْ تولى * وَأعْنَقَ في مَنِيّتِهِ بِصَبْرِ
فكائنْ قدْ أُصِيبَ غَدَاةَ ذاكُمْ * من أبْيَضَ ماجِدٍ مِنْ سِرّ عَمرِو»[٢]

(١) ديوان حسان بن ثابت/ شرح عبد أ. مهنا/ دار الكتب العلمية بيروت ط٤ لسنة ١٤٢٥هـ ص٢٩، ص٣٠.

(٢) ديوان حسان بن ثابت/ ص١١٤.

الأنموذج الثالث:

وقال في سرية مؤتة:

«عيني جودي بدمعك المنزور * واذكري في الرخاء أهل القبور
واذكري مؤتة وما كان فيها * يوم ولوا في وقعة التغوير
حين ولّوا واغادروا ثّم زيدًا * نعم مأوى الضريك والمأسور
حبّ خير الأنام طُرًا جميعًا * سيّد الناس حبّه في الصدور
فاكم أحمد الذي لا سواه * ذاك حُزني معًا له وسروري
ثم جودي للخزرجي بدمعٍ * سَيدًا كان ثَمّ غير نزورِ
قد أتانا من قتلهم ما كفانا * فبحزنٍ نبيتُ غير سرورِ» [١]

الأنموذج الرابع:

ويذكر الصديق أبا بكر ويؤكد أنه أول الناس إسلامًا:

«إذا تذكرتَ شجوًا من أخي ثقة * فاذكرْ أخاكَ أبا بكرٍ بما فعلا
التاليَ الثانيَ المحمودَ شيمتُهُ * وأولَ الناسِ طُرًّا صدّقَ الرسلا
والثانيَ اثنينِ في الغارِ المنيفِ * وقدْ طافَ العَدُوُّ بِهِ إذْ صَعَّدَ الجَبَلا
وكان حبَّ رسولِ الله قد علموا * من البَرِيّةِ لمْ يعدِلْ بهِ رَجُلا
خَيْرُ البَرِيّةِ أبْقاها وأرْأفُها * بَعْدَ النبيّ، وأوْفاها بما حَمَلا» [٢]

(١) ديوان حسان بن ثابت/ ص١١٠.

(٢) ديوان حسان بن ثابت/ ص١٨٠.

الأنموذج الخامس:

وقال يمدح المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف الذي أجار رسول الله ﷺ بمكة:

«أعينِ، ألا أبكي سيدَ الناسِ * بدَمعٍ فإن أنزَفتِهِ فاسكُبي الدَّمَا
وبكي عظيمَ المشعرينِ وربها * على الناسِ، معروفٌ لهُ ما تكلما
فلوْ كانَ مجدٌ يخلدُ اليومَ واحدًا * من الناس، أبقى مجدهُ اليومَ مطعما
أجرتَ رسولَ الله منهم، فأصبحوا * عِبادَكَ ما لَبّى مُلّبٍّ، وأحْرَمَا
فلوْ سئلتَ عنهُ معدٌّ بأسرها * وقحطانُ، أو باقي بقيّةِ جُرْهُما
لَقالوا: هو الُموفي بخُفرَةِ جارِهِ * وَذِمّتِهِ يَوْمًا، إذا مَا تَذَمّمَا
فما تَطْلُعُ الشمسُ الُمنيرَةُ فوْقَهم * على مثلِهِ، منهمْ أعزَّ وأكرما
إبَاءً، إذا يأبى، وأكرَمَ شِيمَة * وأنومَ عنْ جارٍ، إذا الليلُ أظلما»(١)

الأنموذج السادس:

وأنشد حسان رضي الله عنه في غزوة بني قريظة حين حاصرهم الرسول ﷺ حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه :

«لقدْ لقِيَتْ قُرَيْظةُ ما عظاها * وحلّ بحصنها ذلٌّ ذليلُ
وسعدٌ كان أنذرهمْ نصيحًا * بأنّ إلههُمْ رَبٌّ جلِيلُ
فما برحوا بنقضِ العهدِ حتى * غزاهم في ديارهمِ الرسولُ

(١) ديوان حسان بن ثابت/ ص ٢٣٥، ص٢٣٦.

أحاطَ بحصنهمْ منا صفوفٌ * لهُ من حَرّ وَقعتِها صَليلُ
فصارَ المؤمنونَ بدارِ خلدٍ * أقامَ لها بها ظلٌّ ظليلُ»(١)

كلام رشيق لابن رشيق:

وفي رد رشيق لا بن رشيق القيرواني على من يكرهون الشعر ويحتجون بآية سورة الشعراء يقول: «فأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[الشعراء: ٢٢٤-٢٢٦] فهو غلط، وسوء تأول؛ لأن المقصودين بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله ﷺ بالهجاء، ومسّوه بالأذى، فأما من هم سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك، ألا تسمع كيف استثناهم الله سبحانه ونبه عليهم فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾[الشعراء:٢٢٧] يريد شعراء النبي ﷺ الذين ينتصرون له، ويجيبون المشركين عنه، كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة. وقد قال فيهم النبي ﷺ: (هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح الإبل) وقال لحسان بن ثابت: (اهجهم -يعني قريشًا- فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام، في غلس الظلام، اهجهم ومعك جبريل روح القدس، والقَ أبا بكر يعلمك تلك الهنات).. فلو أن الشعر حرام أو مكروه ما اتخذ النبي ﷺ شعراء يثيبهم على الشعر، ويأمرهم بعمله، ويسمعه منهم. وأما قوله عليه الصلاة والسلام: (لأن يمتلئ جَوْفُ أحدكم قَيْحًا حتى يَرِيَهُ خير له من أن يمتلئ شعرًا) فإنما

(١) ديوان حسان بن ثابت/ ص١٩٥.

هو من غلب الشعر على قلبه، وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فروضه، ومنعه من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن، والشعر وغيره -مما جرى هذه المجرى من شطرنج وغيره- سواء. وأما غير ذلك ممن يتخذ الشعر أدبًا وفكاهة وإقامة مروءة فلا جناح عليه وقد قال الشعر كثير من الخلفاء الراشدين، والجِلّةُ من الصحابة والتابعين، والفقهاء المشهورين»[١].

وقد بلغ من شغف علماء السيرة والتاريخ بالشعر أنهم أكثروا من ذكر الاستشهاد بأبيات لكثير من الشعراء وقد كان محمد بن إسحاق ت١٥١هـ أول من تنبه لأهمية الشعر ومكانته في دراسة السيرة النبوية؛ حيث كان ينقل عقب كل موقعة ما قيل فيها من شعر، نجد ذلك واضحًا في غزوة بدر سنة ٢هـ، وعقب غزوة أحد ٣هـ وغزوة الخندق ٥هـ ونجد أطرافًا من هذا الشعر في فتح مكة ٨هـ بالإضافة إلى شعر الوفود والقبائل التي جاءت تعلن إسلامها. ثم يأتي أبو محمد بن هشام ت٢١٨هـ ليهذب سيرة ابن إسحاق ويحذف منها أشعارًا كثيرة لم يثبت سندها لديه.. فتخرج السيرة بثوبها المطبوع حاليًا لدرجة أنها تنسب إليه فنقول: سيرة ابن هشام.. ورغم ما قام به ابن هشام من حذف لكثير من الشعر إلا أنه أثبت أيضًا كثيرًا من الشعر وخاصة عقب الغزوات والسرايا..

كما نلاحظ أن ابن جرير الطبري ت٣١٠هـ في تاريخه قد أكثر من الاستشهاد بأبيات من الشعر قبل وبعد الإسلام وتاريخه مفعم بشعر المعارك والملاحم وشعر المراثي

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده/ لأبي الحسن بن رشيق القيرواني/ ص٣١، ص٣٢.

والهجاء كل ذلك مبثوث في تاريخ الطبري في أبواب متفرقة..

ثم تمضي عدة قرون فيخرج لنا الحافظ السهيلي ت٥٨١هـ كتابه الماتع (الروضُ الأُنُف) وهو شرح لكتاب سيرة ابن هشام حيث يقوم السهيلي بشرح أبيات الشعر وتفسير غريب الكلمات مع التعليق على بعض الحوادث فكان أشبه بموسوعة في السيرة النبوية بل وموسوعة في الأدب واللغة على ضوء السيرة النبوية.

ونظرًا لسهولة الشعر وهيام الناس به وحبهم لسيرة الرسول ﷺ نظم جماعة من العلماء قديمًا السيرة شعرًا مثل عبد العزيز بن أحمد المعروف بسعد الديري المتوفى ٦٠٧هـ، وأبي الحسن فتح بن موسى القصري المتوفى ٦٦٨هـ، وابن الشهيد المتوفى ٧٩٣هـ وغيرهم حتى وقتنا المعاصر كالشاعر أحمد محرم ت١٩٤٥م الذي ألف في سيرة الرسول وغزواته ملحمة شعرية كبيرة وقيمة بحق.. لكنه اعتمد على من سبقه من كتب السيرة النبوية وخاصة سيرة ابن هشام في طريقة السرد التاريخي والتسلسل الزمني، لكن هذه القصائد المطولة تحتاج إلى مراجعة وإلى إعمال منهج الجرح والتعديل ويختار منها ما يوافق الصحيح المعتمد من سيرة الرسول ﷺ.

ثانيًا: نماذج من كتب الأدب:

أهم كتب الأدب نثرًا وشعرًا: (البيان والتبيين) و(الحيوان) للجاحظ ت٢٥٥هـ نجد أنه ذكر في كتابه البيان والتبيين أكثر من مائة حديث، بعضها صحيح وبعضها موضوع ورغم عناية الباحثين به أدبيًّا ولغويًّا إلا أنهم لم يهتموا بتحقيقه حديثيًّا وتخريج نصوصه النبوية جرحًا وتعديلًا. وكما يقول الدكتور فاروق حمادة: يغلب على كتب

الجاحظ المرح والدعابة والفرح والفكاهة، فنراه يقيم الدليل على صحة أمر. ثم يقيم الدليل على صحة نقيضه.

ويعتبر ابن قتيبة ت٢٧٦هـ رائدًا في مجال الأدب واللغة فقد كان عالمًا بالقرآن والسنة محدثًا كبيرًا وأديبًا عظيمًا وقد لقب قديمًا بخطيب أهل السنة وكان شديدًا على المعتزلة من أمثال النظام والجاحظ والعلاف، وقد اتهم الجاحظ بأنه توسع في علوم الدنيا وقصد بكتبه التسلية أكثر مما قصد إلى التهذيب ورفع شأن الدين.. وتعد كتبه ممن أهم كتب الأدب مثل: (المعارف) و(الشعر والشعراء) و(أدب الكاتب) (عيون الأخبار) (تأويل مختلف الحديث).. ونلاحظ أنه عكس الجاحظ تمامًا فهو أديب جاد يظهر أثر القرآن والحديث في كتبه خاصة أنه عاصر أصحاب الصحاح والسنن واشترك معهم في الأخذ عن بعض الشيوخ.. وكتبه من حيث الثقة أعلى مرتبة من كتب الجاحظ.

ومن هؤلاء الكتاب الذين اعتنوا بالأدب وأخباره: محمد بن يزيد المعروف بالمبرد ت٢٥٨هـ وأشهر كتبه الكامل في اللغة والأدب.. حيث ساق أخبارًا عن النبي ﷺ وخطبه وأحاديثه وكلامه.. ونراه أحيانًا يروي بالسند وأحيانًا بلا سند.. ونلاحظ أنه اهتم في كتابه الكامل بأخبار الخوارج وأدبهم؛ مما حدا بالبعض أن يتهمه بأنه خارجي النزعة..

وممن هؤلاء العلماء الحافظ ابن الأنباري ت٣١٧هـ الذي أخذ العربية عن ثعلب، وإسماعيل القاضي وآخرين. له كتاب (الوقف والابتداء) (الأضداد) وشرح القصائد السبع الطوال.

وممن كتب في الأدب وأصّل له الأديب المؤرخ أبو بكر الصولي ت٣٣٥هـ الذي

تتلمذ على المبرد وثعلب، وأخذ الحديث من أبي داود السجستاني، وأشهر كتبه (أدب الكتاب) (كتاب الأوراق).. وكتابه الشهير (أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم)..

ومن نفس الطبقة أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري ت٣٣١هـ صاحب الكتاب الشهير (الوزراء والكتاب)..

ويعتبر كتاب العقد الفريد لإمام أهل الأدب في الأندلس في المائة الرابعة ابن عبد ربه ت٣٢٨هـ من الكتب التي حوت على فضائل جمة وعلوم كثيرة مهمة كما يصفه الحافظ ابن كثير.. والحقيقة أن عنوان الكتاب الأصلي كان (العقد) فقط ولكن أحد الناشرين أو المطالعين على الكتاب زاد كلمة (فريد).. فاشتهر الكتاب بها الاسم (العقد الفريد).. وقد جعل ابن عبد ربه كتابه خمسة وعشرين بابًا وشبهه بعقد فيه خمسةٌ وعشرون حجرًا كل حجرين منها متماثلان من جنس واحد يحتلان مكانين متقابلين من طرفي العقد على جانبي الواسطة. فمن أبواب العقد: اللؤلؤة في السلطان.. الفريدة في الحروب.. الزبرجدة في الأجواد.. الجمانة في الوفود.. ومصدر مادة كتاب العقد الفريد من مصادر مختلفة من كتب القرآن الكريم والأحاديث النبوية ومن كتب ابن المقفع والجاحظ والمبرد، وأخذ كثيرًا من كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة.. لكن ابن عبد ربه كان متحاملًا على بني أمية رغم أنه كان من مواليهم حيث كان ابن عبد ربه شاعر بلاط للأمير المنذر ت٢٧٥ وللأمير عبد الله ت٣٠٠هـ وللخليفة عبد الرحمن الناصر ت٣٥٠هـ وكل هؤلاء أمويون!!.. والكتاب فيه فوائد عن سيرة الرسول ﷺ وذكر الصحابة وحياتهم وأقوالهم لكن يجب أن نعمل منهج الجرح والتعديل في المرويات التي يسوقها أحمد بن عبد ربه في عقده الفريد.

ومن هذه الكتب التي تعنى بالأدب كتاب (صبح الأعشى) للقلقشندي ت٨٢١هـ ويعتبر من أفضل كتب الأدب إذ إنه استفاد من كل الكتب السابقة وخصوصًا كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة والمثل السائر لابن الأثير.. وقد كان شهاب الدين أبو العباس القلقشندي مؤلفًا مكثرًا.. تكلم في كتابه المذكور على فضل الكتابة والتاريخ وديوان الإنشاء وعلى صفات الكاتب وآداب الكتابة وما يحتاج إليه الكاتب من معارف في اللغة والدين والجغرافية والتاريخ والأدب.. ثم تكلم عن الحياة السياسية في مصر والشام وعلى أسلوب المكاتبات وعن إدارة الدولة.. وله كتاب قيم آخر: نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب.. وكتاب قلائد الجمان في التعريف بقائل عرب الزمان.. وحلية الفضل وزينة الكرم في المفاخرة بين السيف والقلم..

ثالثًا: وهل تعرف كتب الأدب الإسناد كما هو معروف في كتب الأحاديث والسنن؟

الإسناد نوعان: الأول: إسناد رواية. والثاني: إسناد كتاب.. أما إسناد الرواية وهو على طريقة أهل الحديث أن يروي الخبر سواء بيت شعر أو قول مأثور أو خطبة لأحد البلغاء عدلٌ ضابط عن مثله إلى أن نصل لمصدر الخبر أو قائله الأصلي.. فلما كان القرن الخامس الهجري ضعف أمر الإسناد شيئًا غير قليل ولكن بقيت فيه بقية يتماسك بها.. «ومن يومئذ صار أمر الإسناد مقصورًا على تلقي الكتب العلمية وروايتها بالسند عن مؤلفيها، لأن العلم كان قد نضج وكملت فنونه، ثم كان لسان العرب قد اختل وكان أمرهم قد اختلّ، فلم تعد الرواية عنهم تجدي شيئًا، وكان سماع الكتب وروايتها عن مؤلفيها معروفًا من أول عهد التأليف، ولكنه لم يكن مما يتباهى به إلا منذ بدأت الرواية تضعف في القرن الرابع، وحين كثرت الكتب، فكان الصولي الأديب المتوفى سنة

٣٣٥هـ يتباهى عظيما بكتبه وهي مصفوفة وجلودها مختلفة الألوان، ويقول: هذه الكتب كلها سماع! وقد هُجي بذلك لأن الناس لم يكونوا قد ساروا هذه السنة بعد. ومن ثم صاروا يطلقون لفظ (الصّحفي) على من يأخذ من الكتب بنفسه دون أن يتلقاها بإسناد معروف إلى مؤلفيها، حتى إنهم لما عابوا الحسن بن أحمد النحوي (في أواخر القرن الخامس) وكان يحسن كتاب سيبويه، قالوا: إنما كان في فهم الكتاب صُحفيًا»[1].

أما عن أول من أسند في الأدب: يقول الرافعي إن أول إسناد عرف في الأدب كان علميًّا بحتًا: «وذلك إسناد نصر بن عاصم الليثي إلى أبي الأسود الدؤلي في كتابه الذي وضعه للعربية.. ثم كان العلماء يرون المغازي، وهذه لابد فيها من الإسناد وإن كان قصيرًا لقرب التابعين من عهدها الذي حدثت فيه ثم لما خيف على لسان العرب من الفساد ومسّت الحاجة إلى الكتابة عن العرب لصيانة اللغة والاستعانة على فهم القرآن والحديث وتجريد القياس في العربية وما إلى ذلك - نشأت الطبقة التي ابتدأ الإسناد في الأدب إلى رجالها: كحماد الراوية، وأبي عمرو بن العلاء، وغيرهما. وصارت الرواية علمية محضة. وبهذا تحقق معنى الإسناد في الاصطلاح، وكان ذلك بدء تاريخه في الأدب. ثم ظهرت الطبقة التي أخذت عن هؤلاء، وكانوا جميعًا إنما يطلبون رواية الأدب للقيام به على تفسير ما يشتبه من غريب القرآن والحديث، وحتى لا تجد فيهم البتة من لا رواية له في الحديث كثرت أو قلت، والمحدثون يرون أنه ليس براوٍ عندهم من لم يرو من اللغة؛ لأن موضوع الحديث أقوال النبي ﷺ، وهو أفصح العرب، ولذا

(١) تاريخ آداب العرب/ الرافعي/ ج١/ ص٢٩٩.

لا يمكن أن يقيموا آراءهم في غريب الأثر ومشتبه الحديث إلا بما يحتجون به من الشعر وكلام العرب، مرويًا بسنده أو مأخوذًا عمن يسنده؛ مما عسى أن يُرمَوا به من الوضع والصنعة، وتابعهم الفقهاء بعد ذلك، فجعلوا المهارة في الشريعة والحذق بالفقه والبراعة في الفتيا مفتقرة إلى الأصلين الكتاب والسنة، وأقسام العربية، حتى إن الشافعي رحمه الله قال: إنه طلب اللغة والأدب عشرين سنة لا يريد بذلك إلا الاستعانة على الفقه»[(١)].

أقول: نلاحظ أن معظم أسانيد الرواة تنتهي إلى الطبقة الأولى أي إلى طبقة أبي العلاء، وحماد الراوية، وخلف، وأبي عبيد وغيرهم لأن علم الإسناد في الأدب لم يكن معروفًا قبل هؤلاء، بل إن علم الإسناد علم إسلامي صرف لم يكن معروفًا في الجاهلية ولا حتى في الأمم السابقة على الإسلام أو حتى الأمم المعاصرة للأمم الإسلامية.. ومن ثم نستطيع أن نؤكد أنه لولا اهتمام العلماء بأحاديث الرسول ﷺ لما خلصت اللغة العربية ولجاءتنا مشوبة بالكذب والأغاليط، ولفسد بالتبعية علم الأدب وما بني عليه..

رابعًا: ما هي مرتبة كتب الأدب كمصدر من مصادر السيرة النبوية؟

لما كان غرض كتب الأدب ينحصر في تفسير الكلمة الغريبة وتوفير مادة السمر والمرح وابتداع الخيال مع الطرفة الأدبية والنكتة البلاغية سواء المبثوثة في بيت شعري أو خطبة بلاغية أو كلام منثور أو حكمة مأثورة.. بالإضافة إلى أن كتب الأدب تعنى بالشاذ والغريب أكثر من عنايتها بالأحداث والتواريخ الرتيبة..كان من الطبيعي أن

---

(١) تاريخ آداب العرب/ الرافعي/ ج١/ ص٢٨٧، ص٢٨٨.

تكون كتب الأدب أوهى مصادر السيرة النبوية وأضعفها وأدناها رتبة وأقلها شأنًا وخاصة في مجال تدوين السيرة النبوية وتوثيقها..ورغم هذا الوضوح نجد في وقتنا المعاصر أن الوضع صار معكوسًا فيقوم فريق من أدعياء البحث والتحقيق والمنهجية العلمية بوضع كتب الأدب أول مصادر السيرة النبوية وتاريخ الإسلام.. أما القرآن وكتب الأحاديث الصحاح وغير ذلك من مصادر السيرة فلا يلتفتون إليها!! لحاجة في أنفسهم، نحن نعلمها.. بغية النيل من الإسلام والتشكيك في صاحب الرسالة نفسه ﷺ.. بل إنهم يأخذون هذه الأكاذيب والخرافات ويجعلون منها قواعد ومسلمات ينطلقون منها للطعن والتجريح في عقيدة المسلمين وتشويه سيرة نبيهم ﷺ مما يسهل لهم الطعن في رموز أهل الإسلام من صحابة وخلفاء وسلاطين وعلماء وقادة.. كل ذلك يتم باسم البحث العلمي!!

صفوة القول

رغم أن كتب الأدب من أضعف مصادر السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي.. إلا أنها في حاجة إلى تخريج أحاديثها وإعمال منهج الجرح والتعديل في مروياتها سواء المتعلقة بالشعر أو النثر أو الحكم والأقوال المأثورة.. ولكن على أية حال لقد سدت كتب الأدب بعض الثغرات في كتب السيرة والتاريخ الإسلامي وخاصة في شعر الفتوح الإسلامية من ذكر المواقع الجغرافية من قلاع وجبال وسهول ووديان وتخليد أسماء قادة، بل إن بعض أبيات من الشعر كانت تحل معضلة في ترتيب زمني لأحد الصحابة أو أحد القادة.. وقد يصف شاعر معركة فيخلد ذكرها وتتناقلها الأجيال على أحسن ما تكون الرواية كما في قصيدة فتح عمورية لأبي تمام ت٢٣٣هـ حيث كان مع

الخليفة المعتصم في تلك المعركة سنة ٢٢٣هـ وفيها انتصر المعتصم لصرخة المرأة المسلمة التي قالت: (وامعتصماه).. فدخل مدينة عمورية وهي تابعة لدولة تركيا الآن ظافرًا، ولما عاد المعتصم إلى سامرا سنة ٢٢٤هـ أنشده أبو تمام قصيدته البديعة الرائعة التي يرد فيها على أهل التنجيم ويذكر فيها أشياء لم يذكرها الإخباريون والتي مطلعها:

السيف أصدق أنباءً من الكتب * في حدّه الحدُّ بين الجد واللعبِ

بيضُ الصفائح لا سودُ الصحائف * متونهن جلاءُ الشك والريبِ

يا وقعة عمورية انصرفت * منك المنى حُفَّلًا معسولة الحلَبِ

أبقيت جد بني الإسلام في صُعُد * والمشركين ودار الشرك في صببِ

خليفة الله جازى الله سعيك عن * جُرثومة الدين والإسلامِ والحسبِ

فبين أيامك اللاتي نُصرتَ بها * وبين أيام بدرٍ أقربُ النسبِ

هكذا يشيد أبو تمام بنصر المسلمين في عمورية ويصف المعركة وما دار فيها حتى إنه يذكر عدد قتلى جيش الكفار ويذكر مدينة (زبطرة) التي ارتكب فيها توفيل ملك الروم الفظائع ضد المسلمين.. وقيام المعتصم بالواجب الشرعي.. في قصيدة طويلة تحتاج إلى الوقوف عند كل بيت من أبياتها.. بل إن هذه الكتب الأدبية وخاصة كتب الشعر منها كان يستأنس بها أصحاب المغازي والسير في إثبات حجتهم بل حتى الفقهاء والشراح العظام كابن حجر العسقلاني في فتح الباري وفي معظم مؤلفاته كان يكثر الأخذ عن البيان والتبيين للجاحظ وينقل عن الكامل في اللغة للمبرد ويستشهد بكتب ابن دريد ويأخذ عن معجم الشعراء للمرزباني.. وغيرهم.. والله الموفق.

الخاتمة

بعد هذا الطواف حول مصادر السيرة النبوية نخلص إلى النتائج التالية:

أولًا: بالنسبة لتعريف مصادر السيرة النبوية:

فقد كان الرأي المختار بأنها الكتب والمرويات التي نجد فيها المعلومات الصحيحة عن شخصية الرسول ﷺ في كافة المناحي الحياتية؛ من ميلاده، بعثته، زواجه، أولاده، أصحابه وعلاقته بهم، غزواته وسراياه، قضاياه وأحكامه، أخلاقه وشمائله، ثم وفاته.

ثانيًا: القرآن الكريم:

القرآن الكريم أصحّ مصدر للسيرة النبويّة؛ لا غنى عنه لأيّ باحث أو طالب علم، فالقرآن الكريم ذكر حوادث في سيرة الرسول ﷺ على وجه التفصيل وفي مواطن أخرى حدّثنا القرآن عن حوادث أخرى من السيرة على وجه الإجمال. إذن القرآن مصدرٌ صاف للسيرة النبويّة مع الاستعانة بالمصادر الأخرى، وخاصّة كتب الصحاح وكتب التفسير بالمأثور حتّى تكتمل الصورة وتتّضح الرؤية.

ثالثًا: كتب الحديث:

خلصنا إلى أن المقصود بكتب الحديث: هي الكتب التي تتناول بصفة عامة أقوال وأفعال وتقريرات الرسول ﷺ؛ ويدخل فيها ما كان من أخباره قبل النبوة؛ وهي بهذا المفهوم موسوعة شاملة لسيرة الرسول محمد ﷺ من مهده ثم بدء بعثته مرورًا بغزواته وصفاته وأخلاقه ومعاملاته مع أصحابه وأهل بيته وأحكامه وقضاياه ورسائله إلى ملوك زمانه ثم وفاته ﷺ.

رابعًا: كتب الشمائل:

قلنا: إن كتب الشمائل هي التي تعنى بأخلاق النبي ﷺ وعاداته وآدابه وفضائله وسلوكه الخاص والعام مع أزواجه وأهل بيته ومع أصحابه رضوان الله عليهم.

وخلصنا إلى أن الباحث في مصادر السيرة النبوية بحاجة إلى الاطلاع على كتب الشمائل النبوية؛ لأنها تهتم بجوانب نادرة في سيرة المصطفى ﷺ لا يجدها في كتب السير والمغازي أو حتى كتب الصحاح والسنن إلا مفرقة ومبثوثة في أبواب متنوعة من هذه الكتب الكثيرة.

كما ننبه إلى أن بعض هذه الكتب في حاجة إلى تحقيقات جادة لتمييز الصحيح من السقيم؛ وخاصة النسخ القديمة، والمخطوطات التي في حاجة إلى طبعها، ونشرها منقحة ومحققة رغم أن هناك كتبًا قد حققت فعلًا ومتوافرة الآن في المكتبات لكنه نزر يسير وجهد مشكور؛ فنحن في حاجة إلى بذل مجهود أكبر لإخراج هذه الكنوز من كتب الشمائل النبوية مع ما يناسب صاحب الشمائل ﷺ.

خامسًا: كتب دلائل النبوة:

قلنا: إنها الكتب التي ألفها أصحابها بقصد جمع العلامات الحسية والمعنوية التي يستدل بها على نبوة الرسول ﷺ. كما ننبه أنها أيضًا في حاجة إلى المزيد من التحقيقات الجادة والعناية بتخريجها وطبعها محققة تحقيقًا علميًّا.

سادسًا: كتب المغازي:

قلنا: إن كتب المغازي هي تلكم الكتب التي تعنى بغزوات رسول الله ﷺ وقصده بنفسه إلى الكفار أو بجيش من أصحابه، وهي أيضًا تعنى بحياة الرسول ﷺ قبل النبوة وبعدها وتتحدث عن الفترتين المكية والمدنية وهجرة الرسول ﷺ إلى وفاته. وهذه الكتب في حاجة إلى المزيد من التحقيق وتخريج الأحاديث نظرًا لشهرتها وشيوعها بين أيدي المسلمين وغيرهم.

سابعًا: كتب التاريخ العام:

قلنا: إنها مؤلفات تتناول تاريخ الأمم والدول والأفراد بشكل عام قبل الإسلام وبعده إلى زمن المؤلف. وهي تبدأ عادة ببدء الخلق مرورًا بقصص الأنبياء والإرهاصات التي حدثت قبل بعثة الرسول ﷺ وحتى وفاته ثم تتناول تاريخ خلفاء وملوك ومشاهير أهل الإسلام. وهذه الكتب تحوي بين دافتيها سيرة الرسول ﷺ ومن ثم اعتمدها العلماء كمصدر من مصادر السيرة النبوية لكنها أيضًا في حاجة إلى المزيد من التحقيقات وتخريج الأحاديث ولاسيما المتعلقة بالسيرة النبوية.

ثامنًا: كتب الأدب:

عرَّفنا كتاب الأدب بأنها تلكم التي تعنى بأشعار العرب ونثرهم وأيامهم ومآثرهم، ويكون غرضها إبراز الكلمة العربية وتفسيراتها وإبراز محاسنها.. والعناية بالطرفة الأدبية والنكتة البلاغية مع إضفاء مادة السرور والمرح في المادة المروية ورسم الصور الخيالية.. كما أن كتب الأدب تعنى بأيام العرب وثقافتهم ومستوى معيشتهم من مأكل وملبس وعادات الشعوب وغير ذلك من جوانب حياة المسلمين في عصر الرسالة..

والعصور الإسلامية المختلفة.. والشعر بصفة خاصة يعتبر وثيقة تاريخية مهمة حيث يكون مرآة للحياة الاجتماعية ويصور المعارك ويبرز البطولات ويشيد بأمجاد العرب والمسلمين، وبعض كتب الأدب قد دونت كثيرًا من الأشعار والخطب التي قيلت ورويت في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته ومن ثم فقد سدت ثغرة في مرويات السيرة النبوية من خلال ذكر بعض الغزوات والسرايا والمواقف والمدح والرثاء وغيرها ومن ثم صارت كتب الأدب مصدرًا مكملًا من مصادر السيرة النبوية.

وبعد، كانت هذه أهم ما نقاشته هذه الدراسة حول مصادر السيرة النبوية، نسأل الله تعالى أن نكون قد ساهمنا بوضع لبنة في صرح مصادر السيرة النبوية المصطفوية لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

د.هاني السباعي

مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية

لندن في يوم الثلاثاء ٤ ذي الحجة ١٤٣٢هـ

الموافق ٢ نوفمبر ٢٠١١م

hanisibu@hotmail.com

بطاقة تعريف بالمؤلف

الاسم بالكامل: هاني السيد السباعي يوسف.

(أ) مواليد مدينة القناطر الخيرية بمحافظة القليوبية بجمهورية مصر.

(ب) حاصل على درجة ماجستير فلسفة في القصاص في الشريعة الإسلامية مقارنة بالقوانين الوضعية.

(ج) حاصل على درجة دكتوراة فلسفة في إثبات جريمة قتل العمد في الشريعة الإسلامية مقارنة بالقوانين الوضعية.

(د) حاصل على إجازة في قراءة القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية بطرق ثلاث مسندة إلى رسول الله ﷺ.

(هـ) حاصل على إجازة في قراءة القرآن الكريم برواية البزي وقنبل عن ابن كثير المكي من طريق الشاطبية.

(و) رئيس مجلس إدارة الجمعية الشرعية بالقناطرالخيرية (من عام ١٩٨٧ إلى عام ١٩٩٠).

(ز) كاتب متخصص في التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية.

(ح) اختير مستشارًا تاريخيًّا لمركز الدراسات الإسلامية بأستراليا.

(ط) مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن.

(ك) بالإضافة إلى العديد من الشهادات العلمية في علوم شتى كالحاسوب والترجمة.

أعمال المؤلف

وهذه الأعمال لكثرتها فإننا نقسمها على النحو التالي:

الأول: كتب للشيخ الدكتور هاني السباعي:

(١) كتاب دور رفاعة الطهطاوي في تخريب الهوية الإسلامية – من إصدارات مركز المقريزي بلندن عام ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٢) كتاب الصراع بين المؤسسات الدينية والأنظمة الحاكمة - من إصدارات مركز المقريزي بلندن عام ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

(٣) كتاب القصاص - دراسة مقارنة الشريعة الإسلامية بالقوانين الوضعية من إصدارات مركز المقريزي بلندن ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٤) كتاب إثبات جريمة القتل العمد - دراسة مقارنة الشريعة الإسلامية بالقوانين الوضعية من إصدارات مركز المقريزي بلندن عام ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م).

(٥) كتاب مسائل في الإيمان باللغة الإنجليزية إصدارات عام١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

الثاني: مقالات وبحوث وحوارات:

- العلمانيون وثورة الزنج (بحث).
- زنادقة الأدب والفكر (بحث).
- قراءة تحليلية لحركة التوابين (بحث).
- قراءة تحليلية في خلافة عبد الله بن الزبير (بحث).
- الإرهاب في المنظومة الغربية.
- يزيد بن معاوية وحكامنا عصرنا.
- الموريسكيون الجدد.. مسلمو فرنسا.

- الحصاد المر لشيخ الأزهر.
- الحركات الجهادية في العراق.
- تسريح الجيوش الشعبية ضرورة شعبية.
- قصة الجهاد (حوار من أربع حلقات بجريدة الحياة عام ٢٠٠٢م).
- ثورة الشعوب العربية الرهان الخاسر.
- رهبان بالليل.
- مغازي ابن إسحاق.
- خليفة بن خياط ومنهجه التاريخي.
- كتب الأدب من مصادر السيرة.
- كتب التاريخ العام: الطبري أنموذجًا.
- سقوط الحضارة الغربية في جوانتانامو.
- أنقذوا الأسرى قبل فوات الأوان.
- مملكة القش.
- التاريخ الأسود لدويلات الطوائف قديمًا وحديثًا.
- قرابين على عتبات المذبح الأمريكي.
- كارلوس مانديلا سلام وتحية.
- صلاح الدين الأيوبي المفترى عليه.
- السلطان الشاب محمد الفاتح العثماني.
- سيفٌ لم ينكسر (الظاهر بيبرس).
- عبد الله بن ياسين ودولة المرابطين.

- أمير المسلمين يوسف بن تاشفين.
- عبد الرحمن الناصر والعصر الذهبي.
- فاتح الفتوح: موسى بن نصير.
- التراث والتجديد في فكر حسن حنفي.
- الإعلام والحركات الإسلامية.
- سلسلة مقالات عن مصادر السيرة النبوية بمجلة نداء الإسلام بأستراليا.
- ثمن المواطن لا يساوي ناقة.
- رسالة إلى عبد المأمور.
- القدس لنا.
- حكم قتل المسلم بالكافر (بحث شرعي).
- هل كان للأقباط دور تاريخي في مقاومة المحتل.
- حكم إمامة المرأة في الصلاة (بحث شرعي).
- التجلية في الرد على التعرية.
- إذا نزلوا ساحة قتال أفسدوها.
- بحث حول حقيقة إبادة الأرمن على أيدي العثمانيين.
- دراسة حول قضاء القاضي بعلمه (بحث شرعي).
- العدو القريب - محاولة لتشخيص أحد أمراض الأمة.
- دراسة حول حكم ضرب المتهم وخداعه (بحث شرعي).
- الرد على بابا الفاتيكان أي الفريقين أحق بالعقل يا بنديكتس.
- حسن حنفي أنموذج للزندقة المعاصرة.

- فلا رجعت ولا رجع الحمار (حسن نصر الله سيد الأمة!).
- حكم المماثلة في القتل (بحث شرعي مبسط).
- انتحروا أم نحروا.
- حكمتيار والبيعة الكبرى (تعليق).
- رسالة هادئة لقادة الإخوان المسلمين أي الفريقين أحق بالاتباع.
- غياب الشيخ أسامة إعلاميًّا (تعليق).
- رويبضات أميركا.
- مقال فتوى توحيد الأذان من كيتشنر الإنجليزي إلى وولش الأمريكي.
- شبه المعارضين حول تطبيق عقوبة القصاص (بحث شرعي).
- قراءة في خطاب الشيخ أسامة للشعب الأمريكي.
- أليس في البكاء على أسرانا شغل.
- لو كان تيسير علواني من مازن لم تستبح إبله.
- ولا عجب للأسد إن ظفرت بها كلاب الأعادي.
- أسباب تهميش المؤسسات الدينية.
- زنادقة الأدب والفكر: قراءة في تاريخ الزندقة.
- بأي ذنب قتلوا.
- شهادتي في الشيخ أبي محمد المقدسي.
- هل يقال لمبتدع علامة.
- تعليق على البديل الثالث لآل الزمر.
- المصير المخيف.. قرابين على عتبات الناتو في ليبيا.

- العديد من البيانات (٤٢ بيان) منذ اندلاع ثورة ١٩ صفر ١٤٣٢هـ الموافق ٢٥ يناير ٢٠١١م
- عشرات البيانات في موضوعات متفرقة منشورة في وسائل الإعلام وموقع المقريزي على الشبكة العنكبوتية.
- عشرات الحوارات المقروءة والمسموعة والمرئية في العديد من وسائل الإعلام المحلية والعالمية.
- نشر كتاب التجلية في الرد على كتاب التعرية سبع حلقات بجريدة البديل المصرية.
- حوار منتدى الحسبة أسئلة وأجوبة أربع مجموعات في قضايا شرعية مختلفة.
- لقاءات مفتوحة مع غرفة الأنصار في البالتوك.
- الرد على وثيقة ترشيد الدكتور سيد إمام (١٠ أشرطة).
- دورة في مصادر السيرة النبوية (١٤ شريط).
- دورة في مسائل الإيمان باللغة الإنجليزية.
- دورة في مسائل الإيمان باللغة العربية.
- أكثر من خمسمائة وعشرين خطبة جمعة في مواضيع متنوعة في التفسير والسيرة والتاريخ والعقيدة والسلوك والواقع المعاصر.

مراجع مصادر السيرة

الألباني: محمد ناصر الدين الألباني:

(١) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. المكتب الإسلامي - بيروت ط١ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة. المكتب الإسلامي - بيروت - ط٢ ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة. المكتب الإسلامي - بيروت - ط٥ - ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

(٣) صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير). المكتب الإسلامي - بيروت - ط٣ - ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٤) صحيح سنن ابن ماجه. مكتب التربية العربي لدول الخليج - ط٢ - ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

ابن أبي جمرة: أبو محمد عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي ت٦٩٩هـ:

بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها. شرح مختصر صحيح البخاري المسمى جمع النهاية في بدء الخير والغاية

دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ)

(١) النهاية في غريب الحديث

تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي - المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ.

(٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ. تحقيق عبد القادر الأرناءوط - مكتبة

الحلواني - الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠هـ).

(١) الكامل في التاريخ.

تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي - دار الكتب العلمية - بيروت طبعة أولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة. تحقيق عادل أحمد الرفاعي - دار إحيار التراث العربي - بيروت - طبعة أولى - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

ابن الأبار: أبو عبد الله بن أبي بكر القضاعي ت٦٥٨هـ:

الحلة السيراء.

تحقيق الدكتور حسين مؤنس - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٦٣م.

ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني ت٧٢٨هـ:

(١) مجموع الفتاوى. تحقيق عامر الجزار، وأنور الباز، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط٢ لسنة١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

(٢) الفتاوى الكبرى. تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت.

(٣) منهاج السنة النبوية.

تحقيق د. محمد رشاد سالم - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - طبعة أولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي ت٨٥٢هـ:

(١) الدراية في تخريج أحاديث الهداية: تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني المدني – دار المعرفة – بيروت.

(٢) تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: تحقيق أبي عاصم حسن ابن عباس – مؤسسة قرطبة – القاهرة – ط١ – ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: تحقيق عبد العزيز بن باز– دار الفكر/ بيروت١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة: تحقيق ابن حسن الفيومي إبراهيم – المطبعة الشرقية – القاهرة – ١٤٢٧هـ.

(٥) نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: تحقيق عبد الحميد بن صالح بن قاسم آل أعوج سبر – دار ابن حزم – طبعة – بيروت ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

(٦) إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة: تحقيق دكتور زهير بن ناصر الناصر، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة لسنة ١٤١٥هـ.

(٧) لسان الميزان: تحقيق عبد الفتاح أبي غدة/ دار البشائر الإسلامية/ بيروت/ ط١/ ١٤٢٣هـ.

(٨) شرح النخبة: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: تحقيق د.نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، ط٣، ١٥٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(٩) تهذيب التهذيب: تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ علي معوض– دار الكتب العلمية بيروت ط أولى لسنة ١٤٢٥هـ.

ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني(الإمام) ت٢٤١هـ:

تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي - وشعيب الأرناءوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٦هـ.

ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد الظاهري (ت ٤٥٦هـ)

(١) الإحكام في أصول الأحكام: تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر - منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت - ١٩٧٩م.

(٢) الفصل في الملل والنحل: تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة - دار الجيل - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

ابن دقيق العيد: تقي الدين ابن دقيق العيد ت٧٠٢هـ:

إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام.

تحقيق أحمد محمد شاكر - مكتبة السنة - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ت٣٥٤هـ:

(١) الثقات: تحقيق إبراهيم شمس الدين وتركي فرحان المصطفى - دار الكتب العلمية بيروت - طبعة أولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٨م.

(٢) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: تحقيق شعيب الأرناءوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤١١هـ - ١٩٩٣م.

ابن رجب الحنبلي:عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب ت٧٩٥هـ.

(١) جامع العلوم والحكم: في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم: تحقيق عامر الجزار وأنور الباز - دار الوفاء - المنصورة - ط١ - ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: تحقيق محمد شعبان بن عبد المقصود وآخرين - مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة - الطبعة الأولى - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(٣) شرح علل الترمذي: تحقيق د. نور الدين عتر - دار الملاح للطباعة والنشر - دمشق - الطبعة الأولى - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البغدادي ت٢٣٠هـ

الطبقات الكبرى: تحقيق: إحسان عباس - دار صادر - بيروت - طبعة أولى ١٩٦٨.

ابن قيم الجوزية: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ):

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين: تحقيق مشهور بن حسن - دار ابن الجوزي - السعودية - طبعة أولى ١٤٢٣هـ.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد: تحقيق شعيب الأرناءوط - عبد القادر الأرناءوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - طبعة ثالثة - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(٣) الفروسية: تحقيق زائد بن أحمد النشيري - دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - مكة المكرمة - طبعة أولى - ١٤٢٨هـ.

(٤) المنار المنيف: تحقيق عبد الفتاح أبي غدة - مكتب المطبوعات الإسلامية - سوريا ط٢ لسنة ١٤٠٣هـ.

ابن كثير:عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ):

(١) تفسير القرآن العظيم: تحقيق د. محمد إبراهيم البنا، دار ابن حزم، بيروت، ط أولى لسنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

(٢) جامع المسانيد والسُنن الهادي لأقوم السَنن: تحقيق د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش - دار خضر للطباعة والنشر - بيروت - طبعة ثانية ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

(٣) البداية والنهاية: تحقيق د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية بدار هجر، طبعة أولى لسنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٤) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث: تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الآثار بالقاهرة، ط١ لسنة ١٤٢٣هـ.

(٥) طبقات الشافعية: تحقيق عبد الحفيظ منصور - دار المدار الإسلامي - بيروت - طبعة أولى ٢٠٠٤م.

ابن العماد: أبو الفلاح، عبد الحي بن أحمد بن محمد ت١٠٨٩ ه-

شذرات الذهب في أخبار من ذهب.

تحقيق مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية بيروت/ ١٤١٩هـ.

البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت٤٥٨هـ):

(١) السنن الكبرى: تحقيق: محمد عبد القادر عطا - مكتبة دار الباز/ مكة المكرمة - تاريخ النشر: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي: تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي - دار الكتب العلمية بيروت - ط١/ ١٤٠٨هـ.

الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ت٢٧٩هـ

(١) الشمائل المحمدية: تحقيق عزت عبيد الدعاس - دار الحديث - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٤٠٨ - ١٩٨٨م.

(٢) الشمائل المحمدية ومعه المواهب اللدنية على الشمائل المحمدية تعليق الشيخ إبراهيم بن محمد البيجوري الشافعي المتوفى ١٢٧٧هـ.

تحقيق محمد عوامة - الطبعة الأولى - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٣) مختصر الشمائل النبوية: تحقيق محمد ناصر الدين الألباني - المكتبة الإسلامية - الأردن - الطبعة الثانية - ١٤٠٦هـ.

(٤) شمائل النبي ﷺ: تحقيق الشيخ ماهر ياسين الفحل - دار الغرب الإسلامي - بيروت - الطبعة الأولى - ٢٠٠٠م.

(٥) الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية: تحقيق سيد بن عباس الجليمي - المكتبة التجارية - مكة المكرمة - الطبعة الأولى - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٦) الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية: تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي - دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثالثة - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

ابن معين: أبو زكريا يحيى بن معين بن عون المري ت٢٣٣هـ:

تحقيق عبد الله أحمد حسن - دار القلم - بيروت.

ابن الوزير: محمد بن إبراهيم بن الوزير اليماني ت٨٤٠هـ:

تحقيق شعيب الأرناءوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

الرازي: محمد بن أبي بكر بن القادر (ت ٦٦٦هـ)

مختار الصحاح

دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

الزيلعي: جمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعي (ت ٧٦٢هـ)

نصب الراية لأحاديث الهداية

تحقيق أيمن صالح شعبان - دار الحديث - القاهرة - ط١ - ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

الشوكاني: محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٠هـ):

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار: تحقيق أنور الباز - دار الوفاء - المنصور - ١٤٢١هـ.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: تحقيق يوسف الغوش – دار المعرفة – بيروت – طبعة رابعة – ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.

البوصيري: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري ت٨٤٠هـ

إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة.

تحقيق عادل بن سعد والسيد بن محمود – الرشد – الرياض – طبعة أولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي – دار هجر – القاهرة – طبعة أولى – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

(٢) صحيح وضعيف تاريخ الطبري: تحقيق محمد بن طاهر البرزنجي ومحمد صبحي حسن حلاق – دار ابن كثير – دمشق وبيروت – طبعة أولى ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

(٣) صريح السنة: تحقيق بدر بن يوسف المعتوق – مكتبة أهل الأثر – الكويت – طبعة ثانية ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

الطحاوي: أبو جعفر أحمد بن محمد (ت٣٢١هـ):

(١) شرح معاني الآثار: تحقيق: محمد زهري النجار وآخرين – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٣٩٩هـ.

(٢) شرح مشكل الآثار: تحقيق شعيب الأرناءوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤٠٥هـ – ١٩٩٤م.

الصنعاني: محمد بن إسماعيل ت٨٥٢هـ:

(١) سبل السلام شرح بلوغ المرام: تحقيق حازم على بهجت القاضي – دار الفكر –

بيروت - ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

(٢) ثمرات النظر في علم الأثر: تحقيق: رائد بن صبري بن أبي علفة - دار العاصمة للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية - الطبعة الأولى - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ):

القاموس المحيط - مؤسسة الحلبي - القاهرة.

القاسمي: محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)

(١) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية الحلبي - القاهرة - طبعة أولى - ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

(٢) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: تحقيق مصطفى شيخ مصطفى - مؤسسة الرسالة ناشرون - بيروت - طبعة أولى ١٤٣٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٣) الجرح والتعديل: مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأندلسي (ت٦٧١هـ)

الجامع لأحكام القرآن.

تحقيق: د.محمد إبراهيم الحفناوي ود.محمود حامد عثمان/ دار الحديث/ القاهرة ط٢: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

القرطبي: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم (ت ٦٥٦هـ)

المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم.

تحقيق محيي الدين ديب مستو وآخرين - دار ابن كثير ودار الكلم الطيب - دمشق - بيروت - طبعة أولى - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

قطب: سيد إبراهيم (ت١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)

في ظلال القرآن الكريم.

دار الشروق/ بيروت/ ط٢٥/ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

اللكنوي:أبو الحسنات محمد بن عبد الحي اللكنوي الهندي

الفوائد البهية في تراجم الحنفية.

تحقيق محمد بن بندر الدين أبو فراس النعاني - دار الكتاب الإسلامي.

مالك بن أنس (الإمام) (ت١٧٣هـ)

١- الموطأ: منشورات الآفاق الجديدة/ المغرب/ ط٣: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٢- المدونة الكبرى: تحقيق أبو مالك كمال بن سالم - المكتبة التوفيقية - القاهرة

ابن المديني: أبو الحسن علي بنُ عبدِ الله بنِ جعفر ت٢٣٤هـ:

العلل تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي - المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الثانية.

المباركفوري: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم ت١٣٥٣هـ:

تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي.

تحقيق عصام الصبابطي - دار الحديث - القاهرة - ط١ - ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

المناوي: محمد عبد الرءوف المناوي (ت ١٠٣١هـ)

فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير

دار الفكر - بيروت - ط١ - ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

النسائي: أحمد بن شعيب بن علي (ت ٣٠٣هـ)

سنن النسائي، بشرح الإمامين السيوطي والسندي.

تحقيق د.السيد محمد السيد وعلي محمد علي - دار الحديث - القاهرة - ط١ - ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

النفراوي: أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا (ت١١٢٥هـ).

الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني. دار الفكر/ بيروت..

النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيي بن شرف (٦٧٦هـ)

(١) المجموع شرح المهذب: تحقيق: محمد نجيب المطيعي - مطبعة دار إحياء التراث - بيروت - طبعة أولى: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

(٢) روضة الطالبين وعمد المفتين: دار ابن حزم - بيروت - ط١ - ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م

(٣) صحيح مسلم شرح النووي: مكتبة العلم - القاهرة - ط١ - ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ):

لسان العرب: دار صادر- بيروت - ط٢ - ١٣٨٨هـ.

ابن الجوزي: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٦هـ):

(١) زاد المسير في علم التفسير: تحقيق: محمد زهير الشاويش - شعيب الأرناءوط - عبد القادر الأرناءوط - المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٢) الموضوعات: تحقيق د. نور الدين بن شكري بن علي بويا جيلار، أضواء السلف - الرياض الطبعة الأولى - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢ لسنة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

(٤) تلقيح فهوم الأثر: مكتبة الآداب ومطبعاتها بالجامعة - القاهرة - طبعة أولى -

١٩٧٥م.

(٥) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية: تحقيق خليل الميس - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٣هـ.

الألوسي: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (١٢٧٠هـ):

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.

تحقيق علي عبد الباري عطية - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي ت٧٥٤هـ:

البحر المحيط. دار الفكر - بيروت - ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

أبو داود السجستاني: سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥هـ):

سنن أبي داود. الدار المصرية اللبنانية - القاهرة - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

ابن العربي: محمد بن عبد الله الإشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)

(١) أحكام القرآن: تحقيق على محمد البيجاوي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٢) العواصم من القواصم: تحقيق محمود مهدي الاستانبولي وحقق حواشيه الشيخ محب الدين الخطيب - مكتبة السنة - القاهرة - الطبعة الثانية - ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (٥٤٦هـ):

المحَرَر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز

دار الكتب العلمية، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، لبنان.

ابن منده: أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي عبد بن محمد بن إسحاق ت٤٧٠هـ:

فضل الأخبار وشرح مذاهب أهل الآثار وحقيقة السنن.
تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي - دار المسلم – الرياض - الطبعة الأولى - ١٤١٤هـ.
القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ت٦٧١هـ.
الجامع لأحكام القرآن. تحقيق د.محمد إبراهيم الحفناوي ود محمود حامد عثمان / دار الحديث القاهرة طبعة ٢ لسنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
حمادة: د. محمد ماهر حمادة:
المصادر العربية والمعربة، ط٦. سوريا: مؤسسة الرسالة ١٩٨٧.
حمادة: د. فاروق حمادة:
مصادر السيرة النبوية وتقويمها، دار الثقافة الدار البيضاء - ط١- ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
ابن أبي العز الحنفي: علي بن علي بن محمد ت٧٩٢هـ:
شرح العقيدة الطحاوية.
تحقيق د.عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناءوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢ لسنة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٥م.
فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:
جمع وترتيب أحمد بن عبد الرزاق الدويش، دار المؤيد، الرياض/ ط٥ لسنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
دروزة: محمد عزة دروزة:
سيرة الرسول ﷺ صور مقتبسة من القرآن الكريم. منشورات المكتب العصرية، بيروت.

المزي: الحافظ أبو الحجاج جمال الدين يوسف بن الزكي ٧٤٢هـ:

(١) تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، تحقيق عبد الصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢/ ١٤٠٣هـ.

(٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال: تحقيق د. بشار عواد معروف – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

زاده: أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده:

مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم. دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

أبو شهبة: د.محمد أبو شهبة:

الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، عالم المعرفة، مصر – ١٤٠٢هـ.

رمزي:أحمد مختار رمزي:

سير أعلام المحدثين، دار البشائر الإسلامية، بيروت – طبعة أولى – ١٤٢٦هـ.

النووي: أبو زكريا يحيى بن شر ف بن مري بن حسن الحوراني ت٦٧٦هـ:

(١) صحيح مسلم المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط١٥ لسنة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، مكتبة العلم، القاهرة لسنة ١٤٢٢هـ.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات: تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى لسنة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

المباركفوري المتوفى ١٣٥٣هـ:

تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. خرج أحاديثه عصام الصبابطي، دار الحديث

القاهرة، ١٤٢١هـ.

الكبيسي: د.عبد العزيز شاكر حمدان الفياض الكبيسي:

الإمام ابن خزيمة ومنهجه دار ابن حزم: بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

الأصبهاني: أبو نعيم أحمد بن عبد الله ت٤٣٠هـ:

(١) مسند الإمام أبي حنيفة: تحقيق نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، الرياض الطبعة الأولى لسنة ١٤١٥هـ.

(٢) المسند المستخرج على صحيح مسلم: تحقيق محمد حسن إسماعيل الشافعي - الكتب العلمية - بيروت - طبعة أولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

ابن الصلاح:أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري ت٦٤٣هـ:

علوم الحديث. تحقيق نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١٢ لسنة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

عتر:د. نور الدين عتر:

منهج النقد في علوم الحديث. دار الفكر بدمشق لسنة ١٤٢٨هـ.

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت٩١١هـ:

تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: دار الحديث، القاهرة لسنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم ت٢٧٦هـ:

(١) تأويل مختلف الحديث: تحقيق محمد محيي الدين الأصفر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢ لسنة ١٤١٩هـ.

(٢) عيون الأخبار: دار الكتاب العربي - بيروت.

(٣) المعارف: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري ت٤٠٥هـ:
(١) معرفة علوم الحديث: بتعليقات الحافظين المؤتمن الساجي والتقي ابن الصلاح. تحقيق أحمد فارس السلوم، دار ابن حزم، بيروت طبعة أولى لسنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
(٢) المدخل إلى الصحيح: تحقيق: د. ربيع هادي عمير المدخلي - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٤هـ.
عبد القادر بن عبد العزيز:
الجامع في طلب العلم الشريف، ط٢ لسنة ١٤١٥هـ.
البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ت٤٦٣هـ:
(١) الكفاية في معرفة أصول علم الرواية: تحقيق أبي إسحاق إبراهيم آل بحبح الدمياطي، مكتبة ابن عباس، سمنود، مصر لسنة ٢٠٠٢م.
(٢) تاريخ بغداد أو مدينة السلام: تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢ لسنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
(٣) تاريخ مدينة السلام: تحقيق الدكتور بشار عواد معروف/ دار الغرب الإسلامي/ بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: تحقيق د. محمد رأفت سعيد - دار الوفاء - المنصورة - مصر - طبعة أولى ١٤٣٣هـ - ٢٠٠٢م.
(٥) تقييد العلم: تحقيق يوسف العش - دار إحياء السنة النبوية ط٢ - ١٩٧٤م.
الجرجاني: علي بن محمد بن علي الشريف ت٧٤٠هـ:
التعريفات: تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط أولى لسنة ١٤٠٥هـ.

اللكنوي: للشيخ أبي الحسنات اللكنوي الهندي المتوفى ١٣٠٤هـ:
(١) ظفر الأماني بشرح مختصر السيد الشريف الجرجاني في مصطلح الحديث. تحقيق عبد الفتاح أبي غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، ط٣ لسنة ١٤١٦هـ.
(٢) الرفع والتكميل في الجرح والتعديل: تحقيق عبد الفتاح أبي غدة، مكتبة دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٨ لسنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
الأعظمي: د. محمد مصطفى الأعظمي:
(١) منهج النقد عن المحدثين: مكتبة الكوثر، الرياض، ط٣ لسنة ١٤١٠هـ.
(٢) دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه - المكتب الإسلامي - بيروت - طبعة أولى.
الأعظمي: وليد الأعظمي:
السيف اليماني في نحر الأصفهاني: دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط٢، لسنة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
الفاسي: أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المكي المالكي - ٨٣٢هـ:
شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام. تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري - دار الكتاب العربي - بيروت - طبعة أولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
أحمد أمين:
(١) ضحى الإسلام المكتبة العصرية - بيروت - طبعة أولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
(٢) فجر الإسلام: دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة ١١ - لسنة ١٩٧٥م.
(٣) فتح المغيث:
البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ت٢٥٦هـ:

التاريخ الكبير: دار الكتب العلمية، بيروت.

حسن: د.حسن إبراهيم:

تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي. دار الجيل، بيروت.

فروخ: د.عمر فروخ:

تاريخ الأدب العربي: دار العلم للملايين، بيروت.

الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد ت٣٥٦هـ:

الأغاني. تحقيق عبد الأمير علي مهنا وسمير جابر - دار الفكر بيروت - ط١ لسنة ١٤٠٧هـ.

الجوزجاني: أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب المتوفى ٢٥٩هـ:

أحوال الرجال. تحقيق السيد صبحي البدري السامرائي، مؤسسة الرسالة، ط١ لسنة ١٤٠٥هـ.

العشماوي: محمد سعيد:

الإسلام السياسي. سيناء للنشر - القاهرة/ ط٢ لسنة ١٩٨٩.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد ت٨٠٨هـ:

العبر وديوان المبتدأ والخبر. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - الطبعة الأولى - ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

علي أومليل:

الخطاب التاريخي/ دار التنوير/ بيروت/ ط٣.

حسين: طه حسين:

(١) في الشعر الجاهلي - مطبعة دار الكتب المصرية.

(٢) على هامش السيرة.
فهمي: منصور فهمي:
أحوال المرأة في الإسلام: ترجمة رفيدة مقدادي، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا ١٩٩٧م.
العمري: د.أكرم ضياء العمري:
(١) السيرة النبوية الصحيحة: مكتبة العبيكان - الرياض - الطبعة الثانية ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
(٢) المجتمع المدني في عهد النبوة - (خصائصه وتنظيماته الأولى) المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - ١٩٨٣م.
(٣) المجتمع المدني في عهد النبوة - (الجهاد ضد المشركين) بيروت - ١٩٨٤م.
(٤)عصر الخلافة الراشدة - محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين: مكتبة العبيكان - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤١٤هـ.
(٥) بحوث في تاريخ السنة المشرفة - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - الطبعة الرابعة - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
الفسوي: أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (ت ٣٤٧هـ):
المعرفة والتاريخ. خليل المنصور - دار الكتب العلمية - بيروت.
الغزالي: محمد الغزالي:
قذائف الحق: دار القلم، دمشق طبعة أولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩١م.
البغوي: محيي السنة الحسين بن مسعود البغوي المتوفى ٥١٦هـ:
الأنوار في شمائل النبي المختار: تحقيق العلامة الشيخ إبراهيم اليعقوبي، دار المكتبي،

دمشق/ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

الوادعي: مقبل بن هادي الوادعي:

الصحيح المسند من دلائل النبوة: دار الأرقم، الكويت طبعة أولى ١٤٠٥هـ. ثم طبعته حديثًا دار الحرمين،القاهرة، ط١ لسنة ١٤٢٢هـ.

أبو نعيم: أبو نُعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى،سنة ٤٣٠هـ

دلائل النبوة

تحقيق الدكتور محمد رواس قلعجي وعبد البر عباس - دار النفائس - بيروت ط٢ ١٤٠٦هـ.

ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب ت٢١٨هـ:

السيرة النبوية

تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي - دار إحيار التراث العربي - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت٧٤٨هـ:

(١) سير أعلام النبلاء: مكتبة الصفا، القاهرة طبعة أولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(٢) ميزان الاعتدال: تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

(٣) تاريخ الإسلام: تحقيق د بشار عواد معروف/ دار الغرب الإسلامي بيروت طبعة أولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

السبكي: أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ت٧٧١هـ:

طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية بيروت

- الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

الرازي: أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ت٣٢٧هـ:

(١) الجرح والتعديل: تحقيق مصطفى عبد القادرعطا - دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

(٢) الجرح والتعديل: تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحدير آباد الدن الهند الطبعة الأولى ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.

العجلي: أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي ت٢٦١هـ:

معرفة الثقات بترتيب الإمامين الهيثمي والسبكي مع زيادات ابن حجر العسقلاني. تحقيق عبد العليم البستوي بدون ذكر دار النشر وتاريخه.

الساعاتي: أحمد عبد الرحمن البنا ت١٣٧٨هـ:

الفتح الرباني لترتيب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

الطرابلسي: أبو الوفاء إبراهيم بن محمد بن سبط بن العجمي ت٨٤١هـ:

الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث

تحقيق صبحي السامرائي - مكتبة النهضة العربية - بيروت١٤٠٧هـ.

الصفدي: خليل بن الأمير عز الدين أيبك بن عبد الله الألبكي ت٧٦٤ هـ

الوافي بالوفيات. تحقيق أحمد الأرناءوط وتركي مصطفى - دار إحياء التراث العربي بيروت - طبعة أولى ١٤٢٠هـ.

ابن عبد الهادي: أبو عبد الله محمد بن عبد الحميد بن عبد الهادي ت٧٤٤هـ:

طبقات علماء الحديث. تحقيق أكرم البوشي وإبراهيم الزيبق - مؤسسة الرسالة بيروت

الطبعة الثانية ١٤١٧هـ.

شاكر مصطفى:

التاريخ العربي والمؤرخون. دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.

ابن عدي: أبو أحمد عبد الله بن عدي ت٣٦٥هـ:

الكامل في ضعفاء الرجال. تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض – دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

خياط: خليفة بن خياط ت٢٤٠هـ:

تاريخ خليفة بن خياط. تحقيق د.أكرم ضياء العمري – دار طيبة للنشر والتوزيع – الرياض الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

السيوطي: جلال الدين بن عبد الرحيم ت٩١١هـ:

(١) طبقات الحفاظ – دار الكتب العليمة – بيروت.

(٢) تاريخ الخلفاء: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٣) ألفية السيوطي في علم الحديث المسماة إسعاف ذوي الوطر بشرح نظم الدرر في علم الأثر: تحقيق محمد بن علي بن موسى الأثيوبي الولوي – دار الآثار – القاهرة – الطبعة الأولى – ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م.

(٤) جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير: الناشر الأزهر الشريف – مطبعة دار السعادة للطباعة – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

(٥) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة: دار المعرفة – بيروت.

(٦) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار

إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه - الطبعة الأولى - ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

السهيلي: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ت٥٨١هـ:

الروض الأنف. تحقيق مجدي بن منصور بن سيد الشورى - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى.

ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ت٣٥٤هـ:

الثقات. تحقيق إبراهيم شمس الدين وتركي فرحان المصطفى - دار الكتب العلمية بيروت - طبعة أولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٨م.

الباجي: أبو الوليد:

التعديل والتجريح. دار اللواء للنشر والتوزيع - الرياض.

الرافعي: مصطفى صادق عبد الرزاق بن سعيد ت١٣٥٦هـ:

(١) تاريخ آداب العرب: / دار الكتاب العربي بيروت.

(٢) تحت راية القرآن: دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

حسان بن ثابت (الصحابي): ت٥٤هـ:

ديوان حسان بن ثابت الأنصاري/ مج١/ دار صادر بيروت.

ديوان حسان بن ثابت/ مشروح/ دار الكتب العلمية بيروت ط٤ لسنة ١٤٢٥هـ.

الكتاني: السيد الشريف محمد بن جعفر الكتاني ت١٣٤٥هـ:

الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة. تحقيق محمد المنتصر بن محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني - دار البشائر الإسلامية - بيروت - الطبعة الخامسة لسنة ١٤١٤هـ الموافق ١٩٩٣م.

المباركفوري المتوفى ١٣٥٣هـ:
تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. خرج أحاديثه عصام الصبابطي/ - دار الحديث القاهرة - ١٤٢١هـ

ابن الصلاح: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري ت٦٤٣هـ:
علوم الحديث. تحقيق نور الدين عتر - دار الفكر المعاصر - بيروت - ط١٢ - ١٤٢٧هـ.

ابن سيد الناس: أبو الفتح محمد بن محمد بن عبد الله ت٧٣٤هـ:
عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير. تحقيق الدكتور محمد العيد الخطراوي ومحي الدين مستو - مكتبة دار التراث المدينة المنورة.

اليحيى: يحيى بن إبراهيم علي اليحيى
مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري (عصر الخلافة الراشدة). دراسة نقدية - دار العاصمة الرياض.

المعلمي: عبد الرحمن بن يحيى العتمي اليماني ت١٣٨٦هـ:
التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل. مع تخريجات وتعليقات محمد ناصر الدين الألباني - زهير الشاويش - عبد الرزاق حمزة - المكتب الإسلامي - الطبعة الثانية - ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

البخاري: محمد بن إسماعيل ت٢٥٦هـ
التاريخ الكبير. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا - الكتب العلمية - بيروت - طبعة أولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

النميري: عمر بن شبة النميري ت٢٦٢هـ

تاريخ المدينة المنورة. تحقيق علي محمد دندل وياسين سعد الدين - الكتب العلمية - بيروت - طبعة أولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

الفاكهي: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي (المتوفى: ٢٧٢هـ):

أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه. عبد الملك عبد الله دهيش الناشر: دار خضر - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ.

ابن الملقن: أبو حفص عمر بن علي الأنصاري الشافعي ت٨٠٤هـ:

(١) غاية السول في خصائص الرسول ﷺ: تحقيق عبد الله بحر الدين عبد الله - دار البشائر الإسلامية - بيروت - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح: تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي - إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر - الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

الخليلي: الخليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم القزويني ت٤٤٦هـ:

الإرشاد في معرفة علماء الحديث. تحقيق: د. محمد سعيد عمر إدريس - مكتبة الرشد - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤٠٩هـ.

عياض: القاضي عياض بن موسى اليحصبي ت٥٤٤هـ:

(١) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع: تحقيق السيد أحمد صقر - دار التراث، المكتبة العتيقة - القاهرة / تونس الطبعة الأولى - ١٣٧٩هـ - ١٩٧٠م.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم - تحقيق د. يحيى إسماعيل - دار الفواء - المنصورة - مصر - الطبعة الثالثة - ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: دار الفكر - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

الرامهرمزي: الحسن بن عبد الرحمن ت٣٦٠هـ:
المحدث الفاصل بين الراوي والواعي. تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب - دار الفكر - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٤٠٤هـ.
ابن جماعة: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة ت٧٣٣هـ:
المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي. تحقيق د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان - دار الفكر - دمشق - الطبعة الثانية - ١٤٠٦هـ.
الزركشي: بدر الدين أبي عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله بن بهادر
النكت على مقدمة ابن الصلاح. تحقيق د. زين العابدين بن محمد بلا فريج - أضواء السلف - الرياض - الطبعة الأولى - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
الجزائري: طاهر الجزائري الدمشقي
توجيه النظر إلى أصول الأثر. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة - مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب - الطبعة الأولى - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت٩٠٧هـ:
(١) فتح المغيث شرح ألفية الحديث - دار الكتب العلمية - لبنان - الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
(٢) التوضيح الأبهر لتذكرة ابن الملقن في علم الأثر: تحقيق عبد الله بن محمد عبد الرحيم البخاري - مكتبة أصول السلف - السعودية - الطبعة الأولى - ١٤١٨هـ.
(٣) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ: دار الكتاب العربي/ بيروت - ١٤٠٣هـ.
علي: د. جواد علي:
المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. دار الساقي - الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ/

٢٠٠١م

الواقدي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ):

فتوح الشام. دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

د مهدي رزق الله: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية. الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

السباعي: د. مصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: دار الوراق، القاهرة، ط١ لسنة ١٤٢١هـ.

السباعي: د. هاني السباعي:

(١) إثبات جريمة القتل العمد دراسة في الفقه الجنائي المقارن: مركز المقريزي للدراسات بلندن ط١/ ١٤٢٧هـ.

(٢) إعادة النظر في كتابة التاريخ الإسلامي: مجلة المنهاج بلندن، صفر ١٤١٧هـ، وموقع المقريزي.

سيزكين: د فؤاد سيزكين: تاريخ التراث العربي. نقله إلى العربية د. محمود فهمي حجازي – طبعة إدارة الثقافة والنشر بالرياض سنة ١٤١١هـ.

ويدجر: ألبان. ج. ويدجري: التاريخ وكيف يفسرونه من كونفوشيوس إلى توينبي – ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد – هيئة الكتاب – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٩٩٥م.

روزنتال: فرانز روزنتال: علم التاريخ عند المسلمين: ترجمة الدكتور صالح العلي – مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م. مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن

www.almaqreze.net

فهرس المحتويات



هاني السباعي

مواليد مدينة القناطر الخيرية بمحافظة القليوبية بجمهورية مصر.

- حاصل على درجة ماجستير فلسفة في القصاص في الشريعة الإسلامية مقارنة بالقوانين الوضعية
- حاصل على درجة دكتوراة فلسفة في إثبات جريمة قتل العمد في الشريعة الإسلامية مقارنة بالقوانين الوضعية
- حاصل على إجازة في قراءة القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية بطرق ثلاث مسندة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- حاصل على إجازة في قراءة القرآن الكريم برواية البزي وقنبل عن ابن كثير المكي من طريق الشاطبية.
- رئيس مجلس إدارة الجمعية الشرعية بالقناطر الخيرية من عام
- كاتب متخصص في التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية.
- اختير مستشار التاريخ بمركز الدراسات الإسلامية بأستراليا.
- مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن.
- حصل على العديد من الشهادات العلمية في علوم شتى كالحاسوب والترجمة